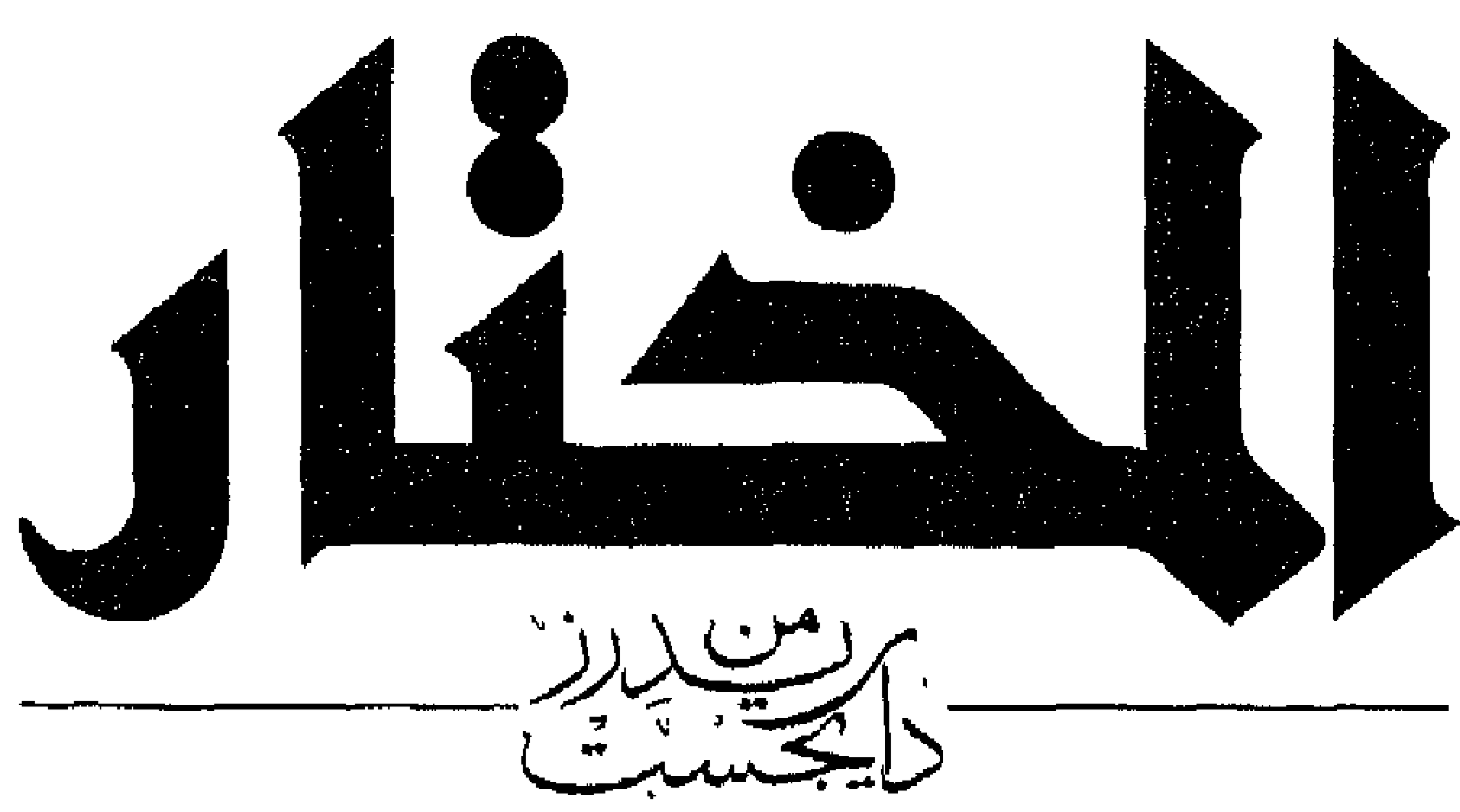
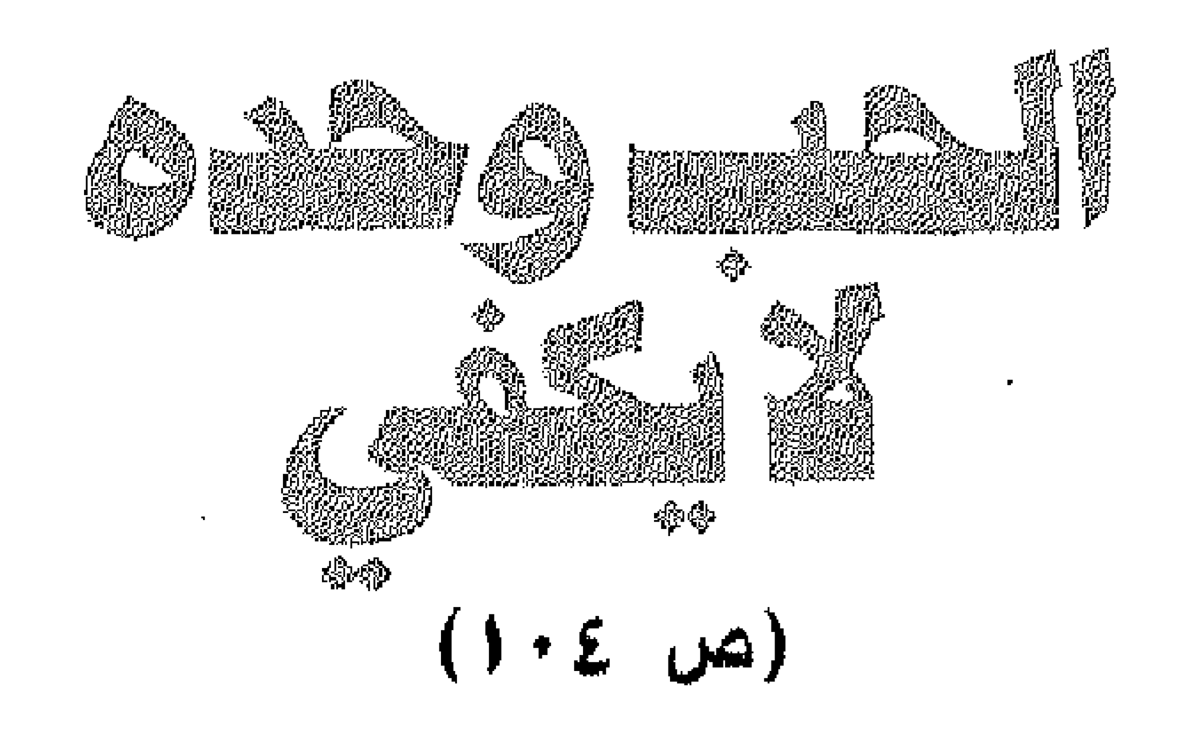
أغسطس (آب) ١٩٨٩ - محرَّم ١٤١٠

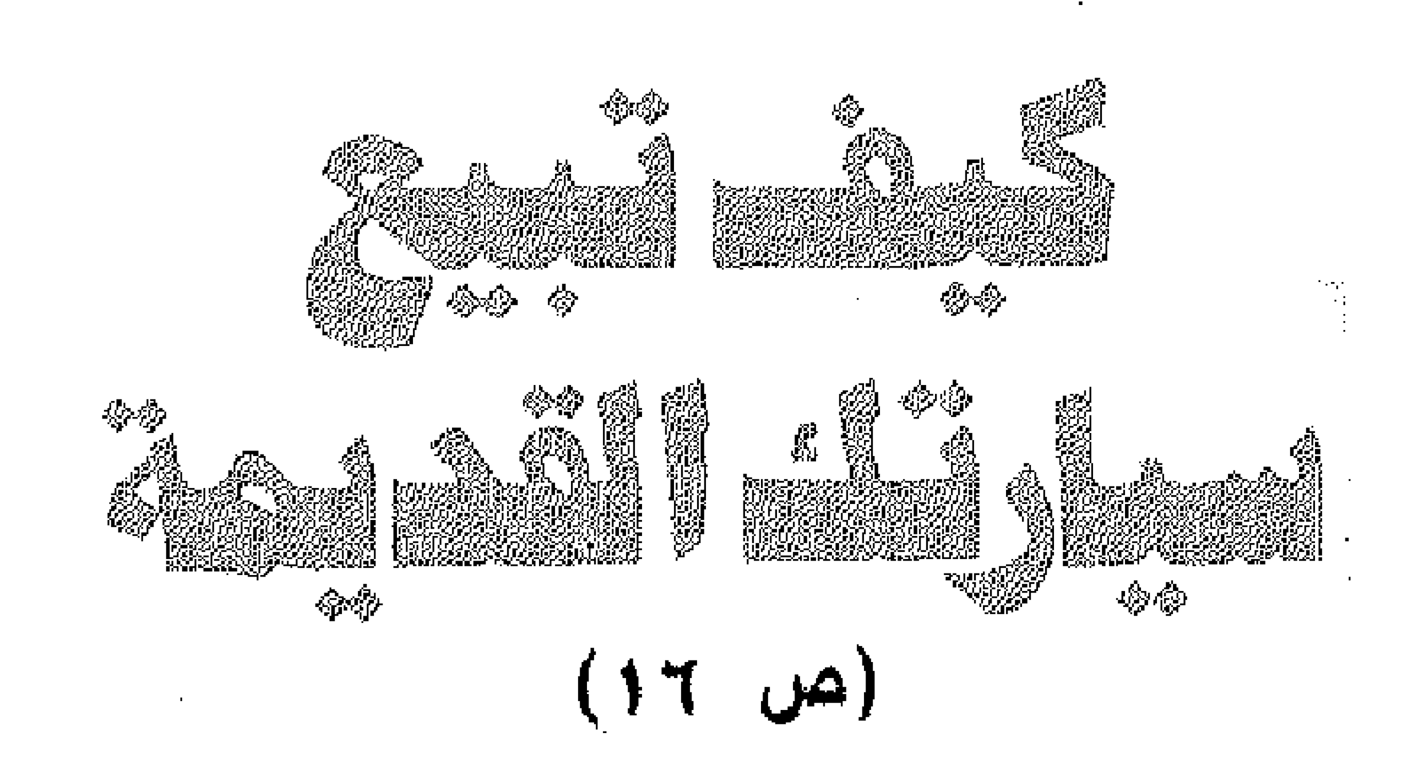


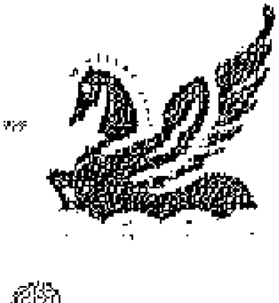
AL MUKHTAR min Reader's Digest August '89 N° 129

أوسع المجلات انتشارًا في العالم -
٣٨ طبعة، ١٥ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا











من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.
امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية – بيروت
رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.

التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي – لبنان.
الهاتف ٤٩١٦٣٠ – ٤٩٢٦٧٠ التلكس MUKTAR 44615 LE

الاشتراكات: فريال علاف، بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان.
الهاتف ٣٤٥٧٣١ – ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE
الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest

Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, P.O.Box 55228,
El-Metn, Lebanon.
Tel: 492670 — 491630, Telex: MUKTAR 44615 LE.

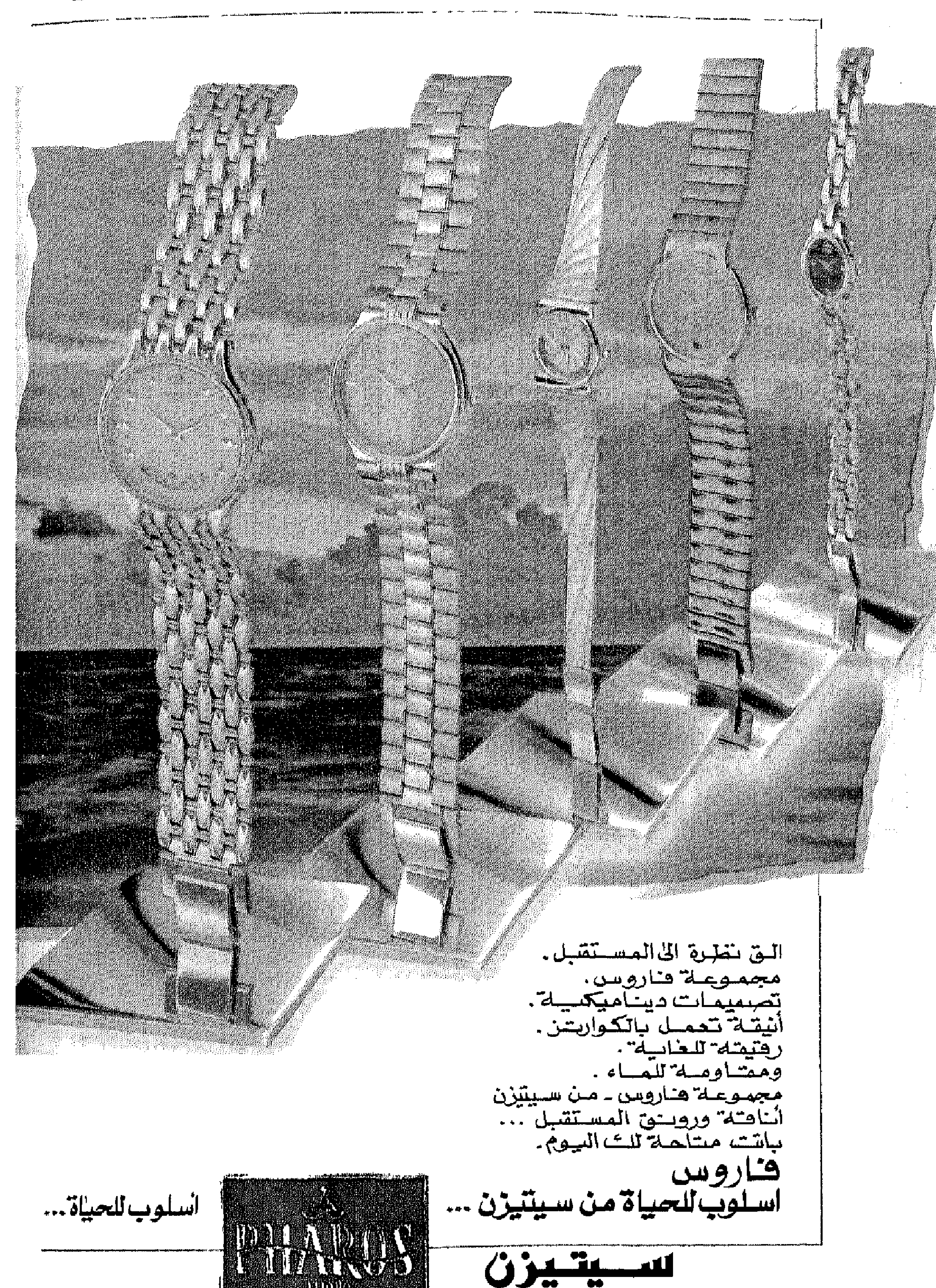
MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

August '89 N° 129 (New Series) Vol. 11

ريدرز دايجست
المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.
الطبعات الدولية
رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: فرنسيس ج. شيل. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الاميركية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الاميركية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية.

لبنان ٣٥٠ل – سورية ١٥ل – الأردن ٧٠٠ف – الكويت ٧٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٩د – قطر ٨ر – البحرين ٨٠٠ف –
السعودية ١٠ر – مصر ١٤٥ج – السودان ١ج – ليبيا ٥٠٠د – ج.ع. اليمنية ٧ر – مسقط ٨٠٠ب – العراق ٨٠٠ف – قبرص ٧٥ب –


ألق نظرة الى المستقبل.
مجموعة فاروس.
تصميمات ديناميكية.
أنيقة تعمل بالكوارتز.
رقيقة للغاية.
ومقاومة للماء.
مجموعة فاروس - من سيتيزن
أناقة ورونق المستقبل ...
باتت متاحة لك اليوم.
فاروس
اسلوب للحياة من سيتيزن ...
PHAROS
سيتيزن

غنوة مرحة ورائحة ياسمين وكلام من القلب

نزهة تحت النجوم

كم حسدت أولئك الآباء والامهات الذين يعودون الى بيوتهم بعد يوم عمل طويل وهم ما زالوا نشطين قادرين على قراءة قصة لاولادهم أو مساعدتهم في دروسهم أو محادثتهم من دون الانشغال بأمور أخرى.

كنت قبل عشر سنين احسب نفسي سعيدة اذا تمكنت من تنظيف الصحون بعد العشاء واقفال الباب قبل أن يتملكني الوهن وأنهار. كان زوجي توفي حديثا بداء السرطان مخلفا لي ولدين، ابنا عمره ثلاث سنوات وابنة عمرها ست سنوات. وكانت حاضنة تعتني بهما أثناء النهار، لكنهما في الليل كانا يحتاجان الى أم ترعاهما بحنانها. غير أنني لدى عودتي من العمل كنت في عجلة لارتداء ثياب النوم كي يتسنى لي الارتخاء والخلود الى الراحة.

وذات ليلة حدثت كارثة المعكرونة التي غيرت نمط حياتي المسائي اذ أرغمتني على ابتكار ما أصبح نظاما عائليا. ففيما كنت مستلقية في تلك المساء "أستريح" على الاريكة، كان الولدان يتناولان العشاء. فاذا بأصوات ضربات مكتومة مصحوبة بصخب ومرح صادرة من المطبخ توقظني وتقطع راحتي. وتبين لي أن ولديّ يخوضان معركة يتبادلان فيها الضرب بالمعكرونة. وكانت تلك الحبال ملتصقة بالجدران وتتدلى من الرفوف ومن منضدة المطبخ. وكانت

 Illustration: Mark Riedy



صلصة البندورة (الطماطم) تصبغ وجهي ولديّ وملابسهما بلون وردي.

جذبت المذنبين من كرسييهما وأدخلت سواعدهما المضرجة بالصلصة في سترتيهما وسقتهما الى الخارج. وقلت بلهجة صارمة: "سنقوم بنزهة."

قالت الكبرى: "أفي هذا الوقت؟ انه ليل."

وقال الصغير: "لكن الطقس بارد."

فلم يسعني، لشدة حنقي، الا أن أجيبهما بكلمة "نعم."

مشينا مسافة قصيرة وهما الى جانبيّ ويد لزجة لكل منهما في يدي. وأخذت أشعر بتحسّن. وما ان تابعنا السير حتى أفلتا يديّ وبدأ يستكشفان ما حولهما. ولما عدنا الى البيت بعد نصف ساعة كنا نغني فرحين.

قمنا بنزهة في الليلة التالية وبأخرى بعد بضع ليال. ودهشت لحماسة ولديّ لهذه المشاوير الليلية. فقد كانا يتقاعسان في الخروج نهاراً، لكنهما كانا يثبان جذلين ويطفران مرحين في الشوارع بعد هبوط الظلام.

وربما طاب لهما كونهما يتشاقيان خارج المنزل في وقت يتهيأ أكثر الاولاد للذهاب الى الفراش، أو انهما فتنا بغموض الهوية في الظلام بحيث بدونا ثلاثة رفقاء متساوين في الطول والحجم وقد غابت الوجوه واحتجبت المشاعر.

وسرّ الولدان بأن يكونا في الخارج في الطقس الرديء. وكانا يهتفان لرؤيتهما سقوط المطر بغزارة ويلوّحان بالمظلات الى العلاء كأنهما يبارزان السحاب ويخوضان بجزماتهما برك الماء الصغيرة الموحلة التي انعكست فيها أنوار الشارع.

أتاحت لنا نزهات المشي فرصاً لاستكشاف أشياء كثيرة: رائحة الياسمين المتفتح في ليالي الصيف، وتشكيلات الغيوم بعد غروب الشمس، وأولى النجوم الطالعة، وغرابة أشكال الاشجار في الظلام. لكن الاستكشاف الليلي ما لبث أن حل في المرتبة الثانية حين بدأنا استكشاف بعضنا بعضاً. فالجهد الذي بذلناه في الصعود مسافة كيلومتر ونصف كيلومتر للوصول الى منزلنا على التلة، حرر عقولنا وأطلق ألسنتنا. وكانت محادثاتنا تنتقل من موضوع الى آخر ومن نقطة الى أخرى بسهولة وعفوية لم نألفهما داخل المنزل. وبات سهلا علينا أن نلوذ بالصمت ثم نتطرق الى موضوع جديد شائق.

رافقني الولدان طوال سنوات في كل النزهات. انما في هذه الايام اصطحب واحداً منهما في كل نزهة، اذ ان ذلك يتيح محادثات حميمة أكثر عمقاً. فقد كانت ابنتي المراهقة تمتنع دائماً عن افشاء مشاعرها الداخلية. لكنها خلال نزهاتنا الليلية أخبرتني عن خصامها مع صديقتها المفضلة وعن آرائها في الحب والزواج وعن تفوقها في مادة الادب في المدرسة.

أما ابني فهو الآخر يرغب في احتجازي له وحده. وهو يحب الكلام والثرثرة، فيحدثني كيف يقود دراجته الهوائية ويتحكم بناقل السرعة، ويشرح لي رأيه في سبب امتناع تلاميذ الصف المتوسط الثاني عن اقامة حفلات، خلافاً لتلاميذ

الصف الاول، ويفضّل لي التصميم الذي وضعه لبناء منزله في المستقبل.

واذ يكبر ولداي أشركهما في أفكاري وهمومي وأبوح لهما بمكنونات نفسي. وهما يتحينان الفرص ليسديا الي النصح ويمنحاني عضداً معنويا. ويسرّهما سماع قصص حياتي حين كنت في عمرهما.

وأسفرت تلك التجارب عن فائدة جانبية لي. فقد كان المشي هو السبيل الى تحريك دمي وتنقية ذهني وتنشيط جسمي. ففي سنوات المشي الاولى كان الولدان يسيران مسافة ثلاثة كيلومترات من دون تذمر، خصوصاً اذا توقفنا في منتصف الطريق لتناول الجيلاتي. والآن يمكننا السير بنشاط أكثر من ستة كيلومترات في ظرف ساعة واحدة ومن دون توقف لتناول الجيلاتي.

قبل أربع سنوات تزوجت ثانية. وأنا أمشي مع زوجي أحياناً في نزهات ليلية، فنتمتع بالرفقة ونقوّم نشاطاتنا النهارية.

وخلال النزهة يمشي طفلنا الصغير ثلاثة أرباع كيلومتر، فأحمله بعدها أو يحمله أبوه. وهو يستطيب النزهة. وذات ليلة شدني من كميّ ونطق جملته الأولى التامة: "ماما، نمشي؟"

جوي امبودن أوفرستريت ■



الوان الحمام

كنتُ أعيد زخرفة بيت اشتريته حديثاً. فواجهت صعوبات جمّة عندما وصلت الى حمّام غرفة النوم الرئيسية. ولذا توجهت الى متجر مختصّ بأدوات الحمام للحصول على مشورة مهنية.

سألني بائع بدا ملماً بالامر: "أي خدمة يا سيدي؟"

فقلت يائساً: بلاط حمامي زهري، ومحتوياته زرقاء، وهو يظهر بوضوح من غرفة النوم الرئيسية الحمراء. فماذا عليّ أن أفعل؟"

فأتاني ردّه القاطع: "أغلق الباب."

د.ك.ب.

قيادة عمياء

في أثناء عطلة أمضيتها في التزلج في أحد المنتجعات الجبلية ضعت وفقدت الرجاء في العثور على الفندق. ثم التقيت زوجين من النزلاء، لكني اندفعت بسرعة بالغة إذ منعتني عزة نفسي من الاستدلال. كانت الشمس منخفضة خلف الجبال وأخذ الرعب يستبد بي. لكني تمكنتُ أخيراً من ايجاد طريق العودة.

جلست ذلك المساء أستمتع بدفء النار في الردهة. فجأة أقبل الزوجان اياهما نحوي وقالت لي المرأة: "ندين لك بشكر عميق. لقد أضعنا طريقنا، ولكن لما رأيناك تتقدّمين بكل ثقة اقتفينا اثرك عائدين الى الفندق."

ل.غ.



صَبَاح الخَيْر!
NESCAFÉ
café instantané
instant coffee
نسكافه
كوبٌ من نسكافه مع الحليب ، في الصباح
وفي أيّ وقت ، يجعل نهارك أكثر بهجة وإشراقاً.
نسكافه ، خلاصة القهوة اللذيذة ، تملأك حيوية ونشاطاً.
نسكافه ، قهوة ١٠٠ بالمئة صافية ، سريعة التحضير.
نسكافه قهوة الشباب العصري الناجح.
PI 2959

يذرفون الدمع، في وصف أوهام تدغدغ خيالهم عن زوج سابق يعود إليهم، أو باحوا بالذنب لهجر زوج مخلص. كانوا يتحدثون عن اقتلاعهم من ديارهم وتقاسم الأملاك، وعن تحول الأولاد الابرياء كبش فداء. وكانوا يتفجعون لفقدان جزء من حياتهم لن يتمكنوا من استعادته وهو وحدة العائلة التي تفككت أواصرها.

ودرجت على سؤالهم: "لو عدتم بالذاكرة إلى ما فات، فهل تظنون أنه كان في وسعكم انقاذ زواجكم؟"

كانت أجوبة النسوة من قبيل: "لم يكن رومنطيقياً. لم يكن يفكر الا في نفسه ومستقبل عمله."

أما أجوبة الرجال فكانت من نوع: "كانت تستولي على مالي كله، ولا تثق بي إن غبت عن البيت ليلا."

لكن كلا من الطرفين كان يختم مستنتجاً: "لو عرفتُ ما أدركه الآن، لكان زواجنا ناجحاً."

الطلاق وبال على الجسد والعقل والروح، وفي الكثرة الكاثرة من الحالات يكون العلاج اسوأ من المرض. ثمة استثناءات بالطبع، اذ يكون الطلاق الملاذ الوحيد في حالات ادمان المخدرات والمسكرات أو الايذاء البدني أو القسوة الوجدانية البالغة أو الهجر الدائم. ولكن، عموماً، في وسع الناس أن يجنبوا أنفسهم شقاء كبيراً اذا ما تخلوا عن قبولهم المتساهل للطلاق ونظروا إلى الزواج التزاماً مدى العمر لا ينبغي ولوجه أو التملص منه بخفة.

معروف أن عدداً لا يستهان به من الزيجات المعقودة اليوم معرض للاخفاق. ومعروف أيضاً مبلغ الصعوبات المالية التي يواجهها المطلقون، والمطلقات على نحو أخص. ولكن ما ليس معروفاً كفاية هو الاثر الباقي للوحدة والكآبة في حياة المطلقين.

في بعض المجتمعات، ولاسيما الاستهلاكية منها، أصبح الزواج شبه سلعة تُطرح بعد الاستعمال. ومن سوء الحظ أن ذوي الخبرة في الطلاق، مثل مارلين، سرعان ما يدركون اغترارهم بخرافة أن الطلاق يفتح آفاقاً جديدة، وأن المواعدة بين الرجل والمرأة حافلة بالإثارة، وأن ذوي الفطنة والجاذبية يلتقون دوماً عشيراً أو خليلا.

وقد آن الأوان لنبذ هذه الخرافات والنظر إلى واقع الطلاق عارياً. اننا نتصرّف مراراً وكأن الزواج المتقلقل يستحق الاجهاز عليه. ونتعاطف مع صديق ماض الى الطلاق فيما ينبغي أن نحذره من أنه يقترف خطأ شنيعاً.

كثيرون يفكرون: لو اني أستطيع التخلص من زواجي هذا... ويتمّون عبارتهم بأعاجيب يصطنعونها. الذنب ليس ذنبهم، فهم ضحايا الحملات الدعائية التي تطلقها المجلات البرّاقة الضحلة المحتوى والأطباء النفسانيون الساعون الى الكسب. لكنهم عقب طلاقهم يبقون هم أنفسهم، بمهارتهم في حل المعضلات، وقيمهم، وأساليب ارتباطهم بالغير. وبذا يقولبون علاقات جديدة تماثل القديمة. أنّى لهم أن يروا أن الطلاق، الا في حالات معينة، هو أسلوب خاطىء لتحسين معيشتهم؟

الطلاق جحيم. والمطلقون، حيثما

وجدوا، يندبون سوء حالهم. والصحف حافلة بأقاصيص عن أولاد الشوارع والآباء المخلين بواجباتهم والأمهات اللواتي يـربين أولادهن بلا معين والاطفـال القابعين في المآوي. وعلى رغم هذه الانباء المفزعة ما زالت نسبة الطلاق مرتفعة.

اذاً، ما الذي يضرم هذيان الطلاق؟ أحسَبُ أنه تحول في القيم التي نعتنقها. فلأقابل بين أربعة مبادىء كنا نؤمن بها في الماضي ومبادىء غدت مقبولة اليوم. وسترون كيف أن تفكيرنا الحالي يحط من قدر الزواج ويحض على الطلاق:

١. "الزواج رباط أبدي" في مقابل "الزواج حتى تخبو العاطفة."

لا شك في أن كل خاتم خطبة يحمل أملا بالارتباط إلى الابد. لكن كل زوج يدرك وجود خيار انهاء الزواج. وثمة أزواج يخططون جهاراً لاحتمال الطلاق. انهم يتعهدون البقاء معاً طوال العمر، لكنهم يلحون على التصرف "بحكمة" لحماية أملاكهم اذا لم يدم الزواج. وبعضهم لا يتزوج الا متى تأكد له أن في امكانه فسخ الارتباط الزوجي.

غير أن هذا السلوك يزيد اتساع الحلقة المفرغة. فإذ يزداد عدد الذين يقبلون امكان الافلات من إسار الزواج، يزيد المفلتون فعلا. ويستتبع ذلك زيادة أعداد السائرين عقبهم.

أنا أبذل وسعي لأطبع في نفوس قاصديَّ أن العاطفة تذبل. ويحمل كثيرون قولي ذاك على أن الحب ذاته يتلاشى. تنقلب توقعاتهم فيفقدون شيئاً غالياً. انهم لا يمكثون وقتاً كافياً ليروا أن حبهم يشتد وإن خمدت نار الرغبة الجسدية.

٢. "إعمل على تأسيس مستقبل" في مقابل "عش في الهُنا والآن."

في مجتمعنا العجول ينزع كثيرون الى رؤية المزايا القصيرة الامد لأفعالهم، اذ ان طول الأمد يكتنفه المجهول مما يعيق التزام الزواج. وما الداعي إلى مناقشة الزوج أو القلق على رد فعل الاولاد على المشاحنة بينكما، فيما يستطيع كل منكما أن يجتاز عتبة الباب فيصبح، على الفور، أحسن حالا؟

الاشخاص الراسخون في الهُنا والآن يكشفون عن نقص في الثقة بالمستقبل. وينتابهم شعور بأنهم مكرهون على التلذذ ملء طاقتهم في هذه الآونة. ومما يثير العجب أن كثيراً منهم ينظرون نظرة طويلة الاجل إلى أشغالهم واستثماراتهم، ويستنكفون عن هذه النظرة في علاقاتهم الزوجية.

٣. "الطلاق إخفاق مخزٍ" في مقابل "الطلاق ليس بالغ الاهمية."

لم يعد كل من يقترف الطلاق يعتبر شخصاً سيىء الطباع. وقد سهّلت مكاتب المحاماة أعمال الزبائن المطلقين.

والطلاق لم يعد اخفاقاً في الميدان الاجتماعي. قبل بضع سنوات أنزلت الى الاسواق بطاقة جديدة عليها الفقرة الآتية: "أنت حبيبي... أنت فاتن... أنت طالق." انه لأمر تتقزز له نفسي، فلئن تكن المواقف القديمة من الطلاق متشددة حقاً، فهو ليس حدثاً يحتفى به.

٤. "العلاقات الجانبية باطلة وينبغي كتمانها" في مقابل "العلاقات الجانبية لا ضير منها، والصراحة أفضل سبيل لجبهها."

كان عقدا الستينات والسبعينات من هذا العصر زمن الانانية عند الكثيرين. وأي تعبير أفضل عن ذلك من الجمع بين حسنات الزواج والعزوبة في آن؟ لقد رفع كثيرون لواء المجاهرة "النبيلة" وان آلمت آخرين، وأشهروا باعتزاز علاقاتهم الخارجة عن نطاق الزواج.

وقد أشارت الدراسات الاستطلاعية الى الاعداد المتكاثرة من الازواج الذين يخونون شركاءهم. وبذا تنشأ ذهنية جديدة لبها أن الاقتصار على الزوجة أو الزوج أمر عفا عليه الزمن.

هذا غير صحيح، فالزنا يؤدي شرعاً إلى الطلاق. وقد كشف استطلاع أجرته مجلة كبرى وشمل ٣٥٠ ألفاً من قرائها أن نحو ٨٤ في المئة من الزوجات الخائنات يطلقن.

إن اتخاذ العشاق خطيئة يحرمها الشرع لا يغضي عنها حتى الازواج الاكثر تسامحاً.

اني لا أقترح العودة الى المراءاة في العلاقات الزوجية كما كان سائداً في الخمسينات، حين كان المطلّق منبوذاً في المجتمع. لكن المعرفة التي نجمت عن "الانفتاح" الشخصي والاجتماعي في الستينات والسبعينات أثبتت صواب عدة مبادىء كنا طرحناها جانباً.

هناك محاسن مضمونة للفضائل العتيقة التي تحضّ على الاخلاص في الزواج وانشاء أسرة مستقرة. وهذه الفضائل تسترد اليوم شعبيتها.

فلنحاول ألا نضرب صفحاً عن أمثولاتها.

ديان مدفيد ■



عصير وعسل

عندما ذهبت مع زوجي في رحلة شهر العسل وصلنا الى المطار متأخرين فلم نستطع الحصول على مقعدَيْن متقاربَيْن. وخلال الرحلة كتبت الى عريسي رسالة الغزل هذه: "الى الرجل الجالس في المقعد ١٦ - ب. أجدك جذاباً جداً. ما رأيك في قضاء سهرة معي لا تنسى؟ السيدة في المقعد ٤ - ث."

وسلّمته الرسالة مضيفة الطائرة التي عادت بعد دقائق قليلة وفي يدها كأس عصير وأخبرتني أن الرجل في المقعد ١٦ - ب فرح للاطراء لكنه مضطر الى رفض طلبي لانه في شهر العسل.

وعندما هبطت الطائرة كنت لا أزال أضحك وقلت لعريسي: "شكراً على العصير." فاستغرب قائلا: "لكنني لم أرسل اليك عصيراً!" وهو كان يحتل المقعد ١٤ - ب.

س.ج.ب.

كل مَن يُسرع في الحياة إنّما يسرع نحو موته.

خ.ن.



جراحة الماء الأزرق علاج أم شعوذة؟

تحقيق خاص بالـ"ريدرز دايجست" كشف خفايا تجارة دنست مهنة شريفة

التقدم الذي احرزته جراحة العين، خلال السنوات الاخيرة، اتاح للاطباء ازالة العدسة التالفة من العين وزرع عدسة بلاستيكية صغيرة في مكانها. وهذه الجراحة الثورية التي يمكن اتمامها في أقل من ساعة أنقذت نظر ملايين المصابين بالسَدّ (١). لكنها أدّت أيضاً الى اساءة استعمال واستغلال فاضحين.

وحين علم الصحافي دونالد روبنسن بهذه الاساءات، باشر تحقيقاً لمجلة "ريدرز دايجست" شمل الولايات المتحدة ودام أربعة أشهر. والاكتشافات المذهلة التي توصل اليها تظهر مدى الاخطار التي تنجم عن التعامل مع المستغلّين الجشعين الذين دنسوا مهنة انسانية شريفة.

ستيلا غيلمان سيدة في السبعين من ألفوناك بولاية ميشيغن. عام ١٩٨٣ نصحها طبيبها باجراء فحص لعينيها لانه أعطاها دواء قد يسبب لها سُدّاً.

لدى معاينتها قال لها طبيب العيون: "انك مصابة بسد لَعين. وأنصحك بالاسراع الى اجراء جراحة لازالته." فقالت له غيلمان انها تحتاج الى وقت للتفكير في الامر. وما لبثت ممرضة في عيادة طبيب العيون أن اتصلت بها تدعوها الى تحديد موعد للجراحة. فأحست غيلمان أن ضغطاً يمارس عليها، وأستشارت طبيباً آخر هو تشارلز سلايتر الذي اكّد لها أنها ليست في حاجة الى جراحة وأن علّتها هي سُدّ ضئيل لا يؤثر اطلاقاً في نظرها.

(١) cataract أي اعتام عدسة العين أو "الماء الازرق."

قال لي الدكتور سلايتر باشمئزاز: "في امكاني تسمية أطباء عيون كثيرين في جنوب ميشيغن يمارسون هذا الاستغلال لجني الارباح."

أخبرني الدكتور كينيث جوكتر رئيس قسم طب العيون في "مركز الرحمة الطبي" بمدينة نيويورك، عن طبيب عيون محلّي يرسل ممرضة الى دور العجزة في المدينة لزيادة عدد مرضاه. فتقدم الممرضة للمسنين معلومات عامة عن العناية بالعينين، ثم تعرض فحص العينين من دون مقابل.

وفي إحدى الدور وافقت امرأة، هي نسيبة للدكتور جوكتر، على فحص عينيها، فطلبت منها الممرضة قراءة لائحة أحرف من خلال آلة. وحين أقرت المرأة بانها تجد صعوبة في قراءة الاحرف بوضوح، نصحتها الممرضة بزيارة الطبيب الذي تعمل لديه لمتابعة فحصها، وعرضت عليها نقلها بسيارة فخمة الى عيادته في نيويورك واعادتها مجاناً.

ولم تكن المرأة شكت سابقاً من تلك العلة في عينيها. فرأت من الحكمة أن تستشير نسيبها الدكتور جوكتر الذي قال: "لم تكن هناك أي علة في عينيها. وبنظارتين تمكنها الرؤية طبيعياً كأي شخص صحيح البصر."

أطباء جشعون. من خلال تحقيقي الواسع حول جراحة العينين لمجلة "ريدرز دايجست"، علمت أن غالبية أطباء العيون يعملون بضمير واتقان. ولكن، لسوء الحظ، ابتلي هذا الحقل بأطباء عيون جشعين، همهم الاول جمع المال لا سلامة مرضاهم. وكثيرون منهم يجرون جراحات لا حاجة لمرضاهم اليها.

السُدّ غشاوة ضبابية في عدسة العين. وهو يظهر عادة مع التقدم في العمر. وقد تكون له أسباب أخرى كجرح في العين أو مادة سامة او خلل أيضي (٢). وعندما تتعاظم كثافة الغشاوة في العدسة تؤدي الى العمى. ويأتي السد في المرتبة الثالثة في قائمة مسببات العمى في الولايات المتحدة.

قبل عقد كانت ازالة السد عملية خطرة تستغرق وقتاً طويلاً. وفي أواخر السبعينات، استكملت طريقة جديدة أتاحت لاطباء العيون ازالة العدسة التالفة من العين بواسطة ابرة وابدالها بعدسة اصطناعية من البلاستيك الخاص المسحوق تسمى طبياً "عدسة داخل المقلة" (٣).

وتجرى الجراحة في المستشفى أو المستوصف أو في عيادة طبيب، ويستخدم فيها تخدير موضعي. ويعود معظم المرضى الى بيوتهم في اليوم ذاته. ويتجاوز معدل نجاح الجراحة ٩٥ في المئة.

جراحات بالجملة. معظم الناس يصابون بسُدّ اذا طال عمرهم الى حد معيّن. ويقدر أنه يتم اجراء ١،٣ مليون جراحة سد سنوياً في الولايات المتحدة وحدها، وهي الجراحة الاكثر شيوعاً التي تعنى بها سلطات الضمان الطبي. وهذا الواقع يجعل منها هدفاً للاستغلال.

(٢) Metabolic defect
(٣) Intraocular lens «IOL»

ان جشع بعض جراحي العيون يكاد لا يصدّق. في لوس انجلس بكاليفورنيا، جمع طبيب العيون هوزيه مينايا ألوف الدولارات من طريق تقديم بيانات تعويض مزورة عن نفقات جراحات سد. ودين مينايا بالسرقة والابتزاز من الدرجة الاولى وحكم عليه بالسجن ٤ سنوات وغرّم ٧٠ ألف دولار. وهناك ١٧ مريضاً في أقل تقدير فقدوا بصر عين واحدة أو عينين على يدي مينايا وأقاموا ضده دعاوى قضائية. ولكن تمت تسوية كل تلك القضايا خارج المحكمة بواسطة شركة تأمين.

في بورتسموث بأوهايو أجرى طبيب العيون دويل كامبل علاجات لا قيمة لها بأشعة ليزر، واحتال على الحكومة بأكثر من ١٠٠ ألف دولار بتقديمه طلبات زائفة لمساعدات طبية. وقد دين بـ٢٥ تهمة احتيال على سلطات الضمان الطبي بجراحات زائفة او غير ضرورية. وحكم عليه بالسجن ١٤ شهراً وغرم مبلغ ٧٥ ألف دولار.

بموجب قوانين سلطات الضمان الطبي، في امكان جراحي العيون أن يجروا العدد الذي يشاؤون من جراحات السد يومياً. ويبلغ معدل أجر الجراحة ٢٠٠٠ دولار. وبعض الاطباء أقاموا نظام "تجميع عمليات." وأحد هؤلاء الكبار في فلوريدا يستخدم ثلاثة معاونين يبضعون عيون المرضى ويخيطونها. ويتنقل هو مهرولاً من غرفة عمليات الى أخرى في عيادته ينتزع العدسات التالفة ويزرع مكانها العدسات الجديدة. ويترك أمر الاعتناء بالمرضى بعد الجراحة الى تقنيين غير مدربين يفتقرون الى الخبرة الجراحية. وفي العام ١٩٨٤ قدم بياناً الى سلطات الضمان الطبي بأكثر من ٥٠٠٠ جراحة عيون وقبض مبلغاً ضخماً بلغ ٦،٤ ملايين دولار.

لكنه ليس منفرداً في هذا المجال. ففي كارولينا الشمالية يفاخر أحد جراحي العيون بأنه أجرى ٥٤ جراحة سد في يوم واحد. ويقول الدكتور سكوت باورز، وهو طبيب عيون مرموق ورئيس سابق لجمعية طب العيون في شرق كارولينا: "اكره أن يكون رقمي ٥٤ في ترتيب العمليات."

متاجرة بالجراحة. في سبيل اجتذاب المرضى، يعمد بعض الاطباء الجشعين الى توزيع كراريس واعلانات تعد بتوفير "فحوص مجانية وجراحات مجانية وعناية مجانية بعد الجراحة."

في احدى مقالات المجلة الطبية "نيو إنغلند جورنال أوف ميديسين" تساءل الدكتور كورتيس مارغو من كلية الطب بجامعة جنوب فلوريدا: "هل في امكان أولئك الاطباء الذين ينفقون المبالغ الطائلة في محاولة للمتاجرة بالجراحة، الحكم بتجرّد من هو المريض الذي يحتاج الى جراحة؟"

وقد وجد محققو لجنة شكلها مجلس النواب أن كثيرين من جراحي السد يقبضون مكافآت من صانعي العدسات لكي يزرعوا في عيون مرضاهم عدسات من انتاجهم. وشملت الرشاوى مبالغ نقدية تودع مصارف جزر الكاريبي ورحلات مجانية الى أوروبا ومنازل فخمة.

وبعض منتجي العدسات يقيدون

قبل أن توافق على جراحة السد

ماذا تعمل لوقاية نفسك من أطباء العيون الفاقدي الضمير والعديمي الكفاية؟ اليك رأي الخبراء في هذا الشأن.

- فتش عن طبيب عيون بارز. لا تهتم للاعلانات لان الجراحين ذوي الضمير الحيّ لا يلجأون الى مثل هذه الوسائل.
- قبل أن توافق على ازالة السد استمع الى رأي ثان. وتذكر دائماً أن لا داعي الى العجلة. يقول الدكتور سكوت بويرز: "في أي حال، يمكنك أن تنتظر سنة من دون خطر على عينيك."
- اسأل جرّاحك كم جراحة يجري في اليوم. سوف تأبى أن تكون قطعة في نظام تجميع. استعلم عن العناية المتوافرة بعد الجراحة. ان أطباء العيون الشرفاء ذوي السمعة الحسنة يؤمنون لك هذه الخدمة.
- استشر طبيب عائلتك. فاذا كنت تشكو، مثلا، من علة في القلب أو الرئتين أو الكليتين أو من السكّري، فقد يرغب طبيبك في اجراء الجراحة في المستشفى.

للاطباء والمستشفيات ٥٠٠ دولار ثمناً لعدسة لا تكلف أكثر من ٥٠ دولاراً، أي بـربح نحـو ألف في المئة. وبعض المستشفيات تضخّم الاسعار فوق ذلك ايضاً. وقد عمد أحدها الى قيد سعر عدسات لسلطات الضمان الطبي بـ٩٤٦ دولاراً، في حين كان اشتراها بـ٣٣٢ دولاراً. وتدفع السلطات غالباً هذه الاسعار المضخمة من دون تردد. ويقدر محققو الكونغرس ان سلطات الضمان الطبي تخسر ١٠٠ مليون دولار سنوياً نتيجة الزيادات الضخمة على ثمن العدسات.

عام ١٩٨٤ حددت الادارة الحكومية كل حالة تستدعي دخول المستشفى. ولكن بقيت ثغرة في القانون الجديد، فقد ظلت معالجة المرضى في العيادات خارجة عن المراقبة.

فنتجت من ذلك حالات شاذة، اذ ان سلطات الضمان الطبي قد تدفع للمستشفى ٦٥٠٠ دولار على جراحة سد يلزم فيها المريض المستشفى ثلاثة ايام، ولكن يتسنى للمستشفى ان يقبض هذا المبلغ ذاته على جراحة تجرى في عيادة خارجية تابعة له.

قال ريتشارد كوسيروف المفتش العام في وزارة الصحة والخدمات الانسانية بالولايات المتحدة: "من الصعب أن نصدّق ذلك، فكلنا يعلم أن كلفة اجراء هذه الجراحة في عيادة خارجية هي أدنى كثيراً من كلفتها ضمن المستشفى."

وجد الدكتور كوسيروف حليفاً قوياً في الجمعية الاميركية لاطباء العيون التي شنت حملة خاصة ضد الجراحات غير الضرورية والاعلانات المضلّلة والرشاوى. وأقرّت الجمعية ميثاقاً اخلاقياً صارماً وأرسلت ١٥٠ تحذيراً الى الاعضاء الذين تبين أنهم ينتهكون هذا الميثاق.

ولكن هناك هيئات طبية كثيرة في

الولايات تأبى معاقبة الاطباء بقساوة. ومن الواضح أن ثمة حاجة الى قوانين أكثر تشدداً في شأن جراحة السد. وقد خفض الكونغرس الامريكي البدلات التي تدفعها سلطات الضمان الطبي لزرع العدسات نحو ١٢ في المئة، وأمر بتنظيم جدول بدلات ثابت لجميع خدمات الاطباء، بما فيها جراحة السد، وانجازه قبل شهر يوليو (تموز) ١٩٨٩.

وفي سبيل كبح الجراحات التي لا لزوم لها وضع برنامج جديد يقضي باخضاع المريض بالسد لكشف جراحي رسمي للتأكد من حاجته الفعلية الى الجراحة.

يقول السناتور أورين هاتش عضو لجنة مجلس الشيوخ لشؤون العمل والطاقات البشرية: "ان النظر ثمين الى حد يفوق التعبير بالنسبة الى المسنين. فعلى سلطات الضمان الطبي أن تعمل كل ما تقدر عليه لمساعدتهم وحمايتهم."

دونالد روبنسون ■



فنّ النجاح

قال توماس ج. واتسون الابن، الرئيس التنفيذي السابق لمؤسسة «IBM»:

"أهم مساهمة قدمتها الى المؤسسة هي قدرتي على انتقاء الرجال الاقوياء والاذكياء ورصّ صفوفهم بالاقناع، والاعتذار، والحوافز المالية، والتحادث غير المتكلّف مع أفراد عائلاتهم، والاهتمام بهم عندما يمرضون أو يتعرّضون لحادث، وعمل ما في وسعي لجعل هذا الفريق يعتقد أني شخص لائق. كنت أعرف أني لا أستطيع مضاهاتهم كلهم على الصعيد الفكري، لكنني اعتبرت اني اذا استخدمت كل الامكانات المتاحة لي، استطعت مجاراتهم.

"ما ترددت قط في ترقية من لا يعجبني. فالمساعد اللطيف الذي تروقك رفقته في رحلة صيد هو شَرَك خطير. وبدلا منه جعلت نظري على أولئك الاشخاص اليقظين غير المتملّقين الذين لا يروقك منظرهم لكنهم يقولون لِك كيف تسير الامور على حقيقتها. فاذا استطعت أن تجمع ما يكفي منهم حولك، وتحلّيت بالصبر لتستمع الى آرائهم، فلا حدود لما يسعك بلوغه من نجاح."

ف.ت.

المثابرة أمّ الاختراع

يقول ويلسون غريتباتش مخترع ناظمة نبض القلب القابلة للزرع: "أهم ما يميزني عن غيري من الناس هو المثابرة، وأعتقد أن هذه الميزة تنطبق ايضا على كثيرين من المخترعين والمكتشفين.

"ان العامل الاكثر أهمية هو أن تنظر الى الشيء متسائلا عما يجعله يعمل، وهل يمكن تحسينه. فالاختراع يتطلب فضولا وحوافز وعجزاً عن اليأس. والمخترع هو ذلك الذي لا يبدأ اهتمامه الفعلي بمشكلة ما الا حين تبدو مستحيلة."

ك.ب.



ان بيع سيارتك القديمة بسعر تستحقه قد يكون أسهل مما تظن

الطريقة الفضلى لبيع سيّارتك المستعمَلة

لدى شرائك سيارة جديدة قد ترغب في بيع سيارتك المستعملة. وللحصول على أعلى ثمن ممكن اليك ما يجدر بك أن تفعله:

التحضير. يعتقد معظم الراغبين في الشراء أن مظهر السيارة يدل على جودتها. خطوتك الاولى هي غسل السيارة وصقلها. بعد ذلك نظف الداخل واستعمل الشامبو لتنظيف السجاد والمقاعد. وتخلّص من المحتويات القبيحة أو التالفة أو المقعقعة.

وسواء أكانت السيارة عصرية أم كلاسيكية، فعليك انجاز عمل يحتاج الى خبرة: تنظيف الثقوب الصغيرة والشقوق بالقطن، وطلاء المساحات حيث تلف الدهان، وتلميع الاطارات والصفحات البلاستيكية. ان مئة دولار تنفقها في

التحسين ستزيد الرغبة في شراء سيارتك. فتش عن زبائن في الاعلانات المبوبة في الصحف، او اسأل مالك مرأب لتصليح السيارات أو محطة للغسل أو وكيل بيع سيارات جديدة.

لا تنسَ غيار الزيت وفحص السوائل والتشحيم وضبط المحرّك، لانها تعكس العناية الجيدة بالسيارة. ومن الضروري إصلاح اطار مثقوب أو قفل مكسور، ولكن يُنصح بتفادي الاصلاحات الكبرى لأنها لا تأتي بربح يذكر. واحرص على اصلاح القطع التي تشكل خطراً على السلامة، كالكوابح التالفة. واذا لم تصلحها فعليك أن تنبه الشاري الى الاخطار المحتملة من جرائها.

لدى بيع سيارة يقل عمرها عن ثلاث سنوات أو لم تتجاوز قيادتها ٤٠ ألف كيلومتر نتفادى غالبا إبدال القطع التالفة كالاطارات والكوابح. وحين يصل عمر السيارة الى ست سنوات او تقطع ٧٠ ألف كيلومتر ترتفع نفقات اصلاحها.

التثمين. لتحديد ثمن سيارتك اطّلع أولا على المنشورات التي تعلن أسعار السيارات القديمة.

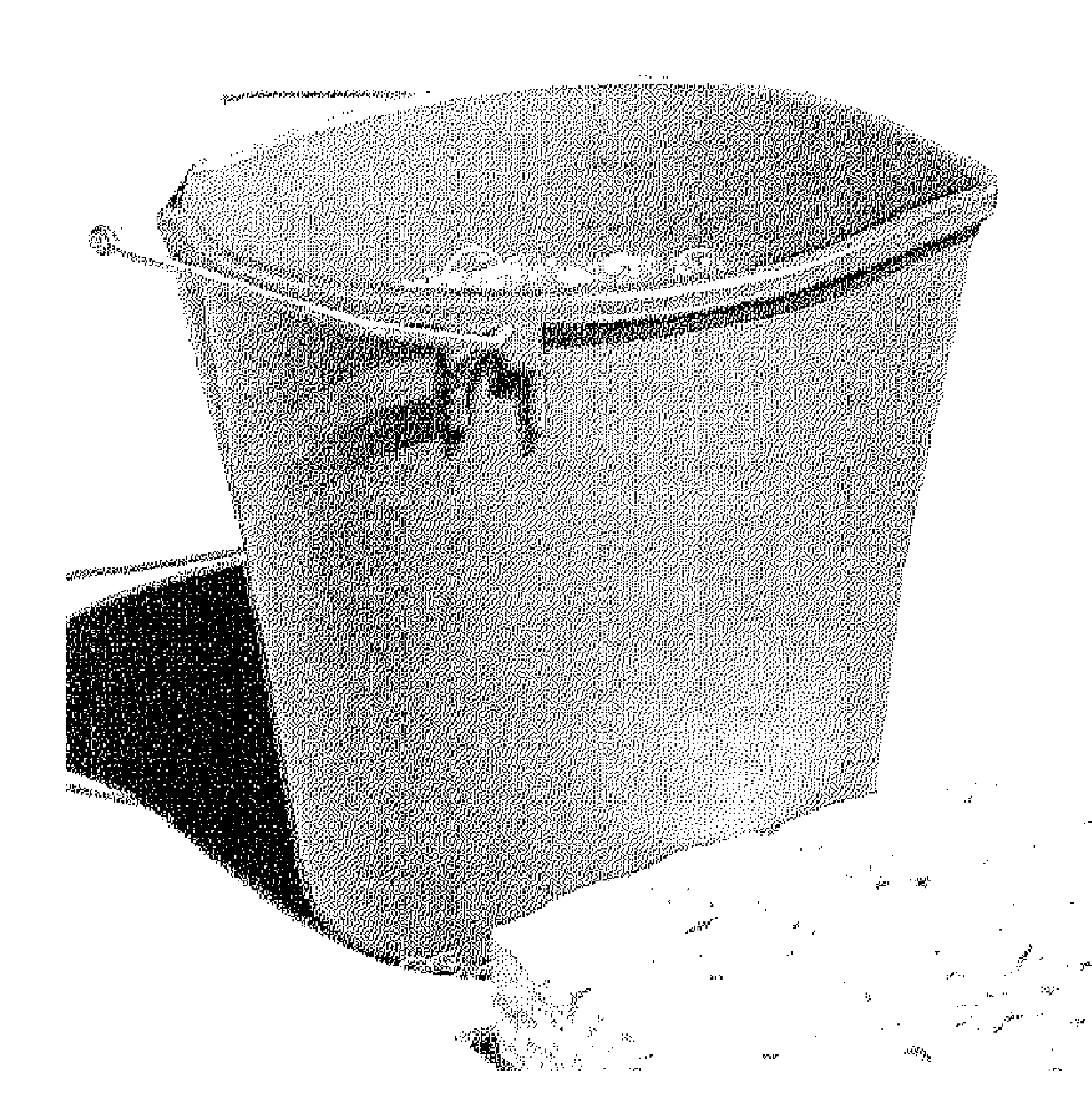
ان لكل سيارة ميزاتها الفريدة، فخذ في الاعتبار عوامل أخرى. ان ثمن السيارة يزداد اذا كانت مجهزة بزوائد، كمكيف هواء أو آلة تسجيل أو سقف سحّاب أو نوافذ آلية، واذا كان طلاؤها وداخلها في حال ممتازة وكانت الاجزاء الميكانيكية تحظى بصيانة جيدة.

ويحدد ثمن السيارة تبعاً لاحوال السوق المحلية. اسأل اثنين أو ثلاثة من وكلاء بيع السيارات الجديدة كم يدفعون ثمناً لسيارتك المستعملة في حال ابدالها بأخرى جديدة. وأضف نحو ١٥٠٠ دولار (لسيارة من الطراز الحديث) فتحدد الثمن الذي يجدر بك أن تطلبه.

وهناك وسيلة ثانية لمعرفة أسعار البيع، هي الاطلاع على الاعلانات المبوّبة في الصحف. فباعتماد السعر الوسط بين أعلى الاسعار وأدناها تكوّن فكرة صائبة عن الثمن المعقول الذي يجب أن تطلبه.

ان بعض الذين يعرضون سياراتهم للبيع يحددون سعراً معقولا ويتشبثون به من دون مساومة. ولكن من المستحسن فسح المجال لاحتمال خفض الثمن وإن قليلا، فترفع السعر الذي تريده نحو ٥ في المئة كهامش احتياط للمساومة.

الاعلان. حين تنشر اعلاناً في الصحف ضمِّنه المعلومات الاساسية الكاملة: نوع السيارة وطرازها وتاريخ صنعها وعدد أبوابها ونوع ناقل الحركة



(أوتوماتيكي أم يدوي) وعدد الكيلومترات المقطوعة وحال السيارة والثمن المطلوب ورقم الهاتف.

ويعمد البعض الى اخفاء عدد الكيلومترات التي قطعتها السيارة أو تجاوز الاشارة اليها أملا باقناع الزبون. لكن إغفال المعلومات الاساسية يثني الزبائن المحتملين عن الاستعلام عن السيارة.

أذكر في الاعلان أوصافاً جذابة مثل "سيارة ذات لونين ناعمين متناسقين." وقد يكون لعبارات مثل "محفوظة في مرأب" و"مالك واحد" أثر مرغّب في الشاري. تجنب تعابير مثل "نظيفة فوق العادة" وذكر ثمن "ذكي" مثل "٥٧٩٩ دولاراً" لان ذلك يظهرك كوكيل بيع.

الاتصالات. سجّل أرقام هاتف الراغبين في الشراء الذين يتصلون بك لكي تسهل عليك مراجعتهم.

كن صادقاً واذكر للزبون أي علة في السيارة، لان معرفتها السابقة تهوّن وقعها عليه. فما من أحد يرتجي أن تكون السيارة المستعملة في حال كاملة، لكن اكثر الناس يأملون أن يجري التعامل معهم بصدق وأمانة.

لا تخجل من لفت الانتباه الى مزايا سيارتك، ولكن لا تظهر شديد الرغبة في البيع. فاذا كانت عنايتك بالسيارة ممتازة أطلع الشاري على ذلك، فسجلات الصيانة تترك انطباعاً واقعياً مقنعاً. لا تُخفِ عن الشاري ذكر الاصلاحات الرئيسية التي أجريتها في السيارة.

اذا رغب الزبون في قيادة السيارة لاختبارها فاطلب أن ترى رخصة السوق، واذهب معه أو احتفظ بمفاتيح سيارته. اذا تعرضت السيارة لحادث عندما يقودها غيرك فأنت المسؤول قانوناً.

قد يطلب الشاري أن يفحص السيارة لدى أحد الميكانيكيين. يمكنك رفض طلبه في حال اعتقادك أنك قادر أن تبيعها من غير فحص. أما اذا قررت السماح بفحصها فاطلب مبلغاً من المال كتأمين يستعاد اذا لم تكن حالها مرضية. وفي جميع الحالات رافق الشاري خلال فحصها.

البيع. في حال الاتفاق على الثمن أطلب عربوناً غير قابل للرد كضمان للبيع بحدود ٥٠ دولاراً أو ما تراه مناسباً، ولبضعة أيام. واذا طلب الشاري مهلة أطول فاطلب عربوناً أكبر.

أطلب من الشاري أن يدفع الرصيد نقداً أو حوالة. وقبل اتمام الصفقة نظم سند بيع يفيد أنك بعت السيارة "كما هي ومن دون أي ضمانات حاضراً أو لاحقاً." واحتفظ بنسخة منه موقعة من الشاري.

وقد يغيّر رقم لوحة السيارة أو يبقى كما هو في دائرة تسجيل السيارات لدى نقل الملكية. واذا لزم الامر فيجب إعلام الدائرة أن السيارة بيعت، فتعفي نفسك من المسؤولية منذ تاريخ بيعها.

اذا أحسنت التهيئة فقد تجد أن بيع سيارتك اختبار سارّ. فما عليك الا أن تبرزها بحلّة لامعة بهجة، وتطلب الثمن المعقول، وترى المالك الجديد يمضي بها مغتبطاً مطمئناً.

رون جانوس ■



- تكلّم ببطء وبصوت منخفض ولا تُسهب.

جون وين، ممثل أمريكي

- لعل أكثر ما يرضي الانسان أن يرى لاولاده أولاداً مراهقين.

د.ل.

- لا ينجح أحد بالموهبة فقط. الله يعطي الموهبة، والعمل يحوِّلها عبقرية.

آنا بافلوفا، راقصة روسية

- لا تنتظر النجاح اذا بقيت محتمياً تحت شجرة العائلة.

ك.م.

- اذا تعذر عليك الفوز، إجعل من يسبقك يكسر الرقم القياسي.

ج.م.

- ليست الاشاعات الكاذبة وحدها مؤذية، فهناك حقائق كثيرة لا يجوز تناقلها.

ف.ك.

- يمكنك الاعتراض على السلطة، ولكن إرفع اصبعك أولا.

ب.ت.

- في الطقس امثولة لنا، فهو لا يعير النقد انتباهاً.

ن.د.ك.

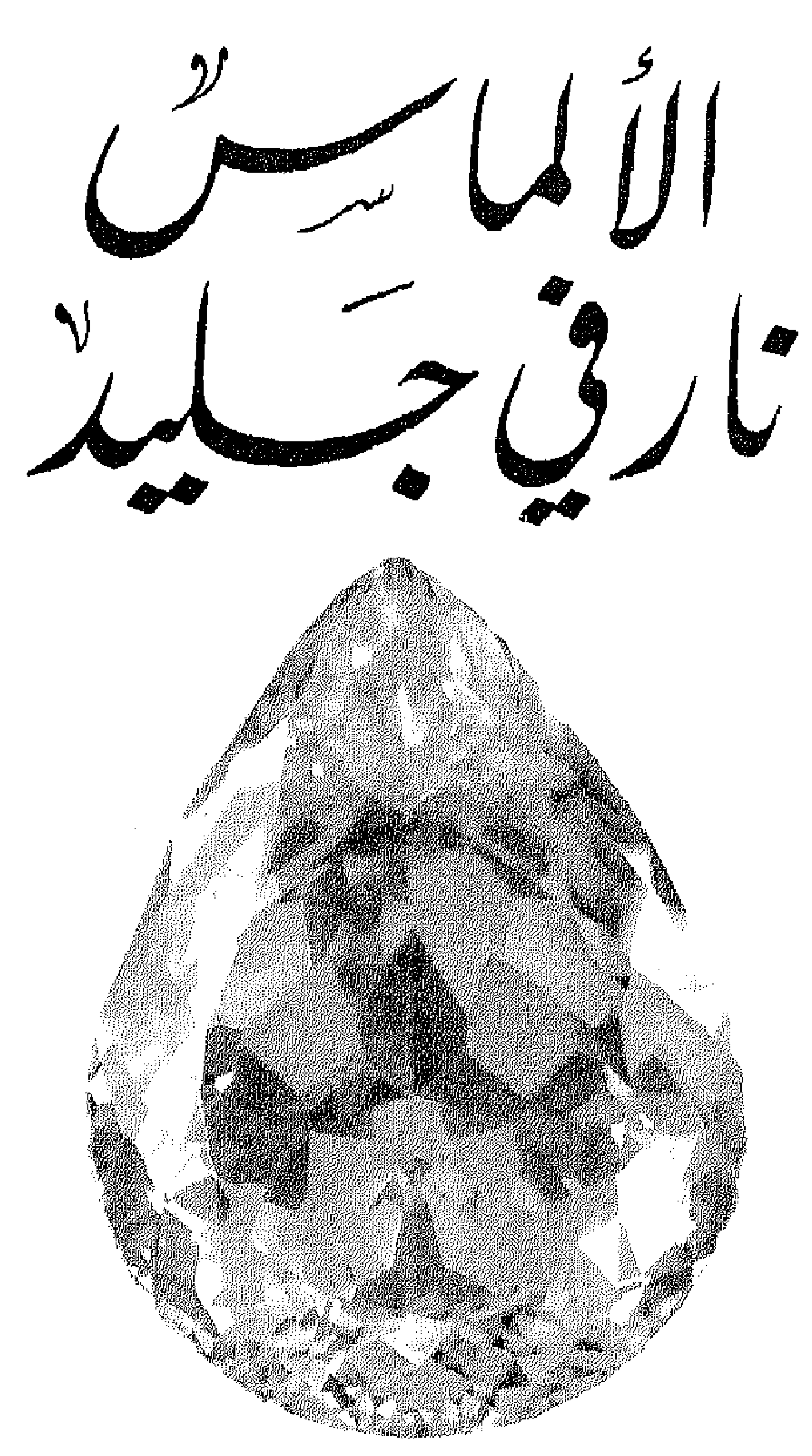
- أعظم الفنون فن العيش المشترك

وليم ليون فليس، مربٍّ وناقد أدبي

- وافِق دائماً على ما يُطلب منك قبوله، ثم حوِّله لمصلحتك.

روبرت فروست، شاعر غنائي

الألماسُ
نارٌ في جليدٌ



"ما دام الحب يجمع الرجال والنساء
فلا خوف على مستقبل الالماس"
سيسيل رودس

في الثاني من ابريل (نيسان) ١٩٨٧ كانت النجمة السينمائية اليزابت تايلور تذرع أرض بيتها في بيل اير بكاليفورنيا وسماعة الهاتف في يدها. وفي اللحظة ذاتها في مدينة جنيف بسويسرا كان دلال يفتتح مزاداً علنياً على مجموعة رائعة من المجوهرات ندر عرض مثلها للبيع. وكانت هذه المجوهرات تخص دوقة وندسور الراحلة، وقد صيغ معظمها بطلب شخصي من الدوق الذي تخلى عن عرش بريطانيا من أجلها.

أما القطعة التي انجذبت اليها اليزابت تايلور فكانت مشبكاً للشعر من الذهب الخالص مرصعاً بالالماس في شكل شعار أمير ويلز وتاجه. كان المزاد يجري بحماسة الى ان رفعت تايلور عرضها الى

٥٦٠ ألف دولار، فانسحب المزايدون ورسا عليها المزاد. وقد صرحت تايلور أخيراً بأنها كانت على استعداد لدفع مبلغ ٧٠٠ ألف دولار ثمناً للمشبك.

إن سر هذا الحب التاريخي، اضافة الى ثبات قيمة المجوهرات العظيمة، ولد تأثيراً غريباً في جنيف تلك الليلة أدهش محترفي تجارة المجوهرات. وقد أسفرت عملية المزاد عن مبلغ صافٍ بلغ ٢٧٠ مليون فرنك(١) لمصلحة معهد باستور الباريسي وهو المستفيد الرئيسي من وصية الدوقة.

وبعد المزاد بأقل من شهر اجتمع شراة محترفون في مدينة نيويورك في احدى غرف "كريستي" التجارية وهو مركز عالمي آخر للمزاد، للمزايدة على ألماسة لا تتجاوز حجم ألماسة خاتم خطبة، أي ٠،٩٥ قيراط. أما قيمتها فتعود الى لونها الاحمر القاتم النادر الوجود. وقد اشتراها تاجر سويسري بمبلغ ٨٨٠ الف دولار أي ما يعادل ٩٢٦ الف دولار للقيراط الواحد، وهذا اكبر مبلغ دفع للقيراط في تاريخ المزادات على الجواهر.

يعتقد جوزف شلوسيل من "مكتب تسجيل الالماس" في نيويورك أن الالماس سجل عودة بارزة الى الواجهة مع مطلع الثمانينات عندما دفع التضخم المالي الاسعار الى ارتفاع خيالي فبلغ سعر القيراط الواحد من الالماس الجيد نحو ٦٠ ألف دولار. بعد ذلك عرف العالم فترة ركود في مبيعات الجواهر، فانخفضت الأسعار بنسبة ٨٠ في المئة. أما اليوم فقد عادت الاسعار الى الارتفاع وعاد الالماس الصديق المفضل للقادرين، الى كونه رمزاً لعصر رومانسي جديد.

في السنة الماضية (١٩٨٧) عمد ٧٥ في المئة من العرسان في الولايات المتحدة الى شراء خواتم خطبة الماسية لزوجات المستقبل، والنسبة ذاتها من العرائس اليابانيات يتلألأن بالالماس على رغم عدم وجود كلمة "ألماس" في اللغة اليابانية حتى مطلع هذا القرن. وعلى صعيد عالمي سجلت تجارة الجواهر الالماسية رقماً قياسياً جديداً عام ١٩٨٦ هو ٤٢،٦ مليار دولار لتسعة وأربعين مليون قطعة بيعت بالتجزئة (القطاعي). وكما قال سيسيل رودس مؤسس شركة "اتحاد مناجم دي بيرز" وأحد عمالقة المناجم والموزع الاول لمادة الالماس الخام: "ما دام الحب يجمع الرجال والنساء فلا خوف على مستقبل الالماس."

لقيات مثيرة. يشع الالماس على اصبعك بنار الطبيعة الاولية. منذ ثلاثة مليارات سنة والالماس يتكون عميقاً في طيات الارض من مادة الكربون النقي بفعل حرارة البراكين وضغطها. وهو أصلب مواد الطبيعة. جميع الالماسات تتكون داخل أنابيب عمودية في الصخر تدعى "كمبرليت" أو "لامبرويت"(٢) ثم تدفع الى أعلى مع كر الدهور.

بدأت أولى عمليات استخراج الالماس في الهند في حقبة ما قبل الميلاد. وفي أواسط القرن السابع عشر ذهب جان باتيست تافرنييه، وهو صائغ فرنسي

(١) الدولار الامريكي يعادل اليوم نحو ٦،٥ فرنكات فرنسية.

(٢) Kimberlite or lamproite

تابع للقصر الملكي، في رحلة على ظهور الجمال الى بلاد فارس والهند بحثاً عن الالماس الذي عاد به وقدمه الى سيده الملك لويس الرابع عشر. وقد ساهم تافرنييه في تكريس الالماس رمزاً للاناقة والترف في أوساط العائلات الاوروبية النبيلة.

وعندما أوشكت المناجم الهندية على النضوب اكتشف رحالة برتغاليون ألماساً في البرازيل عام ١٧٢٥. وطوال مئة وخمسين سنة استخرجوا معظم ألماس العالم الجديد من ترسبات نهرية. وفي العام ١٨٦٦ وجد اراسموس جاكوبس، وهو مزارع شاب، حصاة لماعة قرب نهر أورانج في جنوب افريقيا. وتبين أن هذه الحصاة هي ألماسة خام تزن نحو ٢١،٢٥ قيراطاً(٣). بعدئذ بدأت هجمة كبيرة على المناجم. ونبش المنقبون أكبر حفرة من صنع الانسان قرب كمبرلي. وأخيراً ضمت الملكيات الصغيرة المحفورة لتؤلف شركة "مناجم دي بيرز المتحدة." حدث ذلك قبل مئة عام.

قدمت مناجم جنوب افريقيا معظم جواهر العالم الخلابة. وفي العام ١٩٠٥ استخرجت الألماسة "كالينان" التي تزن ٣١٠٦ قراريط وتعتبر أكبر ألماسة خام وجدت الى الآن. استخرجت هذه الالماسة من أحد جدران "المنجم الرئيسي" في جنوب افريقيا وقدمت هدية الى الملك ادوارد السابع لمناسبة عيد ميلاده السادس والستين عام ١٩٠٧. وقد صنعت من هذه الالماسة تسع جواهر كبرى و٩٦ جوهرة صغيرة. وأكبر جوهرتين في هذه المجموعة، وهما "نجمة افريقيا" و"نجمة افريقيا الثانية"، هما اليوم بين معروضات جواهر التاج التي تبهر الزائرين وتشدهم الى برج لندن.

طلع مع النمل. ان انجذاب العالم بوهج الالماس وبريقه وسره يؤمن وظائف لاكثر من مليوني شخص في العالم. ويستخرج الالماس تجارياً في نحو عشرين بلداً. ويقص ويصقل في نحو ثلاثين بلداً آخر. إن بوتسوانا في افريقيا الجنوبية هي رائدة في انتاج الالماس الصالح للجواهر، ويدر عليها بيع الالماس الخام اكثر من ٧٥ في المئة من عملاتها الاجنبية. ولقد اكتشفت حقول الألماس



من مجوهرات التاج البريطاني: التاج الامبراطوري ورأس الصولجان.

(٣) الاونصة تعادل ١٤٢ قيراطاً والغرام يعادل خمسة قراريط.

فيها عام ١٩٦٧ عندما لاحظ المنقبون في صحراء كالاهاري فتات ألماس في كثبان النمل، إذ ان النمل نبش هذا الفتات من عمق ثلاثين متراً خلال بحثه عن الماء.

وفي العام ١٩٧٩ غطى هذا الاكتشاف اكتشاف آخر في اوستراليا الغربية حيث وجد عمال المناجم أنبوباً صخرياً دعي "أرجيل" واعتبر على الفور أكبر مخزن للالماس في العالم على الاطلاق. وفي ١٩٨٦ و١٩٨٧ انتجت أوستراليا نحو ٣٠ مليون قيراط من الالماس، أي ما يعادل ثلث انتاج العالم.

وقد اكتشفت شركة "بريدج أويل" الاوسترالية ألماسات في مستعمرة غينيا الفرنسية في غرب افريقيا يزيد وزن الواحدة منها على مئة قيراط. وفي أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٧ بيعت في مدينة أنفير ببلجيكا ألماسة غينية رائعة تزن ١٤٣ قيراطاً، بمبلغ ضخم بلغ ثلاثة ملايين و٦٥٤ الف دولار.

ان قرابة ٨٥ في المئة من الالماس المستخرج حديثاً في العالم تتجمع في لندن لدى المكاتب الرئيسية لمؤسسة "دي بيرز." وداخل غرف منورة بنوافذ شمالية توفر افضل نور ممكن، في مبنى محصن في شارع تشارترهوس، يجلس نحو ٦٠٠ مصنف للالماس الخام، فيتفحصون الحجار من خلال عدسات مكبرة ويصنفون كل حجر بحسب لونه وشكله ونقاوته. وتتراوح ألوان معظم ألماس الجواهر بين بياض ثلجي ناصع وصفار شاحب. ويعتمد صانعو الجواهر طريقة الحروف الأبجدية في التعريف بألوان الالماس، مبتدئين بالحرف «D» الذي يرمز الى البياض الناصع ومنتهين بالحرف «Z». ويعتمدون الطريقة نفسها في تصنيف الحجار الملونة: الزهرية والحمراء والزرقاء والصفراء والخضراء والبنية.

أما النقاوة فتعود الى علامات "خِلقية" أو ضمنية طبيعية تتمتع بها جميع الالماسات تقريباً. وكلما قلّت هذه العلامات وصغرت ارتفعت قيمة الالماس. فعبارة "لا تصدع" تعني ان الالماسة خالية من أي شق مرئي تحت عدسة مكبّرة عشر مرات. وبالفعل فان ألماسة واحدة من أصل خمس تتحول جواهر، أما الالماسات الاربع الاخرى فتستعمل لاغراض صناعية.

نور ونار. يعمل موظفو المركز الرئيسي لشركة "دي بيرز" على توضيب تشكيلة من الحجار الخام في أكياس ورقية بغية بيعها من زبائن خبراء في الالماس. معظم هؤلاء الزبائن يأتون من مراكز رئيسية في العالم تختص بقص الالماس وصقله، أهمها بومباي وأنفير ونيويورك. وفي الايام المخصصة للمشاهدة – وهي عشرة في السنة – يدخل الزبون غرفة خاصة حيث يلقي نظرة اولى على الالماسات الموضبة. أما أسعارها فتكون عادة بملايين الدولارات وتصل احياناً الى ٢٥ مليوناً.

يشرح كارلوس دوماير، المدير الاداري لمصانع "لانس" للالماس في مدينة بيرلار في بلجيكا، الخطوة الاولى في عملية تصنيع الالماس، فيقول: "ان معظم الالماسات الخام يجب أن تنشر أو تشق

لتصبح حجاراً هندسية الشكل جاهزة لعملية الصقل الاخيرة. أما المنشار فهو أسطوانة رقيقة غير مسننة من البرونز الفوسفوري مطلية بزيت الزيتون وغبار الالماس، وهي بدورانها السريع الذي يبلغ ١٥ الف دورة في الدقيقة تقطع الحجار المثبتة على الآلات.

وعملية شق الالماس أسرع من نشره لكنها أشد خطورة. يستعمل الاختصاصي ألماسة أخرى أو أشعة لايزر ليحفر ثلماً صغيراً في الالماسة الخام، ثم يضع سكيناً تشبه الازميل فوق الثلم وينقر نقرة واحدة، فإن حالفه الحظ انشقت الالماسة عند الثلم من دون أي خسارة، والا انكسرت وتبعثرت شظايا صغيرة.

وفي مصانع "الاخوة تراو" في أنفير يعمل ليو دي فوس، أحد صاقلي الالماس، بتأن على طلي أسطوانة الصقل بغبار الالماس الممزوج بالزيت واللعاب لصقل ألماسة خام تزن ٨،٢ قراريط. فيبدأ بقطع سطحها ٥٨ "وجهاً" مصممة بدقة وفقاً لمعادلة رياضية بحيث تعكس أكبر مقدار من النور، أو "النار". وفي النهاية، بفضل مهارته وابتسام الحظ له، ينهي ليو عمله منقذاً نحو ٤٥ في المئة من الالماسة الخام في شكل جوهرة جميلة.

على رغم أن الحجار الكريمة ذات النوعية الجيدة تحتفظ بقيمتها المادية على مر السنين، فإن قلة من الاختصاصيين بالالماس ينصحون بشراء هذه الجواهر استثماراً أو توظيفاً للاموال. وفي العام ١٩٨٧ بيّنت مؤسسة "الاخوة سالومون" التي تتعاطى السمسرة والاعمال المصرفية في نيويورك أنه، خلال مدة خمسة عشر عاماً، ارتفع سعر الالماس بمعدل ٤،١ في المئة سنوياً فقط.

استعمالات شتى. ليس بالمال وحده تقاس قيمة الجواهر الجيدة. وقد نقل عن هاري ونستون وهو صانع جواهر شهير في مدينة نيويورك، أنه اشترى ألماسة خاماً تزن ١٠٠ قيراط فصنع منها جوهرة فاتنة على شكل إجاصة وباعها من احد الاثرياء العرب. وفي السنة التالية أعاد الشاري الجوهرة مطالباً بقيمتها المادية. فسأله ونستون مندهشاً: "لماذا تعيدها يا سيدي؟ انها ألماسة جميلة." فأجابه الثري: "لدي أربع زوجات. فان أهديت هذه الجوهرة الى احداهن فلن أنعم بالسلام مدى الحياة، إلا إذا كانت لديك ثلاث جواهر أخرى تشبهها." فهز ونستون رأسه واستعاد الجوهرة طائعاً.

والى قيمته كجوهر يتميز الالماس بمواصفات صناعية لا تحصى. فالإبر ذات الرؤوس الالماسية تحسّن صوت الفونوغراف. والمناشير ذات الحد الالماسي تقطع الصلب والرخام. والحفارات الالماسية تخترق الصخر وتصل الى ترسبات النفط. وجراحو العيون يستعملون شفرات ذات حد ألماسي في الجراحات الدقيقة. أما علماء وكالة الفضاء الامريكية (ناسا) الذين صمموا المركبة الفضائية "بيونير" لتخترق أجواء كوكب الزهرة، فقصّوا ألماسة طبيعية تزن ٢٠٥،٤ قراريط لصنع سبع نوافذ للمركبة لم يتجاوز عرض الواحدة منها ٢،٥ سنتيمتر لكنها قوية بحيث تتحمل جو

كوكب الزهرة الحار الخانق وتكون في الوقت ذاته شفافة جداً تسمح بعمل معدات الابحاث.

وقد استخدم الالماس الاصطناعي، ولا يزال يستخدم، في مجالات عدة. واليوم طور العلماء طريقة ترسيب غشاء من الالماس الاصطناعي على مواد كالسيليكون والمعادن. ويعتقد كارل سبير من جامعة بنسلفانيا أنه يمكن استعمال هذا الغشاء لصنع رقاقات(٤) للدماغ الالكتروني أكثر فاعلية، وأدوات صلبة تحسّن الاتصالات السلكية في الفضاء وفي ظروف اشعاعية مكثفة.

وعلى رغم انتشار صناعة الالماس الاصطناعي فإن الاقبال على الالماس الطبيعي يظل أكبر. ويتكهن بيتر ميلر، وهو محلل لمؤسسة "شيرسون لاهمان" في لندن، بأن مبيعات المجوهرات الالماسية ستزداد. وكتب عام ١٩٨٧: "واضح جداً أن سوق الالماس هي اليوم في المراحل الاولى لطور تصاعدي."

الالماس عجيبة من عجائب الطبيعة، ولا يزال يمتلك القدرة على تأدية دور مفيد، وسيبقى رمزاً للحب والثروة.

روبرت باركر ■

(٤) Chips



الممرضة مرتاحة!

أنا ممرضة، وأسهر دائماً على ابقاء جسم المريض في وضع سليم على شراشف ممهَّدة. وقد لاحظت ذات يومٍ مريضة منزلقة حتى منتصف سريرها وقد تبعثرت الملاءات تحتها، فعرضت عليها ان أنهضها وأسوّي شراشفها، لكنها احتجت قائلة إنها على ما يرام. غير أني أصررت على تسوية وضعها.

وبعد إنهائي المهمة شعرت بالفخر لمعالجتي الامر بجزم. حينئذ سألتني المريضة: "هل أنا مرتاحة الآن؟"

د.ب.

"ثقة" بالنفس


كنتُ أتحدث مع رفيقتي في الصف حول الرسالة التي سيقدمها كل طالب في نهاية الفصل. فاشتكت قائلة: "لا أعرف كيف أعالج موضوع رسالتي. ليتني أكثر ذكاء. انه موضوع صعب فعلا، ولا أظنني قادرة عليه."

فسألتها أي موضوع اختارت، فأجابت: "الثقة بالنفس."

ك.أ.

سيئة الحسنات أن لها نهاية، وحسنة السيئات أنها تنتهي أيضاً.

أ.ث.


مأساة واقعية
رأت الأم المقعدة طفلتها طافية في حوض السباحة ووجهها الى أسفل. فأدركت أن انقاذها في يدها هي وحدها
أمّ مقعدة
وطفلة غريق

بدأت شمس الصباح تدفىء هواء صحراء "إل ميراج" التي تبعد ١٤٠ كيلومتراً عن لوس انجلس. وجلست سندي دنلوب تراقب طفلتها كيلا البالغة من العمر سبعة عشر شهراً وهي تمرح مع "كروزر" كلب العائلة الوثّاب. كان ذلك في أحد أيام أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٦، والمياه في مسبح العائلة باتت قارسة البرودة.

قطع جرس الهاتف على سندي (٢٩ عاماً) صفاء جلستها، وهي كانت مشلولة من صدرها حتى قدميها اثر تعرضها لحادث سيارة قبل اثنتي عشرة سنة. فأدارت كرسيها المتحرك متجهة الى أقرب هاتف في المرأب خلف الفناء. وكان المتكلم جارتها التي رغبت في الدردشة.

سمعت سندي فجأة صوت رشاش ماء، ففكرت: لا بدّ أنه كروزر ثانية. وكان الكلب يقفز الى المسبح تكراراً في اليوم الواحد. لكن سندي احست أن شيئا ما لم يكن على ما يرام، اذ ان سكينة تامة عمّت المكان. قطعت المكالمة وأدارت دواليب كرسيها متجهة الى الفناء، حيث ارتعبت اذ رأت كيلا عائمة في حوض السباحة ووجهها الى أسفل، وكروزر المسعور يركض رواحاً وجيئة عند حافة المسبح وهو يحاول الامساك بالطفلة.

كادت سندي أن تفقد صوابها. فزوجها رون غادر المنزل قبل ساعات الى العمل، ومحله الخاص ببيع لوازم السيارات يبعد تسعين دقيقة في السيارة. وهي تعرف أن أقرب وحدة اسعاف طبي تبعد أربعين كيلومتراً، وأن أقرب جار يبعد قرابة ٨٠٠



متر. فقررت أخيراً وهي تدفع كرسيها عبر الممر المؤدي الى المسبح أن لا وقت لديها للاتصال بأحد. وقالت في نفسها: يجب أن أنقذ طفلتي بنفسي.

كانت سندي قادرة على السباحة، فقد اعتادتها في أيام الصيف كجزء من العلاج الطبيعي الذي اتبعته، لكن رون كان دائماً يساعدها في النزول الى الماء والخروج منه، اذ كانت تعوزها القوة لتحريك الجزء الاسفل المشلول من جسمها. كانت كيلا عائمة بعيداً في المسبح، فقالت سندي في نفسها: "كيف أستطيع أن أخرجها من الماء وأنا نفسي عاجزة عن الخروج؟

فكرت سندي في رون الذي أحب كيلا كثيراً وطالما أعرب عن ثقته بأن سندي تستطيع الاعتناء بطفلتهما في بيتهما المنفرد. وصدمها الوضع الصعب: هي وحدها تستطيع أن تنقذ كيلا، تلك الطفلة الاعجوبة التي قال بعض الاطباء ان عليها ألا تلدها أو انها قد لا تلدها أبداً.

لم يكن ثمة من وقت لايقاف الكرسي والنزول منه، ولا سبيل للوصول الى كيلا من حافة المسبح. وهكذا تابعت سندي طريقها واندفعت بكرسيها المتحرك الى الماء.

مزرعة الجدول الكسيح. ولدت سندي في مدينة سان بول بولاية منيابوليس. وفي السادسة من عمرها انتقل والداها الى بلدة سان برناردينو قرب بحيرة أروهيد في كاليفورنيا. وهناك ترعرعت حتى اصبحت فتاة هادئة متحفظة.

صباح التاسع عشر من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٤، بينما كانت سندي تقود سيارة والدها "الجيب" الى المدرسة، اصطدمت بنتوء عند منعطف حاد. ففقدت سندي السيطرة على السيارة وارتمت منها خارجاً. تحطمت أضلاعها الا واحدة، وتحطم مشطا كتفيها، وانهارت احدى رئتيها وثقبت الأخرى. أما أخطر ما في الامر فكان انكسار ظهرها وانقطاع حبلها الشوكي.

لم يكن المستشفى المحلي مهيأ لمعالجة اصابات بهذه الخطورة، فنقلت سندي جواً الى المركز الطبي في جامعة لوما لندا. وخلال الدقائق العشر التي استغرقها طيران المروحية، ومن ثم في لوما لندا، عمل الاطباء وعائلتها على ابقائها واعية. وظلت والدتها تحضها قائلة: "ابقي يقظة يا بنية." فهي أدركت أن جهاز التنفس المعطوب والمتلاشي في صدر ابنتها سيتوقف ان لم تحافظ على وعيها لكي تتنفس.

وفي دوّامة عالمها الرمادي شعرت سندي بأنها ملزمة أخذ قرار. كانت كأنها جالسة على سياج يخيّم الهدوء والظلام على جانب منه والحركة والضوء على الجانب الآخر، فاختارت بكل قواها الضجة والبهاء والحياة.

تلك الليلة وضع الاطباء على وجه سندي، وهي في شبه غيبوبة، كمامة تنفس، وأبلغوا والديها انهم قد يخفقون في انقاذها ان استمرت حالتها في التدهور. ابتهلت الام الى الله قائلة في نفسها: لقد كافحت ابنتي طوال النهار لتبقى حية، انها تستحق كل فرصة تمكنها من المواظبة على المحاولة.

أفاقت سندي فجأة في يومها الثالث في المستشفى وهي تلهث طلباً للهواء. شعرت كأنها تغرق، ونزعت كمامة التنفس عن وجهها. أما رئتاها الممزقتان فلم تتجاوبا. وكان أخوها الاكبر جف الى جانب سريرها فصرخ مستنجداً. واذ شرع فريق طبي في شق الرغامى (القصبة الهوائية) أخذت سندي تتخبط في فراشها.

تقدّم جف أمام الممرضات والاطباء محدقاً الى وجه سندي وهو يقول: "استريحي يا سندي، ودعيهم يعملون."

سمّرت سندي عينيها في عيني أخيها، ومرة ثانية اختارت الحياة. أرخت ذراعيها وأبقت رأسها هادئاً فيما الفريق الطبي يعمل على وضع كمامة تنفس جديدة. وأخيراً، تدفق الاوكسيجين الى رئتيها من جديد.

بعد سبعة أشهر أُخرجت سندي من المستشفى وبدأت كفاحاً طويلا مع الحياة، اذ كان الجزء السفلي من جسدها قد شُلَّ تماماً. تطوعت للعمل في مكتبة مدرسة ابتدائية، وكموظفة بدوام جزئي في مؤسسة والدها للمقاولات الكهربائية. وكانت تقود سيارة ذات ضوابط يدوية.

أخيراً استغلّت مبلغاً من المال استوفته من شركة تأمين لشراء منزل بعيد في الصحراء. وهناك قررت أن تتقبل اعاقتها وتحيا من دون خوف. وأطلقت على مقامها اسماً غريبا هو "مزرعة الجدول الكسيح." وعاشت هناك طوال خمس سنوات وحيدة مستقلة. أما الذين قلقوا عليها فقالت لهم جازمة: "أريد أن أحيا حتى أموت."

عندما التقت سندي رون دنلوب خلال حفلة في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٣ لم يخلّف أحدهما لدى الآخر انطباعاً قويا. حينذاك كان رون (٣٨ عاماً) يعاني آثار طلاق حديث، وكلاهما كان حذراً من اقامة علاقات. ومع ذلك وجد كل منهما مزيداً من الاعذار ليتصل بالآخر. وفي ربيع ١٩٨٤ أدركا أنهما مغرمان وتزوجا في وقت قريب. وعلى غرار سندي، وجد رون سلاماً في المزرعة، وعن طيب خاطر تقبّل الرحلة اليومية الطويلة الى مكان عمله.

بحث الزوجان في مسألة انجاب أولاد، لكن أطباء سندي أبلغوها أن الحَبَل يعرض صحتها للخطر، وربما حياتها أيضاً. وقال رون: "أنت تعرفين أني أريدك أن تلدي لي طفلا، لكنني لا استطيع أن أتخذ القرار بنفسي، فأنت من سيتعرّض للخطر."

فردت سندي: "أنا لها."

وفي السابع عشر من ابريل (نيسان) ١٩٨٥ ولدت كيلا، طفلتهما الاعجوبة.

انها حية! عندما سقط كرسي سندي المتحرك في حوض السباحة غرق للحال. وللحظة بهر الماء البارد نَفَسها. لكنها ألزمت فكرها التركيز على كيلا التي كانت تبعد عنها ثمانية أمتار. سبحت سندي في اتجاه كيلا وأمسكتها بذراع واحدة ثم جذبت نفسها نحو حافة بركة السباحة. وإذ قلبت كيلا في الماء، رأت أن شفتيها زرقاوان وعينيها مغمضتان وأنها لم تكن تتنفس.

ناورت سندي حتى أوصلت كيلا قريباً من حافة المسبح، وحاولت أن ترفعها

وتخرجها منه. واذ لم تكن قادرة على أن تضرب برجليها وجدت نفسها تنزلق تحت سطح الماء وتعوم مبتعدة عن ابنتها. لكنها عادت تجذّف بيديها متجهة نحوها، وأخذت نَفَسا عميقاً ثم غطست مادة ذراعيها تحت جسم كيلا وقابضة على حافة المسبح بأطراف أصابعها. دست رأسها تحت جسم الطفلة محاولة استعمال كتفيها لرفع الطفلة فأصبحت كيلا خارج المسبح حتى وسطها. ولكن اذ تعبت سندي من احناء رأسها انقلبت ابنتها فوقها وسقطت ثانية في الماء.

كررت سندي المحاولة لكنها أخفقت. وفي المرة الثالثة أبقت رأسها منتصباً وكتفها اليمنى مشدودة الى أعلى. واذ دفعت بكل قواها شعرت بكيلا تنقلب الى اعلى يديها. وفجأة انطرحت الطفلة على وجهها متراخية فوق الارض الاسمنتية خارج المسبح.

قلبت سندي كيلا على ظهرها وهي لا تزال في الماء. فوجدت انها لا تتنفس، فانحنت فوق حافة البركة ملقية بثقلها على مرفقيها، ونفخت في فم طفلتها. لم يحدث أي تغيير، وعادت الى ذهنها ذكريات نضالها على شفير الموت قبل سنوات. ونفخت ثانية بيأس، فتمايل جسم كيلا وبصقت ماء. ثم بدأت تبكي وتسعل وتلهث، فهتفت سندي في نفسها: انها حية!"

"لا بأس يا كيلا، ماما هنا." كانت شفتا الطفلة لا تزالان زرقاوين وعيناها مغشّاتين. عرفت سندي أن كيلا قد تكون في حالة صدمة أو هبوط غير عادي في حرارة الجسم أو عطل دماغي نتيجة نقص الاوكسيجين. كان عليها الوصول بسرعة الى هاتف. ولكن كيف تخرج من الماء؟

دارت غريزياً على ذاتها وسبحت الى الزاوية المقابلة من الحوض الذي يبلغ طوله تسعة أمتار وعرضه أربعة، الى أن بلغت النقطة التي كان رون دائماً يرفعها منها الى الخارج. تشبثت بكل ما في ذراعيها وصدرها من قوة وتلوّت رافعة بنفسها الى الحافة حيث انحنت ورفعت ساقيها. وعندئذ أدركت أن كيلا التي تصرخ باكية كانت في الجانب الآخر من الحوض. وبدلا من ان تعود الى الماء، شرعت تزحف على الارض الاسمنتية المحيطة بالحوض متوجهة نحو ابنتها. وحين وصلت اليها أخيراً ضمتها وقد أرهقها التعب وأعجزها عن الحراك. أما الكلب كروزر فظل يلحس وجه كيلا.

زحفت سندي خلفياً، والطفلة في حضنها، نحو العشب قرب الفناء. وفجأة لاحظت أثر دماء. تفحصت كيلا فلم تجد فيها جراحاً. كان الدم يسيل من عقبي قدميها هي وقد مزّق الاسمنت لحمهما، ثم لاحظت أن جلد يديها أيضاً كان مجلوطاً.

قوة الحب. وضعت سندي طفلتها على العشب. كان الهاتف الوحيد الذي تستطيع الوصول اليه من دون كرسيها المتحرك في غرفة النوم. هناك أمسكت قبضة الباب ودفعته فانفتح، وجرّت نفسها داخل الغرفة. أمسكت سماعة الهاتف الموضوع على الطاولة قرب السرير وطلبت رقم الطوارىء.

قالت سندي: "لقد سقطت طفلتي في

حوض السباحة! جعلتها تتنفس، وهي تبكي الآن."

- أين تسكنين؟

"في مزرعة الجدول الكسيح."

- حسناً، سنرسل فريقاً.

بعد ذلك اتصلت سندي بزوجها قائلة بصوت متشنج: "وقع حادث، كيلا سقطت في حوض السباحة ولم تكن تتنفس."

استطاع رون أن يسمع كيلا تصرخ: "ماما! ماما!" فاتصل بجارة تدعى سو براون وصلت الى المكان في أقل من خمس دقائق.

كانت كيلا وسندي ترتجفان بعصبية. اسرعت سو فنزعت ثياب كيلا المبللة وجففت الطفلة ودستها تحت غطاء سرير والديها، ثم عملت بجهد لرفع سندي الى السرير.

خشيت سو أن تكون كيلا وسندي في حالة صدمة، ولم يكن فريق الاسعاف الطبي وصل بعد. اتصلت برقم الطوارىء وعلمت أن سيارة الاسعاف وعربة الاطفاء تواجهان صعوبة في العثور على المكان. وما لبثت السيارتان أن هدرتا على الطريق الترابية المؤدية الى مزرعة الجدول الكسيح بعد ارشادهما.

في سيارة الاسعاف على الطريق الى المستشفى الذي يبعد قرابة أربعين كيلومتراً، بدأت سندي تشعر ببعض الالم من جلد يديها الممزق. أما كيلا التي أقلق سكونها فريق الاسعاف فأصبحت أكثر نشاطاً.

وفي المستشفى تم تضميد يدي سندي وقدميها، وأعلن الاطباء ان حالة كيلا جيدة، ولم يظهر عليها أي تأثر متأخر بنقص الاوكسيجين. ولكن على رغم تطمينات الاطباء وإثناءهم على سندي لما قامت به من أجل انقاذ كيلا، فقد شعرت بالأسى. أتراها خذلت كيلا ورون؟

في تلك اللحظة دخل رون على عجل، وحمل ابنته وحضنها بين ذراعيه القويتين. ثم سأل سندي: "هل كيلا بخير؟" فأومأت سندي برأسها ايجاباً.

"هل انتِ بخير؟" أومأت سندي ثانية برأسها.

جثا رون قرب الكرسي المتحرك وضم زوجته الى صدره قائلا: "يا سندي، لقد فعلت حسناً. وأنا كنت دائماً واثقاً بقدرتك."

حينذاك انفجرت سندي بالبكاء ذارفة دموع الفرج والفرح. فعلى رغم اعاقتها، فعلت ما تفعله أي أم لانقاذ طفلتها، وعند الحاجة القصوى وجدت داخلها قوة غير عادية، قوة وقودها الحب.


جاي ستولر ■



ذم في معرض المدح

بعدما اهتمت والدتي، الموظفةُ في محل تجاري، باختين توأمين، سمعتْ احداهما تطري الاخرى وتبالغ في مدح قبعتها بقولها: "كم اود لو استطيع ارتداء مثيلتها، لكنها ستبدو رهيبة عليّ!"

م.م.ف



المال "يحكي"
كذلك بطاقة الاعتماد. الا أن هذه
لا تعرف الا كلمة واحدة: "اصرف!"

بطاقات الاعتماد: وداعًا أيهَا التوفير!

في أقل من أربعين عاماً أصبحت بطاقة الاعتماد (١) جزءاً لا يتجزأ من محفظة المواطن في عدد كبير من الدول، لا بل أصبحت توازي بأهميتها رخصة القيادة وتؤثر في كل شكل من أشكال الحياة. في الماضي كان شراء الطعام بواسطة بطاقة الاعتماد امراً مستغرباً، أما اليوم فأضحَت هذه الطريقة الوسيلة العادية لدفع ثمن وجبة طعام فاخرة. وتقبل المستشفيات ببطاقة الاعتماد كوسيلة لدفع أجرة جراحة، كما تقبل بها مكاتب تأجير السيارات، وتُدفع بها الضرائب الحكومية.

ان في حوزة الامريكيين عدداً كبيراً جداً من البطاقات البلاستيكية. وفي وسع أي بالغ "مستحق" أن يحصل على بطاقة اعتماد. ويحمل المواطن العادي سبع



(١) Credit card

بطاقات أو ثماني. واستناداً الى "جمعية المصرفيين الامريكيين"، يحمل ما يزيد على مئة مليون أمريكي ما يراوح بين ٧٠٠ و٨٠٠ مليون بطاقة.

وقد جعلت بطاقات الاعتماد من الدَيْن جزءاً أساسياً من طريقة العيش الامريكية. فلماذا الإدّخار لشراء جهاز ستيريو أو لإمضاء عطلة عندما يمكنك الحصول الآن على ما تطلب بمجرد ملء خانة «X» في بطاقة خاصة. وكان أن نتج من هذا الوضع ارتفاع معدل الديون الفردية المقسّطة من ٢٣٩ دولاراً عام ١٩٦٠ إلى ٢٧٠٣ عام ١٩٨٨. فتوقف الدفع في الوقت المحدد وبدأ الشراء في الوقت المحدد.

ومن المفارقات أن يكون الفقراء والمجرمون هم الوحيدون الذين يحملون معظم أموالهم نقداً في الولايات المتحدة مهد النظام الرأسمالي. فأصبحت الأوراق النقدية كأنها بضاعة فاسدة لأنها تؤدي دور الوسيط في عمليات مهربي المخدرات والخاطفين.

بزغ عصر البطاقات البلاستيكية في الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الاولى، وأصدرت شركات النفط بطاقات لئلا يضطر السائقون الى حمل مبالغ نقدية كبيرة. وطوّرت شركة "فارينغتون" للتصنيع عام ١٩٢٧ بطاقة معدنية شبيهة بتلك التي تُعلّق بطوق كلب. ويقال إن مخازن "فيلين" في بوسطن هي أول من استعملها. وبدأت شركات السكك الحديد والطيران اصدار بطاقات مماثلة إثر الحرب العالمية الثانية.

الا أن "بطاقة الحساب" أبصرت النور حقيقة عام ١٩٤٩، عندما وجد فرنك ماكنمارا الذي كان يدير شركة صغيرة للتسليف التجاري في مدينة نيويورك، أن ليس معه ما يكفي من المال في أحد المطاعم، وتعين على زوجته أن تأتي من الضاحية المجاورة لدفع فاتورته. وفي اليوم التالي روى ما حصل معه لشريكه رالف شنايدر، فخطرت لهما الفكرة الآتية: قد يقبل الناس بدفع خمسة دولارات سنوياً للانضمام إلى ناد يُمكّنهم من دفع وجباتهم "على الحساب" في المطاعم المحلية.

فكان أن تأسس نادي "داينرز كلوب" (٢) في ٢٨ فبراير (شباط) ١٩٥٠. في البدء قبل فندق واحد واثنان وعشرون مطعماً بطاقة هذا النادي. ولم تمضِ عشر سنين إلا وكان ١،١ مليون شخص في أنحاء العالم يمتلكون بطاقات "داينرز كلوب" وتمكنهم من أن يتذوقوا وجبات فاخرة في مطاعم "مكسيم" الفرنسية أو يذهبوا في رحلة صيد الى افريقيا أو يشتروا إحدى لوحات بيكاسو بمجرد ابراز بطاقاتهم.

وحفزت حسابات الصرف شيوع "بطاقة السفر والترفيه." وفي العام ١٩٥٨ تبنّت "مصلحة الدخل" في الولايات المتحدة نظاماً يقضي باقتطاع مبلغ معفى من الرسوم للزبائن الذين يتناولون وجبات العشاء في المطاعم. ولتثبيت هذه التكاليف وتجنب حفظ سجلات اضافية كثيرة بدأت الشركات إصدار بطاقات لموظفيها. فعمدت الـ"أميريكان اكسبرس"، وهي شركة عمرها مئة عام

(٢) Diner's Club

كانت تُعنى بالشيكات السياحية، الى اصدار بطاقاتها الجديدة التي تفي بكل الحاجات. وأفادت وكالة أبحاث في ذلك الوقت أن بطاقة الاعتماد أصبحت بالنسبة الى المستهلك الامريكي "شعاراً لقدرة لا تنضب."

بطاقات للكلاب! اذا ما أردنا اعطاء تحديد دقيق لبطاقات "داينرز كلوب" و"أميريكان اكسبرس" و"كارت بلانش" لاعتبرناها "بطاقات حساب" لا بطاقات اعتماد لأن الحساب يجب أن يُسَدَّد شهرياً، أما بطاقات الاعتماد الحقيقية فهي وليدة المصارف، وتُعتبر أعظم اختراع مصرفي بعد الفائدة.

عرض بعض المصارف الصغيرة بطاقات اعتماد في الخمسينات، الا أنها سجلت نجاحاً محدوداً، إذ لم يقبل بهذه البطاقات الا عدد ضئيل من التجار لأن قلة من الناس كانت تملكها. والحقيقة أن قلة من الناس كانت تملكها لأن قلة من التجار كانت تقبل تداولها. ولم تُكسَر هذه الحلقة المفرغة إلا عام ١٩٦٦ عندما بدأ "بنك اوف امريكا" في سان فرنسيسكو ترخيص بطاقات "بنك أميريكارد" (التي تُعرف اليوم باسم ڤيزا) ونشرها في المصارف الاخرى في أنحاء الولايات المتحدة. وفي هذه الاثناء تعاونت مصارف الساحل الشرقي في اطار شركة مماثلة أصبحت تُعرف في ما بعد باسم "ماستركارد."

وتجاوبت المصارف المحلية مع هذا الوضع الجديد على نحو أدى الى أوسع انتشار لبطاقات المستهلك في التاريخ. وقد أرسل بعض مصارف شيكاغو الملايين من بطاقات الاعتماد بالبريد في العام ١٩٦٦. ولم يتكلف سوى عدد قليل من هذه المصارف عناء التحقق من امكانات الاشخاص الذين أرسلت اليهم. وهكذا وُزعت البطاقات على العاطلين عن العمل وعلى الأطفال وعلى المتوفين. حتى ان بعضها أُرسل الى كلاب وهررة! الا ان الكونغرس الامريكي منع عام ١٩٧٠ ارسال بطاقات كهذه بواسطة البريد. ولكن في العام ١٩٧٣ كان الشبان الذين بلغوا الثامنة عشرة من عمرهم عرضة لوابل من العروض الصادرة عن شركات توزع مثل هذه البطاقات.

الورقة الرابحة. أصبح دفع ثمن المشتريات عملا سهلا لكثير من الامريكيين وغيرهم، اذ زال العائق القديم، أي نقص المال. فأصبح ملايين الناس غارقين في دَيْن بطاقات الاعتماد. وأظهرت أبحاث أجرتها كلية علوم المستهلك في جامعة بيردو أن حيازة بطاقة اعتماد تزيد الحافز على الشراء. وتأتي هذه الحوافز على نحو مفاجىء ومغر، حتى بات مجرد النظر في واجهات المتاجر حدثاً محفوفاً بالمخاطر.

هايدي شولز اختصاصية بالتجميل في هيوستن، وقد بلغ مجموع ديونها عشرة ملايين دولار بواسطة ثلاث بطاقات "ماستركارد" وبطاقة "ڤيزا".

ويقول جوزف موفي، وهو محام مختص بقضايا الافلاس في بوسطن، ان سهولة الحصول على بطاقات الاعتماد هي أحد الاسباب الرئيسة التي أدت الى ارتفاع

حالات الافلاس الفردي بنسبة ٣٥ في المئة منذ ١٩٨٥.

والورقة الرابحة في لعبة بطاقات الاعتماد هي الفائدة المرتفعة. فلسنوات عدة راوحت معدلات فائدة بطاقات المصارف ما بين ١٨ و١٩ في المئة. ولكن بحلول خريف ١٩٨٨ عاد معظمها الى الارتفاع ليراوح ما بين ١٦ و١٧ في المئة.

ويعمد أدهى المفيدين من البطاقات الى شراء حوائجهم بُعَيْدَ إرسال الفواتير الشهرية اليهم، ثم يسددون كل ما عليهم قبيل انتهاء المدة المحددة. وتكون النتيجة أنهم حصلوا على قرض معفى من رسم الفائدة لنحو شهرين. ويسدد نحو ثلث المفيدين من البطاقات ديونهم كل شهر من دون أن يتحملوا رسوم فائدة. ومن الغرابة الا يعلم أكثر من نصف حاملي البطاقات أن معدلات الفائدة والرسوم على بطاقات "فيزا" و"ماستركارد" تختلف من مصرف الى آخر.

البطاقات الذكية. نما الغش بالبطاقات بالسرعة نفسها التي نمت بها ديون المستهلك. وتُرتكب يومياً ألوف الجرائم المتعلقة ببطاقات الاعتماد في الولايات المتحدة. والى وقت قريب ظل حجم عمليات تزوير البطاقات ينافس عمليات تزوير الاوراق النقدية. وآخر العمليات كانت سرقة البطاقات من البريد واستعمالها قبل أن يعلم صاحبها بما حدث. وقد تمت معالجة هذا الاسلوب باعتماد خطوط للدماغ الالكتروني تصدّق التفويض ووضع لوائح بالبطاقات "الساخنة" موزعة على نطاق واسع. ونجد اليوم طرقاً أكثر تطوراً للسرقة، بما فيها استخدام الادمغة الالكترونية للوصول الى البيانات المصرفية التي تختزن أرقام بطاقات الاعتماد.

ويحصل الغشاشون على المعلومات من مالكي البطاقات مباشرة عبر عدد من عمليات الاحتيال. فقد ينشرون إعلاناً في صحيفة يدّعون فيه أنهم "نادٍ ينظم رحلات بسعر مغر،" أو يرسلون بطاقة بريدية يدّعون فيها أن الذي تلقاها ربح رحلة مجانية. وعندما يتصل بهم المرء يطلبون منه اعطاء رقم بطاقة اعتماده وتاريخ انتهاء صلاحيتها.

اما بالنسبة الى مكافحة الاحتيال، فالشركات في سعي دائم الى طرق جديدة لاكتشاف أي حركة غير عادية في الحساب، ولصنع بطاقات يصعب تزويرها. وتلجأ كل من "فيزا" و"ماستركارد" الى خط اليد المكتوب بأشعة ليزر لكشف أي تزوير. وقد اختبرت كل من الشركتين "البطاقة الذكية" التي تحوي رقاقة كومبيوتر مبرمجة برموز أمان لا يعرفها الا صاحب البطاقة.

ولأن رقاقة "البطاقة الذكية" قادرة على خزن كل ما يتعلق بحسابات عدة ومعالجتها، فقد تصبح هذه البطاقة هي الآلية التي تراقب مدفوعات المستهلك. فهي قد تقوم مقام مدقق الحساب، وحساب التوفير، وبطاقة الاعتماد، وبطاقة التحويل التي تحول الاموال فوراً من حسابك الى حساب آخر.

هروب البطاقات. ان مجال عمل بطاقات الاعتماد واسع جداً ويشهد

منافسة محمومة. وتقدم مشاريع البطاقات تسهيلات مغرية، كتوفير الاوراق النقدية في حالات طارئة، والمساعدات الطبية والقانونية. وتتنافس "ڤيزا" و"ماستركارد" على الزبائن في أنحاء العالم. ويبدو أن "ڤيزا" تحتل المركز الاول. وفي هذه الأثناء كشفت الـ"أميريكان اكسبرس" عن بطاقة جديدة تدعى "أوپتيما" ووظيفتها كبطاقة مصرف، الا أنها تمتاز بمعدل فائدتها الادنى والمتغير. وفي المقابل تتيح "ماستركارد" لمالكي البطاقات الممتازة السفر والإقامة واستئجار سيارات بسعر منخفض. أما "ڤيزا" فتطلق حملة اعلانات واسعة النطاق توحي أنها مقبولة أكثر من "أميريكان اكسبرس."

مع الانتقال من تداول الذهب الى تداول البطاقات البلاستيكية، يبدو لنا أن هذه البطاقات تستطيع شراء كل شيء.

أبرز بطاقتك لدفع ثمن نعشك أو دروس الكاراتيه أو سيارة مستعملة. واذا وقعت في إفلاس كلّف محامياً بارعاً الدفاع عنك. ويمكنك أيضاً أن تبرز بطاقتك لدفع أجرة أتعابه.

وليم اسنبارغر ■



القول الفصل

خلال دراسة أخي في الجامعة ظل أبي يحضه على الاهتمام بدرسه بدل الحفلات وضروب التسلية. وكثيراً ما رأيت أبي يبعد سبابته عن إبهامه بضعة سنتيمترات قائلا انه بات على تلك المسافة من اخراجه من الجامعة اذا لم تتحسن علاماته.

وعندما وصل التقرير الجامعي التالي بعلاماته قال أبي راضياً إن تهديده الاخير فعل فعله. فسلم أخي بتغيّر سلوكه، لكنه نسبه الى أمي التي قالت له انها باتت على تلك المسافة من السماح لوالده بذلك.

ك.ل.

محطة الهدايا

كنت أتردد على محطة الوقود التي يملكها والدي، حيث كنّا نقدم الى الزبائن كوباً مجانياً كلما ملأوا خزان سيارة. وذات يوم، إذ همّ أحد الزبائن بالانصراف، تذكّرتُ اني لم أعطِه هديته. فأسرعت الى المحطة وعدت مادّاً الكوب بيدي. فرمى السائق فيه بضعة دراهم وقال وهو ينطلق بسيارته: "أحسنت صنيعاً يا بنيّ."

ر.م.

الشك زهرة لا ينِي المرء ينزع تويجاتها متسائلا: نعم... لا... نعم... لا...

م.ل.



بعد ٤٤ سنة من الحياة الزوجية
و٢٩ انتقالا سكنياً وفقدان ولد
وتحمل ضغوط ثلاث حملات رئاسية
لا تزال هذه السيدة
تقول ما تؤمن به بصراحة ولباقة

بَربَارة بُوش سَيّدة البَيْتِ الأبيَضْ

من يجتمع بالامريكية الأولى برباره بوش يجد أنها صادقة بالنسبة الى مقاس ثيابها (١٤) وعمرها (٦٤) ولآلئها (مزيفة). ترتدي ثياباً رياضية خلال عطلة نهاية الاسبوع من دون أن يكون في نيتها ممارسة الهرولة. تصفف شعرها بنفسها وتحب تناول الطعام المكسيكي في مطاعم الوجبات السريعة. تقرأ الروايات البوليسية بشغف وتعاكس زوجها وتقول كل ما يجول في خاطرها. وتأخذ الكلبة في نزهة وهي في ثوب النوم.

تعترف بأنها عندما كانت زوجة نائب الرئيس لم تكن تحاسَب كما اليوم على كل ما تقول أو تفعل. وهي اقترحت مرة أن يخلع زوجها ملابسه ليدحض إشاعات تقول انه جرح خلال احد المواعيد. تقول: "أنا اليوم أكثر حرصاً، قليلا، على ما أقول." وتتوقف هنيهة ثم تضيف: "قليلا فقط."

للوهلة الاولى تبدو حياة زوجة الرئيس الامريكي سهلة. فهي تسكن في منزل كبير وتسافر كثيراً وتقيم المآدب وهي تعلم أن أحداً غيرها سيتولى أعمال التنظيف. لكن لهذا المركز عثراته. ان من يتقرب من الرئاسة يتحمل آراء الناس المتضاربة حول النساء كزوجات وأمهات وزميلات وصديقات. على السيدة الاولى أن تكون لبقة ولكن من غير خضوع، وقوية ولكن من غير أن تشارك في الحكم. عليها أن تدافع عن زوجها وتبتسم بشجاعة عندما يقول كلاماً تافهاً. عليها أن تبدو عظيمة، كما عليها أن تكون أُمّاً لاولاد كاملي الاوصاف (على رغم أن كائنات كهذه ليست موجودة في الطبيعة) وأن تتسكع حول الكرة الارضية في وقت تفضل أن تكون في بيتها بمعية كتاب شائق. والاقسى من ذلك أن عليها أن تظهر أنها تحب كل لحظة من لحظات حياتها هذه.

الثعلب الفضي. قد يثبت التاريخ أن برباره بوش هي المرأة المناسبة في المكان المناسب. لديها مشاريع، كمحو الامية وتعزيز الابحاث السرطانية وتحسين نظام التعليم، تسبق زمنياً حب زوجها للسياسة. وبينما هي تتقدم في عقدها السابع تاركة وراءها سنوات من الاعمال الصالحة وغير نادمة على صب كل طاقاتها داخل عائلتها، تبدو كأنها تجسد العالم الألطف الذي صوره زوجها خلال حملته الانتخابية.

وكغيرها من زوجات السياسيين كرست برباره حياتها لزوجها، الذي كابدت معه وطأة البعد أثناء الحرب وأربعاً وأربعين سنة من الحياة الزوجية و٢٩ انتقالا سكنياً وفقدان أحد أولادها ثم الضغط الناجم عن ثلاث حملات انتخابية رئاسية. لكنها خلال كل ذلك بقيت متشبثة باستقلاليتها. إن اسمها الحركي في لغة الاستخبارات هو "الهدوء" (١) الذي يناقض حقيقة امتلاكها عدة أساليب للاستفزاز. الانتقاد يغضبها، خصوصاً اذا طاول زوجها. وفي امكانها أن تنهي مقابلة بحركة من يدها، اذ انها طالما تألمت من هؤلاء الذين يتكلمون بلطف ويجرون المقابلات بخشونة (كما حدث عندما قالت لها المعلقة التلفزيونية الامريكية جاين بولي: "ان زوجك رجل من الثمانينات، وأنت امرأة من الاربعينات، فما قولك في ذلك؟")

وعلى رغم أنها قضت شوطاً طويلا من حياتها في تكساس فان هذه المرأة الآتية من راي في ولاية نيويورك لا تزال تحتفظ بطابع من النبالة يجعل الآخرين يتخلون أمامها عن عنجهيتهم. يقول عنها زوجها انها أكثر صراحة منه. ويقول عنها رئيس الحزب الجمهوري لي أتووتر: "لها القدرة على تمييز شخص غير مخلص من بعد كيلومتر." وأولادها يدعونها تحبباً "الثعلب الفضي."

روح مرحة. تمازح برباره زوجها حول ثيابه، فتتهمه بانتقاء الملابس الضيقة التي لا تناسب مقاسه، كما تنتقد حذاء رعاة البقر الذي ينتعله. تقول عن هذا الحذاء: "على الجوانب هنالك الاحرف الاولى من اسمه بلون ذهبي ونجمة

(١) Tranquillity

تكساس الرسمية بالالوان." وهو بدوره يمازحها حول كلبتها الانكليزية "ميلي".

والاولاد يوافقون على أن والدتهم كانت مسؤولة عن تطبيق النظام اليومي في المنزل، اذ ان جورج كان دائم السفر لتلبية متطلبات مركزه، ولا يتدخل إلا في الامور الكبيرة. وكانت بربارة شديدة التنظيم. ونادراً ما كانت تفوت مشاهدة المباريات التي يشارك فيها الاولاد، وكانت تنظم حفلات أعياد ميلادهم وتتطوع للاشراف على اجتماعات الحركات الكشفية. ويقول عنها أحد الاصدقاء انها كانت تستطيع ادارة شركة "جنرال موتورز" بما تبقى لديها من وقت فائض. وتكتب بربارة رسائل الشكر فور وصولها الى المنزل. وفي حين يلقي الناس الاخرون المدونات التذكارية عن رحلاتهم في صندوق منسي، تحفظ بربارة مدوناتها التذكارية في ٦٠ مجلداً ضخماً للقصاصات. يقول ابنها مارفن: "إنها من النوع الذي يصرّ على أن نصل الى المطار قبل الاقلاع بساعة، بينما يحب والدي أن نصل قبل الاقلاع بخمس دقائق."

إن الحفاظ على أولادها الخمسة مقربين بعضهم من بعض جعل بربارة أكثر من مديرة موقتة. أعطاها ذلك روح النكتة وطبعاً مرحاً ناقداً (وهذا سر الزواج المتين بحسب رأيها) وموقفاً غير مبالٍ بالنسبة الى عدد الاشخاص الذين سيتناولون طعام الغداء الى مائدتها. يقول مارفن: "كان الجميع يحبون المجيء الى منزلنا دائماً."

وهي تحب أن يجتمع حولها أولادها الخمسة وأحفادها الأحد عشر. إنها لا تتأفف من أصدقاء جورج الخمسة آلاف الذين يزورونهم من غير موعد سابق.

بعدما ابيض شعرها في مستهل عقدها الرابع بدأت تصبغه باللون "البني الدافىء" على رغم أن ذلك مصدر ازعاج بالنسبة الى شخص يسبح باستمرار ويغسل شعره كل يوم. أخيراً توقفت عن صبغه. تقول: "كان ذلك مهزلة."

وثياب بربارة جذابة، لكنها لن تعرف يوماً بانتسابها الى مصمم معين. أما بالنسبة الى وزنها، فإنها تتمتع بالاكل ولن تعود رشيقة كما كانت في الماضي.

وعلى رغم أن انتقاد الناس لشعرها ووزنها وتجاعيدها يؤذي، فإنها استطاعت أن تجيّر هذه الملاحظات لمصلحتها مستعملة روح النكتة التي أعانتها في السياسة أيضاً. خلال العطلة التي قضتها مع زوجها في فلوريدا بعيد انتخابه رئيساً، ظهرت لها صور وهي تسبح مرتدية ثوب سباحة محتشماً. وفي وقت لاحق مازحت المصورين طالبة منهم ان يغطوا عدساتهم: "إن اولادي يتذمرون في أنحاء البلاد."

"فاي تشي!" بربارة هي ثالثة أربعة أولاد، كدّ والدهم ليصل الى رئاسة مجلس ادارة شركة "ماكول" (التي ملكت مجلة "ماكول" من ضمن مؤسسات أخرى). وكانت والدتهم سعيدة بتربيتهم وباستقبال الضيوف والاعتناء بالحديقة. التحقت بربارة بمدارس خاصة ورسمية. وفي حفلة عيد الميلاد في غرينتش بولاية كونيتيكت، خلال سنتها الاخيرة في المدرسة الثانوية، التقت جورج بوش

الذي كان تخرج حديثاً من أكاديمية فيليبس في اندوفر بولاية مساتشوستس. وكان جورج غير متحمس للرقص، فطلب منها التوقف عن رقصة فالس والخروج معه الى الهواء الطلق. فخرجا ووقعا في الحب.

بعدما أُسقطت طائرة بوش فوق المحيط الهادىء في يونيو (حزيران) ١٩٤٤ تركت برباره جامعة سميث، وكانت في سنتها الجامعية الثانية، لتتزوج الرجل الوحيد الذي أحبته. تقول: "عندما أخبر أولادي يسخرون مني."

وبعد تخرّج بوش من جامعة ييل عام ١٩٤٨ حزم الزوجان حقائبهما وتوجها غرباً في سيارتهما، مصطحبين ابنهما جورج، ليحققا نجاحاً في حقول النفط في تكساس. كانت محطتهما الاولى أوديسا في شقة ذات غرفة نوم واحدة. بعد ذلك انتقلا الى ميدلاند ثم هيوستن، حيث جمع بوش ثروة صغيرة بمقاييس تكساس (باع حصته في آبار زاباتا البحرية عام ١٩٦٦ بمليون دولار).

أثناء اقامتهما في تكساس تعرضت برباره لاعظم خساراتها. عام ١٩٤٩ قتلت والدتها بحادث سيارة. ثم في أحد أيام ربيع ١٩٥٣ استيقظت روبن، الثانية بين الاولاد وكانت في الثالثة من عمرها، وهي تشعر بتوعك. شخّص الاطباء المرض على أنه اللوكيميا (سرطان الدم) وتوقعوا الا تعيش الصغيرة أكثر من أسبوعين. بقيت روبن تكابد المرض ثمانية أشهر ظلت خلالها برباره، التي بدأ شعرها يبيضّ، جالسة قرب سريرها في "مركز سلون - كيترنغ التذكاري" للامراض السرطانية بمدينة نيويورك وكان زوجها يحضر الى المركز في نهاية كل اسبوع.

يقول الاصدقاء ان جورج وبرباره استطاعا التغلب على مصيبتهما بتشجيع واحدهما للآخر. فاذا طغى الحزن الشديد على أحدهما سارع الآخر الى دعمه وتشجيعه. وتقول برباره: "لقد عضدني جورج ولم يدعني أنهار. جميعنا يعلم أن غالبية الناس الذين يفقدون أولاداً ينتهون بالطلاق لأن أحدهما يتوقف عن التحدث الى الآخر. لم يسمح جورج بأن يحدث ذلك."

في تلك الفترة كان لديهما الصبيان جورج المولود عام ١٩٤٦ وجيب المولود عام ١٩٥٣.

بعد ذلك أنجبت برباره، بتتابع سريع أدى الى تخفيف وطأة الألم، نيل (٣٤ عاماً) ومارفن (٣٣) ودوروثي (٣٠). وتؤكد برباره أنها أنجبت جميع أولادها بتصميم سابق.

دخل بوش الكونغرس الامريكي لدورتين من ١٩٦٧ الى ١٩٧١. وخسر مرة في انتخابات مجلس الشيوخ، كما أخفق في الحصول على منصب في الامم المتحدة عام ١٩٧١. حدث كل ذلك قبل أن تكوّن برباره شخصيتها العامة. فالى ذلك الحين كانت شديدة الخجل، حتى أنها بكت مرة لاضطرارها الى الخطابة في نادي "غاردن" في هيوستن. وكانت انغمست في الاعمال المنزلية بين الحفاضات والصحون حتى فقدت ثقتها بنفسها.

عندما عيّن بوش مبعوثاً لبلاده في الصين عام ١٩٧٤ أصبحت برباره جزءاً مهماً في العملية. ولأول مرة في حياتها

تحررت من اللقاءات اليومية واجتماعات الاهل والمعلمين، وأصبح في مقدورها أن تتفرغ كلياً للمنصب. كانت تحب التحدي، فتخرج من المقاطعة المخصصة للاجانب في بيكين الى "المدينة المحرمة" حيث كانت تركب الدراجة الهوائية وتمارس رياضة "تاي تشي" الدفاعية وتتعلم الصينية وتلعب كرة المضرب مع المسؤولين الاجانب.

بعد الصين كانت عودة بوش الى واشنطن نوعاً من خيبة الامل. فقد رأس وكالة الاستخبارات المركزية، وأصبحت بربارة بعيدة عن كل شيء بعدما كانت جزءاً من كل شيء. وهي تتساءل مازحة: "لماذا يخبرني أي أسرار؟ فهو يقول عني إنني أبدأ كل عبارة أنطقها بقولي: لا تخبروا جورج انني أخبرتكم بهذا..."

تعليمات الرئيس. ان سكنى جورج وبربارة في البيت الابيض كرئيس وزوجة رئيس أعطاهما فرصة جديدة ليقضيا كثيراً من الوقت معاً. ولبربارة عدة قضايا خاصة تهتم بها. فابنها نيل مصاب بعلّة عسر القراءة (٢) مما يدفعها الى الاهتمام بمكافحة الامية. وفي العام ١٩٨٤ ألفت كتاب "قصة س. فريد" (٣) الذي يتضمن نظرة ساخرة الى حياة واشنطن على لسان كلبها. وهي فعلت ذلك بعدما أكد لها الناشر نلسون دوبلداي أن الكتاب سيكون وسيلة جيدة لدعم مجهودها في مكافحة الامية. وقد بيعت منه ١٥ ألف نسخة فتبرعت بربارة بحصتها من الارباح للجمعيات الخيرية التي تهتم بمحو الامية.

ومرض ابنتها روبن باللوكيميا جعلها تشترك في عدة نشاطات طبية. وهي لا تزال عضواً في مجلس أمناء كلية مورهاوس للطب في أتلنتا بولاية جورجيا منذ العام ١٩٨٣، كما أنها قادت حملة جمع تبرعات هناك بلغ ايرادها ١٥ مليون دولار. وقبل سنوات صادقت امرأة في مأوى للفقراء في واشنطن وظلت تزورها كل أسبوع على مدى سنوات الى أن توفيت. ولفترة تزيد على ثلاثين سنة كانت بربارة، ولا تزال، تزور الاجنحة المخصصة للأمراض السرطانية في فترة عيد الميلاد لتلعب مع الاولاد.

قد لا تشترك بربارة يوماً في اجتماعات مجلس الوزراء كما كانت تفعل روزالين كارتر زوجة الرئيس السابق جيمي كارتر، لكن حاجبها المرفوع يستطيع تحدي كدسة من الاوراق الرسمية. فقبل أن يبدأ الرئيس بوش عمله اليومي الرسمي مع مساعديه ومستشاري الأمن القومي، يكون تلقى تعليماته الاولى لذلك اليوم. يقول مارفن ان والديه يستيقظان بعيد الخامسة كل صباح على أنغام الموسيقى الريفية. فيحتسيان القهوة والعصير ويطالعان الصحف في السرير أثناء مشاهدتهما الاخبار على التلفزيون. يتحدثان ويتناقشان حول أحداث النهار، فتبدي هي رأيها في كل شيء، من السياسة الى شؤون الموظفين. ويقول أحد معاوني بوش: "إن الرئيس يستنير بآراء السيدة الاولى. وهذا يساعده."

---

(٢) Dyslexia

(٣) C. Fred's Story

ويبدو تأثير بربارة خصوصاً في المواضيع التي تهمها بعمق، مثل مرض الأيدز وقضية المتشردين الذين لا يملكون مساكن والحقوق المدنية والتعليم. وهي كانت فاعلة جداً في ترشيحها شخصاً أسود هو الدكتور لويس سوليفان لمنصب وزير الخدمات الصحية والانسانية، علماً أنه الوزير الاسود الوحيد في حكومة زوجها وكانت تعرفت اليه أثناء عملها في مورهاوس. كما أن اهتمامها بشؤون الاطفال والامية ساعد بوش على التعهد أن يكون "رئيس التربية والتعليم."

لا يمكن سيدة أولى أن تهرب من التفحص الناقد الدقيق. والنتيجة أن بربارة بوش قد تغيظ البعض بسبب عدم رسميتها أو بسبب التزامها التصرف بلطف مع الآخرين. لكن السيدات الاول أكبر من مجموع أعمالهن الجيدة. فهن يلقين بعض الضوء على قلب الرئيس (اذا كانت تحبه فلا يمكنه أن يكون شريراً). وغالباً ما يعكسن ثقافة زمانهن.

قد تكون رسالة بربارة بوش المخفية مهمة كأي عمل ستنجزه: هنالك شرف في الامومة؛ لا بأس في أن يكون المقاس ٤١؛ تجاعيد الوجه هي ثمن العمر؛ ليس في الكهولة شيء يرعب.

وهذه، لعمري، انجازات كبرى.

مرغريت كارلسون ■



بالشكر تدوم النعم

كانت زميلتي المناوبة في دار العجزة تردد دائماً أنها سعيدة وشاكرة لكل شيء. وذات ليلة، هبّت عاصفة ثلجية رهيبة، لكن زميلتي حضرت الى العمل باكراً صبيحة اليوم التالي. دُهشت لرؤيتها وسألتها كيف استطاعت الوصول. فأجابت: "أقيم على مسافة قريبة، ولذا دببت على يدي وركبتي، وها قد وصلت! كم أنا سعيدة وشاكرة لذلك!"

فسألتها عمّا يسعدها ويستحق شكرها في دَبّها على يديها وركبتيها فوق الجليد والثلج عند السادسة صباحاً. فأجابتني وهي تنفض معطفها: "كان الظلام مخيماً فلم يرني أحد."

ل.ب.غ.

ما أبخس الكلام!

انتقى زبون في مكتبتنا بطاقة معايدة رائعة ووضعها على منضدة الدفع، ومد يده الى جيبه ليُخرج حافظة نقوده. ففتحت الصندوق وقلت له: "خمسة دولارات، من فضلك."

فصاح متعجباً: "خمسة دولارات؟ لن آخذها!" ثم دسّ محفظته في جيبه وخرج غاضباً.

عندما أعدت البطاقة الى الرف قرأت الكلمات الآتية مطبوعة عليها: "الى زوجتي التي تعني لي الكثير."

ش.ب.

بوتسوانا
واحة أفريقيا السوداء

مساحة من السكون والدعة وسط افريقيا الجنوبية المضطربة يعيش فيها السود والبيض في وئام

يقول المؤرخ جيف رامساي: "ما انفكت افريقيا الجنوبية تثبت للعالم ان ليس ثمة مجتمع ديموقراطي غير عنصري. لكن مجتمعاً كهذا قائم في بوتسوانا، وعلى حدود دولة جنوب افريقيا نفسها."

التقيت رامساي الأبيض الامريكي المولد، وزوجته سيجابو المولودة في بوتسوانا، في نادي غابورون وهو مركز شعبي للنشاطات الاجتماعية والرياضية، حيث يجتمع السود والبيض فيتناولون الغداء معاً أو يمارسون لعبة كرة المضرب أو يتبادلون النكات في المقهى.

والنادي بموقعه في العاصمة غابورون، مصغّر لدولة بوتسوانا.

وبوتسوانا، البلاد التي تماثل مساحتها مساحة فرنسا ولا يتعدى عدد سكانها مليون نسمة، أثبتت بعد انقضاء ٢٢ عاماً على استقلالها عن بريطانيا أن في وسع السود والبيض العيش بتناغم.



وقد برز هذا البلد أيضاً كأحد الانظمة الديموقراطية الناجحة في العالم النامي. ويتمسك الشعب بحقه في الاقتراع في انتخابات حرة تجرى كل خمس سنوات. ووفقاً لقول السفير الامريكي ناتال بيلوتشي: "يتسم هذا البلد باستقرار سياسي نادر في افريقيا."

هذه الدولة واحة وسط منطقة قلاقل. ففي غربها تطحن الحرب أنغولا، ويقاتل الثوار لانتزاع ناميبيا من قبضة جنوب افريقيا. وفي الشرق تزخر زيمبابوي بالنزاعات القبلية، فيما تتصف موزامبيق بكثرة الفتن. وفي الجنوب دولة جنوب افريقيا التي يحكمها البيض.

لم يقع في بوتسوانا انقلاب عسكري أو غير عسكري. ويشغّل جيشها الصغير في مراقبة حركة المرور عبر الحدود. وليس لديها سجناء سياسيون. كما يندر الفساد في الادارة الحكومية، والنزاع القبلي هو في ادنى معدلاته. وتوحّد القبائل الثماني الكبرى لغة مشتركة هي "السيتسوانا"، ويمثلها مجلس شيوخ من ١٥ عضواً على غرار مجلس اللوردات في بريطانيا. ويقول احد الموظفين الحكوميين في ذلك: "ان القبائل تعي أن في وسعها ايصال المظالم التي تشكو منها عبر صندوق الاقتراع."

أسود وأبيض. شعب بوتسوانا لطيف المعشر، واثق من نفسه، مطمئن، وهو سهل الاضحاك ويحيي الغرباء بابتسامة ومصافحة. ويتحلى البوتسوانيون بالصبر، فهم "شعب يرعى الماشية التي تعلم الانسان الصبر،" بحسب قول لويس نشيندو خريج جامعة أكسفورد البريطانية ومدير "الشركة الانغلو – أمريكية للخدمات" في بوتسوانا.

غير أن أكثر ما يستوقف الزائر هو غياب التوتر العنصري. فالسود يعيشون ويعملون في وئام مع نحو ٢٠ ألفاً من البيض بمن فيهم خمسة آلاف موظف انكليزي من عهد الاستعمار، وألوف من جنوب افريقيا وزيمبابوي غدوا من أهل البلاد، اضافة الى أجانب يعملون في برامج الاعانات وهم في غالبيتهم أساتذة من أوروبا الغربية وكندا والولايات المتحدة.

والرجل الابيض الوحيد في الحكومة هو كولن بلاك بيرد وزير الاشغال والمواصلات، وهو أحد الذين بقوا في البلاد بعد استقلالها. وتخبر عنه غير ترود فيري أمينة السر السابقة في وزارة التربية: "انه محبوب جداً ويتكلم السيتسوانا بطلاقة ويكثر من ذكر عبارة "نحن، أهل بوتسوانا" وكأنه فرد منا."

أما القضية ذات الشأن لدى أي شعب بعد استقلاله فهي إحلال العنصر المحلي محل الاجنبي الابيض. واذ يتحرق كثير من شباب بوتسوانا الى تولي الوظائف التي يشغلها الاجانب، الا أنهم يدركون مخاطر التبديل السريع. وفي العام ١٩٨١ أسند منصب نائب عميد جامعة بوتسوانا الى أستاذ انكليزي اسمه جون ترنر من جامعة مانشستر الذي أدى مهمته ثلاث سنوات بنجاح. وخلفه في يونيو (حزيران) ١٩٨٤ توماس تلو أستاذ التاريخ في جامعة بوتسوانا وسفير بوتسوانا الى الامم المتحدة.

مدارس في الصحراء. قست الجغرافية على بوتسوانا، اذ تغطي الصحارى ٧٠ في المئة من أراضيها التي يكتنفها البر من جميع جهاتها، ولذا أركنت الى دولة جنوب افريقيا لتيسير منفذ لها الى البحر. ولم يكن التاريخ أقل قسوة، اذ عندما منحت بريطانيا بوتسوانا الاستقلال عام ١٩٦٦ كانت أحد أفقر الاقطار في العالم. ولم يكن فيها سوى ٩٠ كيلومتراً من الطرق المعبدة ومدرسة ثانوية رسمية واحدة و٤٠ خريجاً جامعياً. ولم تكتشف فيها ثروات طبيعية، وكان النشاط الاقتصادي المرتكز على تربية المواشي يدرّ دخلا فردياً سنوياً يعادل ٥٥ دولاراً.

أما اليوم، بفضل حصافة الادارة المالية وسياسة المشاريع الخاصة الحرة واكتشاف الالماس تحت قشرة الارض الجافة، فقد حدثت في بوتسوانا أعجوبة اقتصادية. شقت الدولة ألف كيلومتر من الطرق وقدمت خدمات صحية أدت الى خفض نسبة وفيات الاطفال الى أدناها في افريقيا السوداء، وأتاحت التعليم الابتدائي لـ٨٣ في المئة من الاولاد. ووفقاً لوجهة نظر تانزي ماسيتارا الرئيس السابق لمكتب "اللجنة الوحدوية للخدمات"، وهي وكالة غوث كندية: "لم يتوجب علينا الكفاح لنيل الاستقلال أو لانشاء جيش كبير. فركزنا طاقاتنا في تنمية التعليم والصحة. وباتت هناك عيادات وصفوف مدرسية حيث يتسنى للاولاد تعلم القراءة في قلب الصحراء."

وتتسع جامعة بوتسوانا في العاصمة لنحو الفي طالب بدوام كامل من ١٦ جنسية، ومنهم وافدون من أقطار بعيدة كأثيوبيا والسودان.

لقد سعت بوتسوانا في تاريخها المعاصر الى البقاء على الحياد. ففي العام ١٨٨٥ حين لاح بصيص انشاء أول جمهورية أفريقانية(١) للبيض جنوباً، اختار زعماء القبائل في البقاع المسماة آنذاك "بتشوانالند" ان يكونوا محمية تابعة للتاج البريطاني، خشية الحاقهم بالجمهورية الجديدة. غير أن البريطانيين لم ينفقوا مالا لاستغلال ما رأوه صحراء مترامية الاطراف.

اكتشاف الالماس. وجاء رجل بدّل ذلك كله. انه سيريتس خاما زعيم الحزب الديموقراطي في بتشوانالند ومؤسس الحزب الحاكم حالياً. وهو فاز في انتخابات ١٩٦٥ وأصبح في السنة التالية أول رئيس لدولة بوتسوانا حين منحتها بريطانيا الاستقلال.

خاما، المتزوج انكليزية، نذر نفسه لتكوين مجتمع غير عنصري. وبصفته وطنياً مخلصاً أقنع القبائل بالتنازل للدولة عن حقوق التنقيب عن المعادن حائلا بذلك دون المزاحمة والنزاع الاهلي. وعقب وفاته عام ١٩٨٠ خلفه نائبه كويت مسير وهو أستاذ وصحافي ومزارع سابق. ويؤمن مسير بجدوى المشاريع الحرة، وهو يوازن بين الاستثمار الخاص وسلطة الدولة الضابطة. وقد أفلحت سياسته، اذ ان بوتسوانا، باقتصادها القائم على الموارد المعدنية من نحاس ونيكل وفحم

(١) نسبة الى "أفريقاني" وهو شخص من اصل هولندي، أو اوروبي عموماً، يعيش في افريقيا الجنوبية.



تلاميذ يلعبون في غابورون.

وألماس، أضافة الى لحم الابقار، تفخر بعملتها التي تعتبر من الاكثر استقراراً بين عملات البلدان النامية.

وقد أدى اكتشاف أحد أكبر احتياطات الالماس في العالم أواخر الستينات الى تكريس بوتسوانا بين كبار منتجي الالماس في العالم، والمصدر الاول للحجار الكريمة. ونجم عن هذه الثروة أحداث ٤٦٠٠ وظيفة يشغل أهل بوتسوانا ٤٠٠٠ منها. وبلغ المردود السنوي ٧٥٠ مليون دولار.

وثمة ١٧ في المئة من الارض مخصصة لتشييد ثلاثة متنزهات وطنية وست محميات للحيوانات والنباتات البرية، ومنطقة دلتا أوكافانغو الشمالية الغربية الواسعة، وهي أرض قفر ذات أنهار ومستنقعات وبحيرات وغدران. وقد أم بوتسوانا عام ١٩٨٤ نحو ٥٦ ألف سائح للصيد أو لمشاهدة البراري.

وعلى رغم غنى هذه البلاد بالموارد المعدنية والطبيعية فقد منيت بحظ تعس. اذ تضررت صناعة اللحوم من وباء الحمى القلاعية الذي أصاب الابقار في السبعينات، وأتى الجدب المستمر أكثر من ست سنوات على الغلال وقضى على ثلث الماشية.

اتكالية خطرة. أيستمر النجاح الاقتصادي في البلاد؟ ثمة مصاعب تعترضه، اذ انخفض انتاج الغذاء الى أدنى مستوى له فبلغ سبعة آلاف طن عام ١٩٨٤، مما جعل بوتسوانا تعوّل على المساعدات الخارجية الطارئة.

لكن أحداً لم يمت من الجوع بفضل

جهود مكافحة الجفاف. وساهم مشروع للري شرق البلاد في زيادة انتاج الذرة الصفراء والسرغوم الى ٣٠ ألف طن عام ١٩٨٦. والواقع أن معظم ثروات بوتسوانا تتداولها طبقة محدثة من رجال الاعمال في المدن وأصحاب المواشي في الارياف، فيما الكثرة من سكان القرى معوزون.

واللاجئون أيضاً مشكلة عويصة. اذ تؤوي بوتسوانا قرابة ٤٠٠٠ لاجىء معظمهم من زيمبابوي، شرط الا يستخدموا البلد معقلا لمهاجمة الدول المجاورة. وقد طردت السلطات نحو ٣٠٠ ثائر من زيمبابوي ومن مناصري "المجلس القومي الافريقي" وهو الجماعة المسلحة التي تكافح التمييز العنصري في افريقيا. وقد خوّل "قانون الامن الوطني" الصادر عام ١٩٨٤ الشرطة القبض على كل من يحمل سلاحاً.

ومع ذلك فقد شنت دولة جنوب افريقيا بضع غارات حدودية على بوتسوانا عامي ١٩٨٥ و١٩٨٦، زاعمة أنها تقصف عصاة تابعين للمجلس القومي الافريقي. وفي ذلك يقول عالم الاجتماع الكندي هربرت آدم الاستاذ في جامعة كيب تاون بجنوب افريقيا: "هذه الاعمال تذكر بأن بوتسوانا هي تحت رحمة دولة جنوب افريقيا."

فاعتماد بوتسوانا على تلك الدولة كبير. اذ ان ما بين ٧٠ و٨٠ في المئة من صادراتها ووارداتها تنتقل عبر موانىء جنوب افريقيا، ويربطها بهذه الجارة اتفاق تجاري هو "الاتحاد الجمركي في افريقيا الجنوبية" الذي يؤمن ١٤ في المئة من عائداتها السنوية. والى ذلك يعمل نحو ٣٠ ألف بوتسواني في مناجم الذهب بجنوب افريقيا، ويحوّلون قرابة ٤،٩ ملايين دولار الى بلادهم.

وبغية التخفيف من هذه الاتكالية انضمت بوتسوانا الى "مجلس افريقيا الجنوبية للتعاون الانمائي" الذي يشكو أعضاؤه التسعة المتباينون(٣) من المشاكل ذاتها. وقد خفضت بوتسوانا وارداتها من دولة جنوب افريقيا من ٨٧ في المئة عام ١٩٨٣ الى ٧٦ في المئة وذلك باقامة علاقات تجارية جديدة مع الدول الاخرى في مجلس التعاون الانمائي.

وتثني وزيرة الخارجية غاوستوي شيبي، المرأة الوحيدة في الحكومة، على روح التعاون التي سادت مجلس التعاون الانمائي منذ تأسيسه عام ١٩٧٩: "اذا ما ثابرنا على تركيز مواردنا كشراكة، فسننمو اقتصادياً على نحو أفضل مما لو كنا فرادى." وهي تأمل، "حين يقضى على التمييز العنصري ذات يوم، أن ينضم الينا شعب جنوب افريقيا بأسره. فنعمل انذاك معاً في سلام."

بوتسوانا تنير السبيل. وهي، بكلمات رئيسها مسير "قدمت الدليل على أن في وسع افريقيا، بسودها وبيضها، أن تحيا في وئام وبحبوحة. ونرجو الآن أن تشاركنا دولة جنوب افريقيا في هذا النجاح."

ديبورا كاولي ■

(٣) بوتسوانا وموزامبيق وانغولا وزيمبابوي وليسوتو وسوازيلند وزامبيا وتنزانيا وملاوي.

تبدأ الحياة عندما تقرر ماذا تريد منها.

ساعدوا أولادكم على النجاح في الامتحانات

الخوف والارق وعدم تفهّم الاهل أمور تساهم في رسوب الاولاد في الامتحانات
هنا نصائح تساعد الاهل على تحسين علامات أولادهم

قد يمثّل هذا المشهد يوماً في منزلك:

ابنك الذكي المجتهد، التلميذ في الصف الابتدائي الثالث، يواجه امتحاناً لم يألف مثله. تذكّر المعلمة بأهمية هذا الامتحان وتمرّر كرّاسة الاسئلة وأوراق الأجوبة وأقلاماً خاصة على التلاميذ. وبدل معاملتهم برفق ولين تظهر المعلمة برودة، فلا تجيب عن أسئلة التلاميذ وتتابع تذكيرهم بالوقت المتبقي لديهم. ينهي ابنك الامتحان بهلع واضطراب ويعود الى البيت دامعاً مقتنعاً بأنه أساء الاجابة. وفعلا، تأتي نتيجة هذا الامتحان أدنى كثيراً من علاماته السابقة.

ليست هذه بنكسة عابرة. ان المدارس تعتمد أكثر فأكثر الامتحانات القياسية المصححة بواسطة الدماغ الالكتروني (★)

(★) Standardized computer-scored tests. وفيها يضع التلميذ علامة أمام الجواب الصحيح.



لتقويم مستوى التلاميذ. لذا فإن نتائج تلك الامتحانات تساهم، جزئياً على الاقل، في بناء مستقبل ولدك التربوي أو احباطه. وهي تقرر من سيدخل الجامعات المرموقة، ومن المؤهل للمقررات الدراسية التي تشهد اقبالا، ومن سيعيد سنته الدراسية. ومتى صُنف التلميذ فاشلا اذ يسجل علامات متدنية، فهو قد يقع في دوامة "الانجاز العاجز."

هل توفر علامات الامتحانات القياسية تقويماً دقيقاً لقدرات التلميذ بدقة؟

جزئياً، يجيب الخبراء. بعض الاولاد تنشطهم الامتحانات والبعض الآخر ترهبهم. ويرى الاستاذ كينيدي هيل من جامعة ايلينوي الذي أجرى أبحاثاً حول "قلق الامتحان" لدى الاولاد على مدى ٢٥ سنة، ان ربع التلاميذ في جميع المدارس الابتدائية تجهدهم الامتحانات الى درجة أنهم ينجزونها بنتائج دون مستوى قدراتهم الطبيعية.

ومع ذلك يمكن التغلب على قلق الامتحان، وتعليم التلاميذ إنجاز الامتحانات على نحو أفضل. هنا اقتراحات خبراء تخولك مساعدة ولدك على تسجيل نتيجة أفضل في امتحاناته المدرسية.

١ تحقق من مواعيد الامتحانات.

إسأل مدير المدرسة أن يعلن موعد الامتحانات القياسية في وقت سابق، اما بواسطة المجلة المدرسية واما بتوجيه رسالة الى الاهل. استعلم بدقة عن نوعية الامتحان وعن طريقة احتساب نتيجته. إن المدارس المحترمة تجري الامتحانات لتكتشف نقاط الضعف لدى التلاميذ بغية مساعدتهم وليس بغية تصنيفهم "أذكياء" و"أغبياء". يجب على الأهل الاصرار على أن تستعمل هذه الامتحانات لهذه الاهداف التشخيصية.

٢ اعرف كيف يجرى الامتحان.

تختلف الامتحانات القياسية عن معظم المسابقات التي تعطى في الصفوف من ناحية وجوب استعمال التلميذ ذكاءه أكثر من ذاكرته. مثالا على ذلك، في امتحان تحليل للنصوص في المرحلة الابتدائية قد يواجه التلميذ وصفاً لمشهد سقوط أوراق الشجر، يليه سؤال مثل "في أي فصل من السنة تجري أحداث هذه القصة؟" ينتظر من التلميذ الاجابة عن هذا السؤال من خلال فهمه النص، وإن تكن كلمة "الخريف" غير مذكورة فيه.

ان جزءاً من امتحانات القبول في الجامعات، في مادة الرياضيات، مكرس لمقارنة الكميات. يطلب من المتقدم الى الامتحان المقارنة بين كميتين واختيار جواب من أربعة. مثال حديث على ذلك: "هناك ١٠٠ طالب في السنة الجامعية الاولى. ٣٠ منهم يدرسون مادة التاريخ ولا يدرسون مادة الرياضيات، و٥٠ منهم يدرسون الرياضيات ولا يدرسون التاريخ. فما هو عدد الطلاب الذين يدرسون المادتين معاً؟

الاجوبة:

أ - ١٥. ب - ١٩. ج - ٢٠. د - العدد غير محدد.

والجواب الصحيح هو "د"، إذ ان عدد

الطلاب الذين يدرسون المادتين معاً لا يمكن تحديده استناداً الى ما ذكر. قد يكون اي رقم من صفر الى عشرين.

٢١ في المئة فقط من الطلاب اختاروا الجواب الصحيح.

يقول أحد المرشدين: "إن الطلاب لم يعتادوا مواجهة هذا النوع من المسائل التي تربكهم حقاً".

٣ علّم ولدك كيف يكون حاذقاً في الامتحان.

إن معرفة طريقة التصرف في الامتحان حاسمة ومصيرية، إليك ما تقوله لولدك قبل الامتحان:

▫ للوقت أهمية كبرى. احرص على أن تحمل ساعة يد. إن كنت لا تستطيع الاجابة عن سؤال ما بسرعة، فلا تهدر الوقت. اتركه ولا تعد اليه إلا بعد أن تكون أجبت عن الاسئلة السهلة.

▫ اذا تخطيت سؤالاً، احرص على تخطي جوابه أيضاً. يقول ريتشارد نوث مدير دائرة التسجيل والارشاد في مركز الاختبارات التربوية في برينستون بولاية نيوجرزي: "ستفاجأ اذا عرفت. عدد الطلاب الذين يجيبون عن السؤال الرقم ٤١ في خانة السؤال الرقم ٤٠، وبعد ذلك يهدرون الوقت في محو الاغلاط وتصحيحها."

▫ ان كنت غير متأكد من اجابتك، اعمد الى التخمين، فهو قد يساعدك. واحذر الاجوبة السهلة. يقول واضعو الامتحانات انهم لا يعتمدون الاسئلة "الماكرة" المضللة، لكنهم احياناً يدخلون عليها جواباً محيّراً يبدو صحيحاً للوهلة الاولى لكنه خطأ في الحقيقة. والهدف حض المتقدم الى الامتحان على التفكير في كل اجابة.

▫ اعمد الى الراحة والاسترخاء في الليلة التي تسبق يوم الامتحان. ان تكثيف الدرس في اللحظة الاخيرة لا يجدي، فنوم ليلة هادئة هو أفضل لك. طالع أو شاهد التلفاز أو تحدث مع الأهل والاصدقاء. تأكد من جهوز كل شيء لليوم التالي قبل ذهابك الى الفراش. ويوم الامتحان احرص على ارتداء الثياب الملائمة كي لا يلهيك الشعور بالحر أو بالبرد.

٤ تمرّن ثم تمرّن ثم تمرّن.

يصرف الاهل القلقون أموالا طائلة على دروس تجارية لتحضير أولادهم للامتحانات القياسية. وتتباين الآراء حول جدوى الدروس التحضيرية في رفع علامات الامتحانات. لكن الكل يتفق على أن هذا النوع من الدروس التحضيرية ضروري، اذ ان اعتياد الامتحان يخفف وطأته. ومجرد قراءة تعليمات الامتحان في وقت سابق يوفر دقائق غالية خلاله.

ان أكبر فائدة يجنيها الطلاب من الدروس التحضيرية تكمن في ممارستهم الامتحانات تكراراً حتى يصبحوا قادرين على اجرائها بسهولة.

وفي استطاعة الاهل أن يمرنوا أولادهم في المنزل باستعمالهم نماذج امتحانات قديمة. ان معظم المدارس تزود الطلاب كراريس تحتوي على اجابات الامتحان - النموذج كي يتعلموا ملء الفراغات المخصصة للاجوبة الصحيحة.

وفي المنزل عليك التقيد التام بالانظمة المتبعة. حدد الوقت، ولا تسمح بطرح الاسئلة، وامنع الاكل والشرب والرد على الاتصالات الهاتفية.

يقول ريتشارد نوث: "ان التمرن على تطبيق الامتحانات ضمن الشروط الحقيقية يساعد التلميذ على تعلم تنظيم نفسه، فيكتشف نقاط ضعفه وقوته على حد سواء. وفي يوم الامتحان سيفهم التعليمات وسيعلم كيف يعمل بسرعة على مواضيع يعرفها جيداً قبل الرجوع الى تلك التي قد يصيب فيها نجاحاً أقل."

٥ تحدَّ تفكير ولدك.

يعتقد ستانلي كبلن، مؤسس "مركز ستانلي كبلن التربوي"، أن المؤثر الاكبر والوحيد على التأدية العقلية هو كمية المطالعة التي يقوم بها الطالب. ويضيف: "دلني على قارىء نهم فأدلك على شخص يستطيع الحصول على علامات عالية." ابدأ برنامج المطالعة في وقت مبكر عندما يصبح في امكان ولدك تصفح كتاب. ومتى بدأ يقرأ بنفسه اشترِ له قاموساً وشجعه على اكتشاف معاني المفردات. ليس عليه البدء بقراءة الروائع العالمية. يمكنه الافادة حتى من المجلات الهزلية. والهدف من ذلك تعزيز عادة القراءة لديه لتدوم مدى الحياة.

شجع ولدك على مطالعة جيدة ومفيدة، وادفعه الى التطرق الى المواضيع الصعبة كالعلوم والرياضيات واللغات الاجنبية التي توسع آفاق تفكيره وتشحذ عقله وتنمي منطقه.

٦ اعطِ الامتحان الاهمية التي يستحقها فقط.

يقول أحد الخبراء المختصين بالقلق الناجم عن الامتحانات، ان ضغط الولي على ولده بغية انجاز الامتحانات على نحو جيد قد يؤدي الى نتائج عكسية. ويضيف: "ان أفكاراً مثل: ان لم أنجح في هذا الامتحان فسوف يغضب أهلي مني، تصرف التلميذ عن التركيز وتخفض مستوى علاماته."

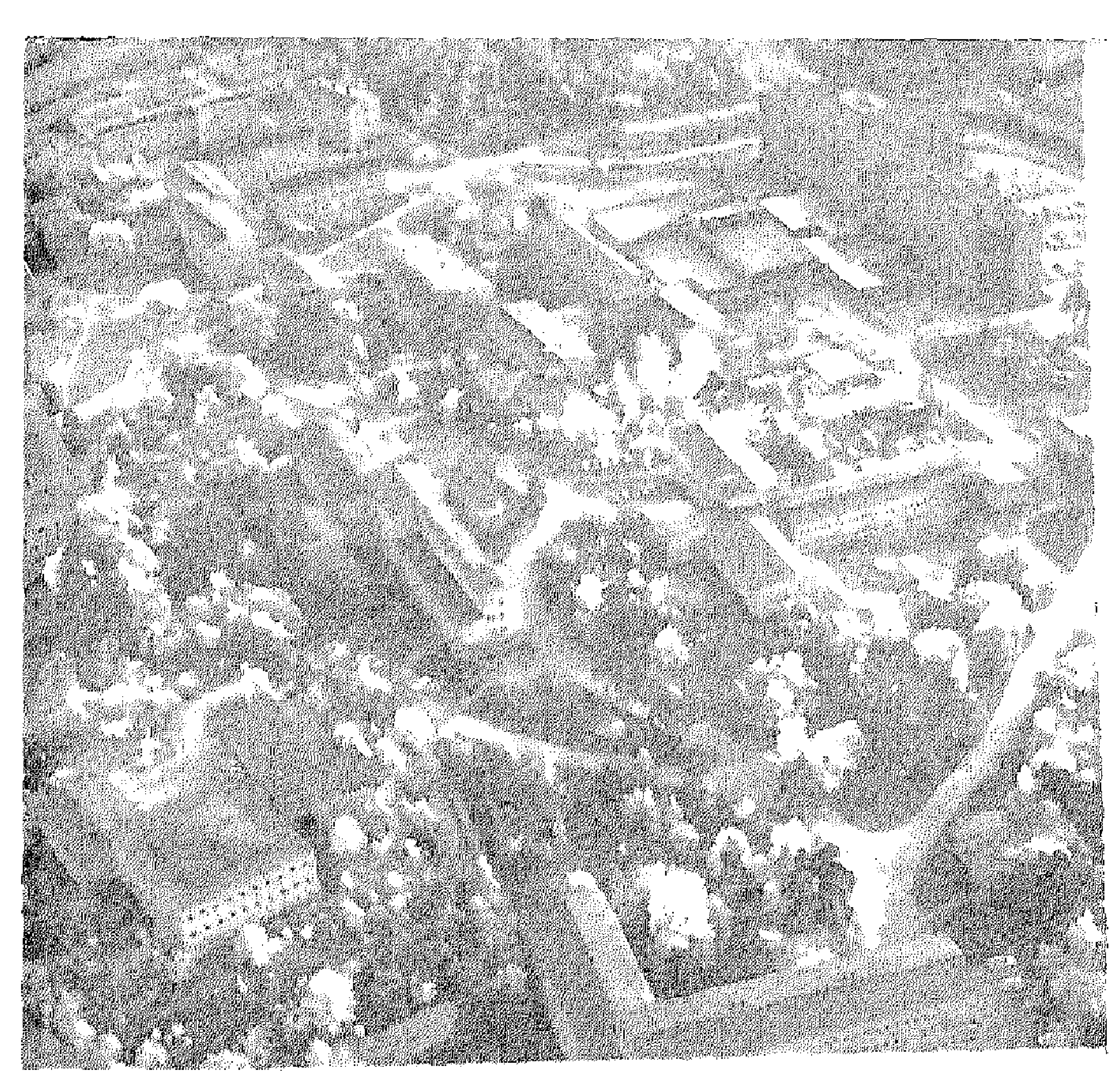
أما التلاميذ الذين يحسنون تقديم امتحاناتهم على افضل وجه فلديهم أهل متفهمون يدعمونهم. هؤلاء الاهل يدركون أهمية الامتحان، لكنهم لا يجعلون منه قضية حياة أو موت. ان في وسع الولد المحاولة مجدداً.

ويرى كينيدي هيل أن أعلى علامةٍ يحصِّلها التلميذ تعتبر العلامة الحقيقية لأنها تظهر مقدرته الفعلية.

حتى واضعو الامتحانات يشددونَ على أن علامة واحدة أو مجموعة علامات لا تنبىء بالنجاح أو الفشل الاكيد. وليس من امتحان يقيس على نحو شامل ابداع الولد وارادته وتصميمه على النجاح. وعلى المدى الطويل، تثبت هذه الميزات جدارتها أكثر من أي علامة امتحان.

ولكن على رغمٍ جميع سلبيات الامتحانات، فلنتذكر أنها ستبقى حقيقة مهمة في حياة الاولاد، ومثلما نطلب منهم أن يتعلموا السباحة، علينا مساعدتهم على اتقان هذه المقدرة التي تقويهم على الاستمرار.

ادوين كيستر
وسالي فالنتي كيستر ■



منظر جوي لمعهد كارولنسكا الذي يقع خارج حدود العاصمة استوكهولم.

حقق الباحثون في هذا المعهد الاسوجي اكتشافات في حقل الطب الأحيائي تعود بنفع عظيم على الجنس البشري

كارولنسكا رائد الطبّ الأحيائيّ

في احدى غرف العمليات في معهد كارولنسكا في أسوج (السويد) سُجّي على طاولة الجراحة رجل مصاب بداء باركنسون (الشلل الرعاشي) وهو في حال تخدير عمومي. كان رأسه مشبوكاً بحاضن مكعب من الالومينيوم. وقبل ذلك كانت الاشعة السينية (إكس) عيّنت في عمق الدماغ هدفاً في حجم حبة زيتون، وحدد الدماغ الالكتروني موقعه. وكان ثقب قطره سنتيمتر أحدث في مقدم جمجمة الرجل عند حد شعره، وسُدّد في اتجاه الثقب جهاز تصويب مثبت في الحاضن.

في هذه الأثناء تناول جرّاح الأعصاب قُصيبة رفيعة تشبه إبرة محقنة عملاقة ولقمها حزمة من خلايا الانسجة قطرها سنتيمتر وربع سنتيمتر، ثم راح يدفعها

Photo: Per Bergström

داخل جهاز التصويب حتى ثقب رأسُها مركز مجموعة خلايا الهدف. وضغط مكبساً داخل القصيبة زارعا حزمة الانسجة في المركز المذكور، ثم سحب الآلة.

استغرقت عملية الزرع أقل من ٦٠ ثانية لكنّها دخلت تاريخ الطب. فللمرة الاولى تزرع خلايا حيّة في دماغ بشري.

هذا الزرع الثوري الذي تمّ في العام ١٩٨٢ هو مثل حيّ على الابحاث الرائدة التي يجريها العلماء في معهد كارولنسكا، أرقى مراكز الابحاث الطبية الأحيائية في أسوج، الذي تموله الدولة ويؤلف خمسون من أساتذته مجمع جائزة نوبل في الطب او في علم وظائف الأعضاء (الفيزيولوجيا)، وهي الجائزة التي ربحها علماء من معهد كارولنسكا خمس مرات. ويُذكر أن سبعة من العلماء الاسوجيين الاثني عشر الاعضاء في "الاكاديمية الوطنية للعلوم" في الولايات المتحدة هم من المعهد.

كارولنسكا هو اسم التحبب الذي يطلق على المعهد الذي يعتبر أكبر مراكز التدريب على الرعاية الصحية في أسوج، ويضمّ أكثر من ٨٠٠ أستاذ ومدرّس وباحث و٣٨٠٠ طالب، ويستقبل كل سنة نحو ٣٧٠ عالماً زائراً من ٤٠ بلداً. ويدرّب المعهد نصف أطباء الاسنان في أسوج وثلث الاطباء الآخرين وخبراء المعالجة الفيزيائية. وتحتوي مكتبته الطبيّة على أكثر من نصف مليون مجلّد، وهي الأضخم في كل البلاد الاسكندينافية، وكانت الأولى بين ١٦ مركزاً دولياً للتنسيق انضمت الى نظام "مدلار"(١) وهو أكبر فهرس للمعلومات الطبيّة في العالم الذي يعمل بوساطة الدماغ الالكتروني ومركزه واشنطن في الولايات المتحدة.

يقع المعهد في طرف العاصمة استوكهولم ويتألف من ٣٤ بناء مشيدة بالآجر الأحمر، يحوطها ٣٥ هكتاراً من الحدائق الخضراء اليانعة. ويخيّم على الحرم المشجّر جو جامعي هادئ. أما المختبرات فتضجّ بالابداع والعمل الخلاق. وفي مختبر "برزيليوس" يجري علماء الاحياء المتخصصون بالاعصاب تجارب مخبريّة على الفئران بغية اختبار التحسينات المدخلة على طريقة الزرع الدماغي المتبعة في معالجة مرضى داء باركنسون.

سكين غاما. يبدأ المصاب بداء باركنسون يفقد السيطرة على عضلاته عندما تتوقف الخلايا الدماغية عن انتاج الـ"دوبامين"، المادّة الكيميائية التي تنقل الرسائل الضابطة للاعصاب. ويأمل البروفسور لارس أولسن من دائرة علم الانسجة أن يبدل تلك الخلايا الدماغية ببعض خلايا الغدتين الكظريتين(٢) الموجودتين في شحم كليتي المريض نفسه. وهذه الخلايا أيضاً تفرز الدوبامين. فاذا نمت وراحت تنتج هذه المادة، استعاد المريض السيطرة على عضلاته. لكن أولسن يحذر: "لا أريد أن أزرع في النفوس آمالاً خادعة. هناك بعض التقدّم لكنّنا لا نملك علاجاً بعد."

وقد نجح العلماء في معهد كارولنسكا، بالاشتراك مع علماء أسوجيين آخرين، في

(١) Medical Literature and Analysis Retrieval System «MEDLAR»

(٢) Adrenal glands

زرع خلايا في أربعة من المصابين بداء باركنسون. وأظهر هؤلاء تحسّناً دام بين يومين وستّة أسابيع. ويسعى أولسن إلى إطالة فترة التحسن في المستقبل بأن يضيف الى الخلايا المزروعة مادّة تشبه الهورمون وتدعى "العامل المنمّي للأعصاب"(٣). وهذا الاجراء يعد أيضاً بنتائج جيّدة لضحايا داء ألزهايمر(٤) وإصابات الدماغ والحبل الشوكي.

وأولسن ليس سوى عالم بين عدد كبير من علماء معهد كارولنسكا الذين حققوا أعمالاً رائدة في تطوير الانجازات والمعدّات التي فتحت الابواب واسعة أمام أبحاث الطب الأحيائي. وفي أواخر الاربعينات طوّر عالم البيئة الجرثومية بنغت غوستافسن عازلاً بسيطاً خفيف الوزن تعيش الحيوانات المخبرية داخله بمنأى عن الجراثيم. وكنتيجة لهذا الاختراع يملك معهد كارولنسكا اليوم أحد أكبر المختبرات الخالية من الجراثيم في العالم. وفي أوائل الخمسينات طوّر عالما الانسجة هانز انغستروم ويان فرسال تقنية لتحضير عيّنات الانسجة للمجهر الالكتروني، أتاحت لهما التقاط أولى الصور الفوتوغرافيّة للبنية الدقيقة في أجهزة السمع والتوازن في الأذن الداخلية.

وفي العام ١٩٦٨ أنجز جرّاح الاعصاب لارس ليكسل اختراع "سكّين غاما" المستخدمة في الجراحات غير المصحوبة بإراقة دم والتي تجرى في عمق الدماغ. ويشرح رئيس دائرة جراحة الاعصاب الدكتور لارس غرانهولم أن تلك الآلة "تشبه كرة كبيرة في وسطها فتحة تتسع لرأس المريض."

يمدد المريض على طاولة بحيث تُسلط أشعة "غاما (٢٠١" المنبعثة من الآلة على المكان المستهدف. وفي وسع الاشعّة المركّزة أن تدمّر الاورام الصغيرة في الأذن الداخلية وفي الغدّة النخامية في الدماغ، وان تختم الأوعية الدموية المشوهة التي قد يقضي نزفها على المريض. وفي العام ١٩٨٦ وفد الى استوكهولم ١٥٠ مريضاً من ١٧ بلداً ينشدون هذه المعالجة الخاصة.

في دائرة الاشعّة التشخيصيّة يعالج البروفسور بيورن نوردنستروم أورام الصدر والرئة بوساطة الكهرباء. وهو يُدخل في جسم المريض قطبين كهربائيين بحجم الابرة، أحدهما ايجابي والثاني سلبي، واضعا واحداً في وسط الورم والثاني على مسافة ٢٥ سنتيمتراً منه، ثم يُمرر بينهما تياراً كهربائياً قليل الفلطيّة. ويشرح نوردنستروم أن "التيار الكهربائي يحدث تغيّرات في بيئة الورم من شأنها أن تحاربه وتعزّز عملية الشفاء." ومع أن المعالجة ما زالت في طور الاختبار فان ١٢ من أصل ٢٦ ورماً عولجت به إما انكفأت وإما اختفت تماماً.

اكتشافات وجوائز. تعود فكرة هذه الابحاث الى العام ١٨١٠ عندما أنشأ البرلمان الاسوجي معهد كارولنسكا بغية توفير عناية طبيّة فضلى للجيش. وكان جونز جاكوب برزيليوس بين العلماء الأول الذين عُيّنوا فيه، وما لبث أن اكتشف عنصري السيلنيوم والثوريوم.

---

(٣) Nerve — growth factor

(٤) داء الزهايمر هو فقدان الذاكرة الشبيه بالخرف.



اختصاصيتان منهمكتان في العمل في دائرة الفيزيولوجيا .

ومنذ البدء شدد برزيليوس على الجراحة والبحث العلمي، وهو تقليد ما زال سارياً إذ ان عدداً كبيراً من بين ألف مشروع ونيّف قيد البحث في كارولنسكا يهدف بالتحديد الى كشف الآليات الاساسية للجسم البشري. وفي دائرة علم العقاقير، مثلا، اكتشف الباحثون كيف يؤثر النيكوتين في الدماغ ليولد شعوراً بالنشاط والغبطة والتنبه، مما يعزز حجة القائلين بمعالجة التدخين كحالة إدمان وليس كعادة نفسيّة.

ولقد أدّت الابحاث الاساسيّة الجارية في دائرة الكيمياء الطبيّة في العام ١٩٨٢ الى فوز اثنين من علماء الكيمياء الحياتية شراكة بجائزة نوبل، هما البروفسور سون برغستروم الرئيس السابق لمعهد كارولنسكا، والبرفسور بنغت صمويلسون وهو عالم في الكيمياء الحياتية والرئيس الحالي للمعهد. فالاول نجح في عزل مواد تشبه الهورمونات تدعى "بروستاغلاندين" وتوصل الى تحديد بنيتها. أما الثاني وأعضاء فريقه فاكتشفوا عائلتين متصلتين من المركّبات هما "ثرومبوكسان" و"ليكوترين." علماً أن أحد أعضاء عائلة ثرومبوكسان يسبّب الجلطات الدمويّة التي تؤدّي بدورها الى نوبات القلب والسكتات الدماغية. اما عائلة الليكوترين فهي التي تسبّب أعراض الربو والالتهاب في حالات مثل الروماتيزم. ولقد أفضى فهم الدور الذي تؤديه تلك المركّبات الى تحسن كبير في طريقة معالجة هذه الامراض.

إلهام في الطريق. العلماء في معهد كارولنسكا هم، عموماً، أحرار في تقصّي أي مشكلة تثير فضولهم. ومناخ الحرّية هذا غالباً ما يثمر اكتشافات غير متوقّعة. وبهذه الطريقة توصل الباحثون في دائرة بيولوجيا الأورام الى اكتشاف طور مهم في نمو نوع من السرطان يدعى ورم "بيركيت" اللمفاوي. وأول من توصّل الى هذا الاكتشاف زوجان بلغاريان أضافهما المعهد كباحثين زائرين لدراسة الكروموزومات في الخلايا السرطانية. ويقول رئيس الدائرة البروفسور جورج كلاين: "مع أننا عملنا في هذا المشروع بمشاركة وثيقة، فان كلّا منّا كان حراً في تقصي أي من مظاهر البحث التي تروقه."

عثر البلغاريان جورج ويانكا مانولوفي على خلية تحوي كروموزوماً (صبغية) واحداً أطول من سواه، وما لبثا أن اكتشفا الظاهرة نفسها في غالبية الخلايا في الورم اللمفاوي. وبعد ست سنوات لحظ العالم الهنغاري (المجري) فرنسيس فينر التغيرات ذاتها في أبحاثه حول كروموزومات الاورام في الفئران. وعندما جمع البروفسور جورج كلاين الاكتشافين غير المرتبطين ظاهراً، استنتج أن الخلايا تحولت سرطانية بعد انقسام الكروموزومات وتبادل أنصافها، الامر الذي يضع جينتين (مورثتين) جنباً الى جنب فتنشطان وتطلقان النمو السرطاني. وقد شكّل هذا الاكتشاف خطوة مهمة في اتجاه فهم الورم اللمفاوي المعروف بورم "بيركيت"، ومهد السبيل لحقل واعد جديد من البحث في أمراض السرطان.

وذات يوم تمّ حلّ إحدى الاحجيات المحيّرة في الطب في الطريق العامة بين استوكهولم وأبسالا. فبينما كان البروفسور رولف لوفت وزميل له إختصاصي بالغدد الصمّ هو الدكتور إرول سيرازي، عائدين في السيارة الى منزليهما، راحا يتباحثان حول اللغز الذي طالما حيّر العلماء: لماذا يظهر مرض السكّري الذي يسببه عادة نقص في مادة الانسولين، لدى الراشدين الذين تنتج أجسامهم، ظاهرياً، كميات كافية من الانسولين؟ فوقعا فجأة على الجواب. وللحال أوقفا السيارة وأكبا على وضع الخطوط العريضة للنظرية القائلة بأن الناس يرثون حداً أعلى لكمية الانسولين التي تستطيع أجسامهم انتاجها، وربما كانت هذه الكميّة غير كافية في ظروف يشتدّ فيها الطلب على الانسولين مثل الحمل والسمنة المفرطة.

وفي السنوات التالية طوّر لوفت وسيرازي اختباراً لقياس قدرة جسم الفرد على إنتاج الانسولين. وهذا الاختبار لم يثبت نظريتهما فحسب بل أظهر أيضاً أن جسم لوفت نفسه ذو قدرة منخفضة على انتاج الانسولين وأنه بالتالي معرض لأن يصاب بمرض السكري في وقت لاحق من حياته.

دراسات ريادّية. على أن الابحاث التي يجريها المعهد لا تقتصر على الانابيب والمجاهر. فدائرة الدراسات السريرية حول الكحول والمخدرات استنبطت علاجاً للمشكلة التي تواجهها اسوج والمتمثلة في الارتفاع الحادّ في عدد الاناث المدمنات. وفي حين أفادت برامج العلاجات السابقة ٣٠ في المئة من متلقيها سجّل برنامج المعالجة الجديد نجاحاً بلغ ٦٦ في المئة عام ١٩٨٥.

موضوع الصحّة العامة قضيّة أخرى تشغل الباحثين في دائرة علم الصحّة البيئية في المعهد. وتستخدم الدائرة سجلات المعهد، وهي من الأضخم في العالم وتضم ٢٥ ألف زوج من التوائم، لدراسة أنواع شتى من المشاكل، من سرطان الثدي والربو الى مشاكل التدخين والشيخوخة.

وكانت المعلومات والبيانات المجموعة لـ ٣٥٠ زوجاً من التوائم الذين فصلوا عند الولادة، أساساً لدراسة التأثير النسبي

للوراثة والبيئة في بعض العوامل المتصلة بالشيخوخة مثل الصحة الجسدية والعقليّة والمقدرة الفكرية واستهلاك الكحول. فوجد الباحثون أن البيئة تشكّل ٦٠ الى ٦٥ في المئة من شخصيّة الفرد بينما تؤدي الخلفيّة الموروثة دوراً أقوى في تحديد الصحة الجسدية.

يهتم المعهد أيضاً بمشاكل طبية أحيائية ذات امتدادات دولية. وعندما نشر علماء كارولنسكا وسواهم من العلماء الاسوجيين عام ١٩٧٠ أول دراسة جدّية عن خطر الزئبق المثيلي على السمك، دفع التقرير الذي وضعوه منظمة الصحّة العالمية وجماعات أخرى الى وضع معايير لسلامة البيئة الصحية. ويدأب الباحثون في دائرة علم الصحّة البيئية في المعهد على تقويم الخطر الناجم عن الزئبق والكادميوم والزرنيخ والرصاص في البيئة.

فيما يقف المعهد على عتبة التسعينات، يأمل توسيع دوره قائداً رائداً في البحث الطبي الأحيائي في العالم. وهو ما زال يستقطب تبرعات لتمويل الابحاث التي يجريها علماؤه. والى ذلك ضاعف حملته لاجتذاب المتدربين الاجانب، وراح يقبل أعداداً أكبر من العلماء الأجانب الذين يشكلون الآن بين ٥ و١٠ في المئة من مجموع خريجيه. وسيبدأ المعهد، بدعم من الحكومة، وضع برنامج دولي تدريبي لمساعدة الجامعات في العالم النامي على تطوير مقدراتها البحثيّة.

ويقول رئيس المعهد صمويلسون: "سوف نكرّس الكثير من قدراتنا ووقتنا لتقديم الارشاد وايصال أفضل ما حققه علم الطبّ الى الذين هم في أمسّ الحاجة اليه. ولن نتوقف عن البحث الرائد." تلك هي مساهمة المعهد الاسوجي وفق التقليد الذي درج عليهِ والذي جعل اسمه مرادفاً للبحث والتعليم المتفوقين في عالم الطب الأحيائي.

هيو ماكنتوش ■



محاضر ممتع!

قال محاضر لزوجته: "لم أفهم قط لماذا، عندما أنهي محاضراتي، يواجهني الجمهور بموجتين اثنتين من التصفيق!"

فشرحت له: "لان تصفيق الصاحين يوقظ النائمين فيسرعون بدورهم الى التصفيق."

س.هـ.و.

لوحة متشرد

وقفت امرأة أمام لوحة متشرد رث الثياب في احدى صالات المتحف وهتفت: "تأملوا هذا، انه لا يملك ما يشتري به ثياباً لائقة، لكنه قادر على دفع ثمن رسمه!"

م.ك.

قُتل أبوه وتمزقت ركبته
وقال الاطباء
انه قد لا يركض ثانية
لكن شجاعته
حطمت كل القيود

الفتى العائِدُ

كان ستيف كير في سني فتوّته يشعر بأن هناك درعاً واقية تحرسه وعائلته. ولازمه هذا الشعور الى أن كان يوم رن فيه جرس الهاتف في الثالثة صباحاً. وكان ستيف شاباً أشقر يبلغ طوله ١٩٠ سنتيمتراً، في سنته الأولى بجامعة أريزونا في توسون. وقد حظي لتوه بفرصة طالما تمنّاها: أصبح لاعباً في فريق الجامعة لكرة السلة. انه يحب هذه اللعبة أكثر من أي شيء آخر.

كان أفراد عائلته منتشرين في أنحاء العالم. فوالداه وأخوه الأصغر أندرو يعيشون في لبنان حيث يشغل والده منصب رئيس الجامعة الأمريكية في بيروت. وتعيش أخته سوزان مع زوجها في تايوان. أما أخوه جون فيعمل في مصر. لكن عائلة كير بقيت مترابطة ومتعاضدة

Photos: (top) © Steven McCurry / Magnum; (bottom) courtesy of Phoenix Suns

وحافظت على جوها الحميم مما وفّر لستيف شعوراً بالطمأنينة.

فجأة، صباح الأربعاء ١٨ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٤، أيقظه جرس الهاتف في توسون. وكلّمه صديق للعائلة فأخبره أن والده قتل بالرصاص في بيروت.

جلس ستيف منذهلا على حافة سريره محاولا أن يستوعب الخبر. هل مات والده؟ ذلك الرجل الممشوق القامة المميز الذي لا بديل منه؟ كانا يقضيان الساعات معاً يرميان الكرة في السلة. هل مات الرجل الذي طالما اعتمد عليه ستيف والذي أسعده يومياً وجعله يفتخر بأنه ابن مالكوم كير؟ هل مات حقاً؟

كانت عائلة كير أدركت خطر العيش في لبنان. فالجنود اللبنانيون يحرسون مداخل الجامعة بعدما خطف رئيسها السابق واحتجز لمدة سنة. لكن العائلة أدركت أيضاً رغبة الأب في إعادة الجامعة التي علّم فيها هو ووالداه، الى تفوقها السابق. وكان ستيف قال لمراسل صحافي قبل أيام: "يريحني جداً أن يعيش والداي في مكان آخر. لكن أبي قطع عهداً على نفسه بالبقاء."

اتصل ستيف بأمه في بيروت وأجهشا بالبكاء. وبعدما وضع السماعة جلس وحده يحاول من جديد استيعاب الخبر.

مَنْ هو ستيف؟ ولد ستيفن دوغلاس كير عام ١٩٦٥ في مستشفى الجامعة الأمريكية في بيروت حيث كان والده يدرّس مادة العلوم السياسية. فهو أستاذ دراسات الشرق الاوسط في جامعة كاليفورنيا في لوس انجلس، وكان دائم السفر الى بلدان مختلفة للتعليم كأستاذ زائر. وهو اصطحب عائلته الى كل بلد قصده. وعندما بلغ ستيف الرابعة عشرة من عمره كان عاش في لبنان وفرنسا ومصر وتونس.

درس ستيف ثلاث سنوات في مدرسة باليسادس الثانوية في كاليفورنيا. وفي فناء المنزل المطل على مدينة لوس انجلس صارت لعبة كرة السلة بين أفراد العائلة عادة مكرسة بعد ظهر كل يوم أحد.

ونما حب ستيف لهذه الرياضة في باليسادس، وعوّض بطأه بالرميات الدقيقة الصائبة في السلة وهو واقف على بعد ستة أمتار. وبرزت مهاراته في التحكم بالكرة وتميز ببرود أعصابه وثقته الهادئة بنفسه مما كرّسه هدافاً وقائداً.

لفت ستيف أنظار المسؤولين في الجامعات لقدرته على تصويب الكرة من مسافة بعيدة، لكن هذا الأمر لم يوفر له منحة جامعية. وهكذا تخرّج في مدرسته الثانوية خائب الأمل لا يعرف أي جامعة سيدخل.

في ذلك الصيف اعتمد ستيف مرة أخرى على والده العائد من بيروت. أمضيا معاً ساعات طويلة يشاهدان مباريات البايسبول ويلعبان كرة السلة أمام المنزل ويتحدثان مطوّلا. وكان ستيف يلعب آنذاك في فريق غير معروف، وقد ذهب مالكوم لمشاهدة مبارياته كلما أمكنه ذلك.

في أواخر يوليو (تموز) حضر الى لوس انجلس رجل يدعى لوت أولسن وهو المدرب الجديد لفريق كرة السلة في

جامعة أريزونا. كان يبحث عن لاعب يصوّب الكرة الى السلة من مسافة بعيدة. وذهب ذات ليلة الى لونغ بيتش (كاليفورنيا) لحضور مباراة غير رسمية كان ستيف كير يلعب فيها. وقد تذكر لوت أولسن تلك الليلة لاحقاً فقال: "رأيتُ ذاك الفتى الأشقر يقطع الملعب من أقصاه الى أقصاه وهو يضرب الكرة أرضاً ثم يرميها في السلة من مسافة بعيدة."

في عطلة الاسبوع التالية عاد لوت أولسن بصحبة زوجته الى ذلك الملعب في باليسادس. وتعجبت زوجته عندما رأت فتى ناحلا لا حول له على الركض أو تسجيل الاهداف. فسألته:

"هل أنت جادّ يا لوت؟"

غير أن ما رآه لوت كان لاعباً يعرف كيف يتحكم بالكرة، وصاحب خبرة في الملعب، وقائداً، وهدافاً.

وبعد بضع مكالمات هاتفية انتظر ستيف كير النتيجة على أحر من الجمر. وأخيراً جاءه الخبر: إن جامعة أريزونا، احدى أهمّ الجامعات في غرب البلاد، تعرض على ستيف كير منحة دراسية كاملة على أن يلعب في فريقها لكرة السلة. فوافق ستيف والفرحة تغمره.

حتى يناير (كانون الثاني) ١٩٨٤ كان فريق "وايلد كاتس" في جامعة أريزونا ربح ثلاث مباريات وخسر ثماني أخرى. وغمرت الفريق غبطة حافزة. وكان ستيف يلعب نحو عشرين دقيقة في كل مباراة، وهو وقت لا بأس فيه بالنسبة الى مبتدىء. وكان يصيب في نصف رمياته. فأحبّ الجامعة والفريق.

وإذا بالخبر المفجع يأتيه من بيروت.

صدمة فانتصار. التفّ طلّاب الجامعة، بل سكان توسون كلهم، حول ستيف يشاركونه في حزنه. وكانت مباراة ضد فريق ولاية أريزونا، وهو الخصم اللدود، قد عُينت ليوم الجمعة الواقع بعد يومين من مقتل والد ستيف. فقال له لوت أولسن ان الجميع سيتفهمون غيابه عن المباراة، إلا أن ستيف أصر على الاشتراك، فللأمر أهمية خاصة.

في تلك الليلة احتشد نحو عشرة آلاف متفرج في ملعب الجامعة. كان عدد كبير منهم يفكّر في الحادث الذي حصل في النصف الآخر من العالم. وألقى المذيع كلمة عن مالكوم كير وطلب من الحضور الوقوف دقيقة صمت حداداً عليه.

عندما ساد الهدوء حاول ستيف أن يبعد مقتل والده عن ذهنه. وحوّل الانصار أنظارهم متجنّبين التحديق الى اللاعب الرقم ٢٥ الذي وقف مع فريقه مطأطىء الرأس وهو يبكي بهدوء.

بعد سبع دقائق على بدء المباراة أرسل المدرّب ستيف الى الملعب. ووسط التوتر الحاد لم يسمع إلا وقع الكرة على أرض الملعب. فجأة التقط ستيف الكرة وهو بعيد عن السلة مسافة سبعة أمتار، وخدع خصمه بتمريرة وهمية ثم قفز ورمى الكرة في السلة. فسقطت الكرة وسط السلة وهي تكاد لا تلامس شبكتها.

ان رمية تحسم بطولة الولايات المتحدة كلها لم تكن لتثير حماسة أشد من تلك الرمية. راح المشاهدون يقفزون ويعانق بعضهم بعضاً. لقد ولدت أسطورة.

سجّل ستيف أهدافاً كثيرة أخرى. وسرت عدوى حماسته في فريقه فأحرز

انتصاراً سهلا مسجلا ٧١ نقطة في مقابل ٤٩. وهكذا حقق فريق جامعة اريزونا أول انتصار له على فريق ولاية أريزونا منذ خمس سنوات.

وفي السنة الثانية التي أمضاها ستيف كير في جامعة أريزونا تمتع فريقه بأول موسم رابح منذ ست سنوات. وفي العام التالي عيّنه أولسن قائداً للهجوم.

أحبّت مدينة توسون ستيف لأنه رمز اندفاع فريق "وايلد كاتس." وعلى رغم الفاجعة التي هدّته واصل اللعب من دون أن يبدي شعوراً بالشفقة على الذات. لم يكن أكثر اللاعبين موهبة في الملعب، لكنه كان أكثرهم عدوانية، يندفع بتهوّر وراء كرة طليقة ويلتقطها من أيدي خصوم أطول منه وأقوى. وكان بمثابة الغراء الذي يلحم أعضاء الفريق.

في ذلك الموسم انتزعت جامعة أريزونا أول بطولة لها في الدائرة العاشرة من منطقة المحيط الهادىء رابحة ٢٣ مباراة وخاسرة تسعاً. وأعلن ستيف اللاعب الأثمن في فريق "وايلد كاتس"، وتم اختياره كأفضل لاعب في الدائرة. وخلال فصل الربيع، بعد منافسة خمسين من أبرز اللاعبين في جامعات البلاد، اختير عضواً من ١٢ في المنتخب الأمريكي الذي سافر الى اسبانيا للمشاركة في بطولة العالم عام ١٩٨٦.

وهكذا استعاد ستيف ايمانه بالمستقبل وأحسّ بالمطأنينة من جديد. ولم يدرك أن الايام خبأت مصيبة أخرى.

الحادث. بلغ الفريق الأمريكي المرحلة النصف النهائية، وقبل أربع دقائق من انتهاء المباراة ضد البرازيل كان يتصدر اللعبة متقدماً بخمس عشرة نقطة. وحاول ستيف تسجيل هدف بيد واحدة. كانت قدمه اليمنى مثبتة على الأرض عندما واجه لاعبي الفريق الآخر المزدحمين تحت السلة. فحاول تغيير طريقه، لكن ساقه التوت بفعل اندفاعه، واصطكّت ركبته فوقع وهو يصرخ من شدة الألم.

وربح الأمريكيون المباراة والبطولة، لكن الضياع عمَّ الفريق. قال الجراح التقويمي ان الرباطات الأساسية في ركبة ستيف تمزقت وانه قد لا يتمكن من اللعب مجدداً. وعاد الشاب الى بلاده بجبيرة تكسوه من الورك حتى أخمص القدم، آملا بجراحة تشفيه. فأخبره الأطباء أنهم إذا تمكنوا من رأب الرباطات في ركبته فان مدى شفائه يتوقف عليه.

كان ذلك كل ما أراد ستيف سماعه. فهو لم يفقد الأمل مع أنه رجع من اسبانيا تحت وطأة الصدمة والانهيار. كان يُسأل مراراً هل سيلعب كرة السلة ثانية، فيجيب: "طبعاً، لا شك في الأمر!".

خلال الجراحة انتزع الطبيب الجراح وتراً من الرضفة(١) ليصنع منه رباطاً جديداً، كما رمم رباطاً ثانياً ممزقاً. ونجحت الجراحة، لكن الطبيب لم يؤكد لستيف أنه يستطيع الركض في الملعب. وقد سأل صحافي ستيف إن كان يعتبر حظه نحساً، فأجابه ان العكس صحيح، وأنه يدرك مدى حظه كلما عبر رواق المستشفى على عكّازيه ورأى مصائب الناس.

(١) الرضفة هي العظم المتحرّك في راس الركبة.

لمّا نزع الطبيب الجبيرة بعد أسبوع كانت ساق ستيف نَحُلت الى حدّ أنه حوّل نظره عنها. ولكن ما إن بدأ يمرّنها في البركة وشعر ببدء الشفاء حتى بذل جهداً صادقاً ليعيد تأهيل ركبته.

بعد الجبيرة كان ستيف يضع مشبكاً حول ساقه ويتمرّن على الدراجة ويحمل الاثقال. أخبره الاطباء أنه سيمرّ بأيام حسنة وأخرى عصيبة. لكن مدرب فريق "وايلد كاتس" قال: "ربما مرّ ستيف بأيام عصيبة، لكننا لم نلمح فيه أياً من آثارها."

جائزة شجاعة. بعد انقضاء خمسة أشهر خلع ستيف المشبك وعاود الركض في الملعب. في بادىء الأمر كان يركض الى الامام، ثم جانبياً، ثم على نحو متعرج. لما لعب ستيف كرة السلة للمرة الاولى في مباراة ضد خصم واحد، حصل أفضل ما يمكن حسبانه: لا شيء. ورأى المدرّب أولسن ابتسامة ترتسم على وجه ستيف، فأيقن انه سيستعيد عافيته.

في المباراة الثانية من موسم ١٩٨٧ – ١٩٨٨ لعب ستيف كير ضد غاري غرانت، وهو لاعب من ميشيغن مرشح للانتساب الى الفريق الوطني الفخري(٢) لكرة السلة. رمى ستيف الكرة في السلة فأصابها خمس مرات من أصل ست لتسجيل ١٤ نقطة، بينما لم يسجّل غرانت الا سبع نقاط. وهكذا ربح فريق "وايلد كاتس" المباراة بـ٧٩ نقطة في مقابل ٦٤. وفي نهاية شهر يناير (كانون الثاني) كان رصيد فريق أريزونا ١٧ – ١ (٣) فاحتل المرتبة الاولى بين فرق الولايات المتحدة. وكان الانصار يرنمون في الملاعب: "ستيييف كيرا ستيييف كيرا" وهي أنشودة باتت على كل لسان في أوساط هواة كرة السلة.

انتهى موسم الأحلام لفريق "وايلد كاتس" عندما خسر أمام فريق أوكلاهوما في المباريات النصف النهائية في دورة الاتحاد الرياضي للجامعات الأمريكية. وفي اليوم التالي مُنح ستيف كير جائزة "الرياضي الاكثر شجاعة" التي تقدمها "جمعية كتّاب كرة السلة". وليست هذه الجائزة الا واحدة من سلسلة تكريمات لقيها عندما قاد فريقه لتحقيق رصيد بلغ ٣٥ – ٣. وصنّفت وكالة "أسوشييتد برس" فريق أريزونا "الفريق الامريكي الثاني." وفي شهر يونيو (حزيران) اختير الفتى، الذي اعتبر يوماً لاعباً بطيئاً لا يعد بخير، للّعب كعضو في فريق "فينكس سانز" المنتسب الى الاتحاد الوطني لكرة السلة.

ان الفتى العائد أصبح لاعباً محترفاً.

لورنس إليوت ■

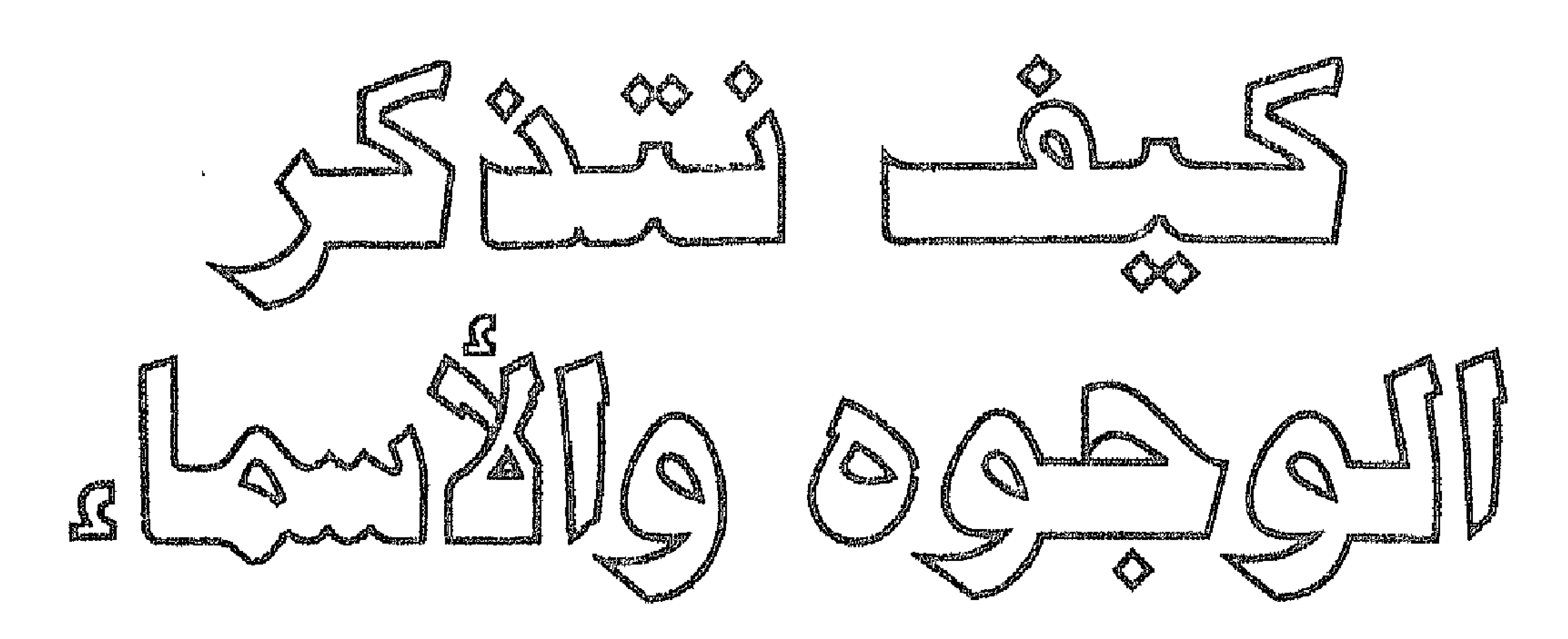
(٢) All - American candidate

(٣) أي ١٧ فوزاً في مقابل خسارة واحدة.



من مقال في جريدة: "فلان ليس أستاذاً في الاقتصاد السياسي فحسب، بل يحتل أيضاً مراكز مهمة في الحياة الواقعية."

خبير في مشاكل الذاكرة
يقدم نصائح
تساعد في تذكر الأسماء والوجوه



ثمة شكوى سمعتها مرات لا تحصى في حياتي: "لدي أسوأ ذاكرة في الدنيا. فأنا ألقى شخصاً ما وبعد دقيقة أنسى اسمه."

حسناً، عندي أخبار أزفها إليك: ليس الأمر كذلك دوماً. فأنت بعض الأحيان لا تنسى الاسم، بل انك لا تسمعه أولا.

حاول أن تستذكر آخر مرة قابلت غريباً. إن التعارف على الأرجح حصل على هذا النحو: "سيد صادق، أعرفك الى السيد قصرملّي." (★).

ان ما سمعت ما هو إلا تمتمة. وينبغي حينئذ أن تقول: "آسف، لم أنتبه إلى اسمك."

غالبية الناس تعتقد أن طلب سماع الاسم ثانية مربك. ولا أدري لماذا. إن أعز ما يملك المرء هو اسمه. وان ابديت أدنى اهتمام به فسيحبك السامع، أكان ذكراً أم أنثى.

هاك خمس قواعد بسيطة تعينك في تذكر الأسماء:

١. تأكد من سماعك الاسم.

٢. استفسر عن طريقة تهجئته. وهذا يجبرك على بذل الانتباه.

٣. قدم تعليقاً ما على الاسم، أي تعليق. مثلا: "آه، لقد قابلت أمس شخصاً بالاسم نفسه" أو "مم اشتق هذا الاسم؟" قل أي شيء.

٤. استعمل الاسم في موضع ملائم اثناء الحديث.

٥. ألفظ الاسم من جديد عند الوداع.

وتذكر: كل ما تستطيع تصوره، كل ما هو ملموس وذو مغزى، هو نصف محفوظ. فالأسماء نحو حدّاد ونجّار وفارس

(★) ملاحظة من التحرير: ابدلت الاسماء الاجنبية باسماء عربية وذلك تقريباً للموضوع من اذهان القراء العرب.

ومعماري وجمّال هي ذوات معان ويمكن تخيلها لأنها تحدث صوراً في الذهن.

لكن كيف تتخيل أسماء مثل النشاشيبي أو خزندار؟

حين التقيت السيد النشاشيبي فكرت في صحفة نشاء تندلق على شيبتي. وهكذا أضحت تلك اللفظة ذات مدلول خاص بالنسبة الي.

ولدى سماعك اسم السيد خزندار تأمل داراً خزنت فيها الاموال. فجأة يكتسب الاسم معنى.

وفي وسعك تذكر الاسماء الاولى كما تتذكر الكنى. فاذا صادفت شخصاً يدعى نخلة، تخيل شجرة نخيل، ولاسم عيد تذكر عطلة العيد، ولاسم عادل تذكر عديلك زوج أخت امرأتك.

كلنا يتعرف الى الوجوه، غير أن الأسماء هي المشكلة. وما دمنا نتعرف إلى الوجوه، فلم لا نجعل الوجه يشي باسم صاحبه؟

وما دمنا نتكلم على النشاشيبي، لنفرض أنك فكرت في صحفة نشاء مندلقة على شعرك الشائب. الخطوة التالية هي النظر إلى وجهه وانتقاء ملمح بارز من ملامحه. فاذا كان النشاشيبي ذا أنف كبير، تخيل أنفه يتحرك متشمماً النشاء على شعرك. في المرة المقبلة حين تقابل السيد النشاشيبي، صافحه بيدك، تفرس في وجهه، وانظر ذلك الأنف، وتصوره مهتزاً يتشمم النشاء على شيبتك، ثم بادره: "مرحباً يا سيد نشاشيبي!"

والاسلوب عينه يمكن اتباعه حين تلقى السيد خزندار. ان تجاعيد اجهاد وتفكير قد ارتسمت على جبينه. تأمل همومه وتحيُّره في السبل الممكنة لصرف الاموال المخزنة في داره.

أما إذا التقيت السيدة بشعلاني فتخيل عبارتها غير المكملة اذ تقول: "أنا بشعة لأني..." ولا تعرف منها السبب أبداً.

واني أقدم اليك كفالة: بعد اختبارك القواعد المذكورة أعلاه للمرة الثالثة أو الرابعة ستتحسن ذاكرتك فتستحضر الأسماء والوجوه بدقة لم تحلم بها قط.

هاري لورين ■

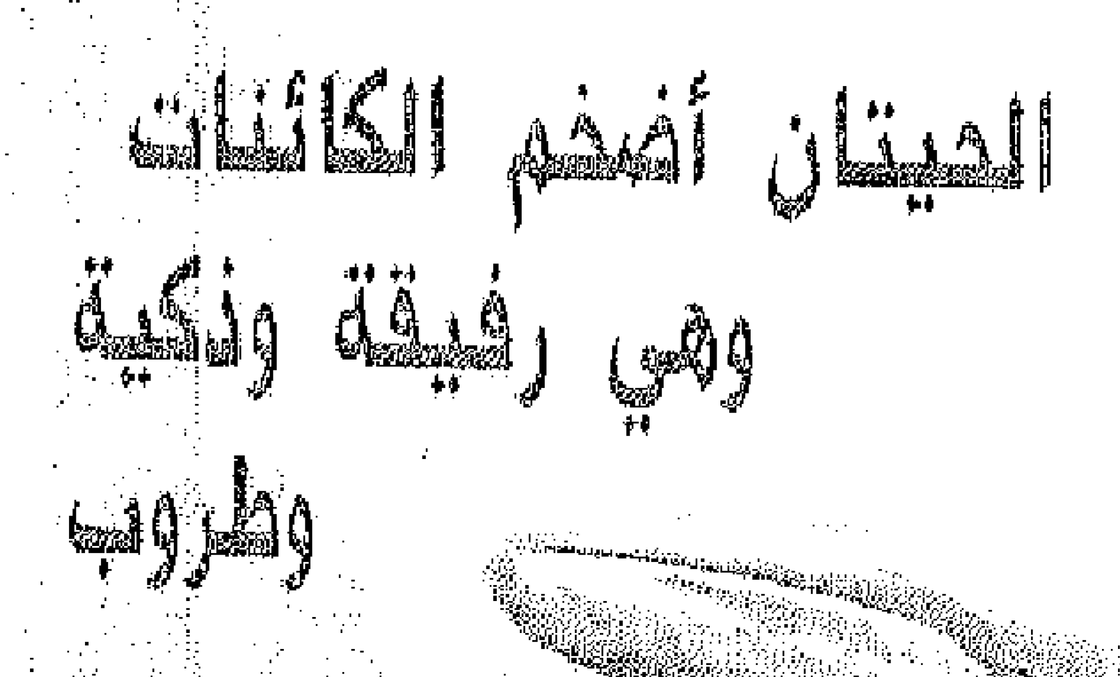


سبيل النجاح

يقول السناتور الامريكي فيل غرام: "عندما أُؤمن بأن ما أفعله مهم وصحيح لا أنثني عنه بسهولة. لا أخشى أن أتفرد في الدفاع عن قضية، ولا أحب أن أخسر. فعندما أخوض معركة أناضل بقوة فلا تهن عزيمتي ولا أستسلم.

"تعلمت منذ نعومة أظفاري أن سبيل النجاح هو البدء باكراً والعمل بكدّ وبز الغير في المعرفة. وأنا أحاول أن أتبع هذا السبيل. الخسارة عادة تكتسب، كذلك الربح. وأنا لا أقبل الهزيمة كنتيجة نهائية، فوحده الموت نهائي."

م.ن.



الحيتان أضخم الكائنات
وهي رفيقة وذكية
وطروب

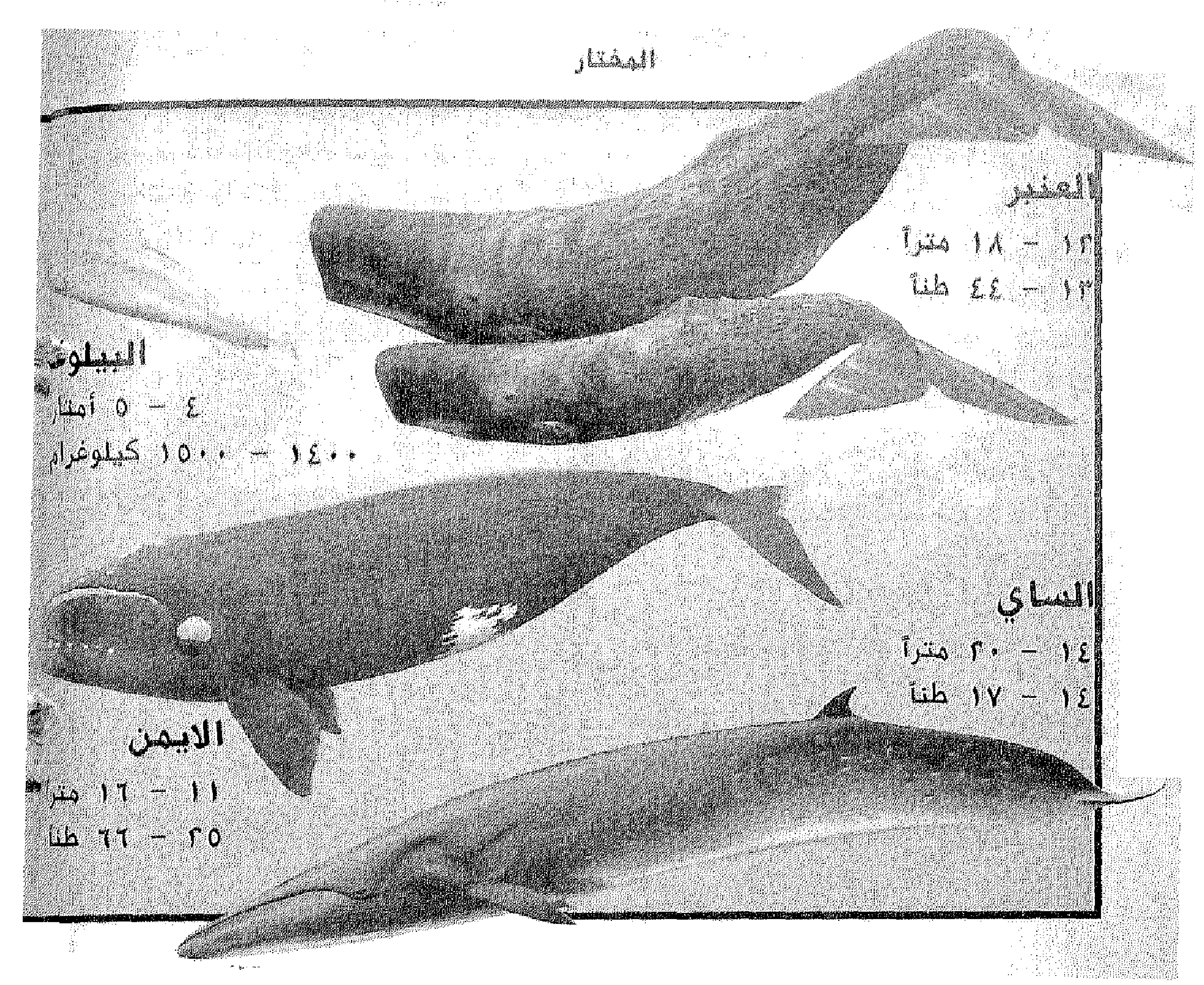
عمالقة البحار

خريف ١٩٨٨ علقت ثلاثة حيتان صغيرة في رصّة من الجليد الطافي في آلاسكا قرب قمة العالم. كان ينبغي أن تقطع شوطاً كبيراً في طريقها الى كاليفورنيا، لكنها، لحداثة سنها، تلكأت لتناول طعام سريع. ودقّ الاسكيمو ناقوس الانذار، وسرعان ما رقّت قلوب الملايين لمرأى المشاهد المتلفزة عن الرؤوس الضخمة المرضوضة تتجرع الهواء من ثقب صغير في الجليد. وهرع المتطوعون لحفر خط من ثقوب التنفس التي تفضي بالحيوانات الواهنة إلى عرض البحر وانضمت كاسحتا جليد سوفييتيتان الى عملية الاسعاف. بعد ثمانية أيام غرق أصغر الحيتان، ولكن في اليوم الخامس عشر سبح الحوتان الناجيان الى الحرية، فتنفس متابعو الاخبار في أرجاء العالم الصعداء.

ان تعاطف البشر مع الحيتان طبيعي. فمن بين كل كائنات البحر، هذه اللبونات ذوات الدم الحار هي الاقرب الينا واستيطانها البحر قصة مذهلة عن الأجناس.

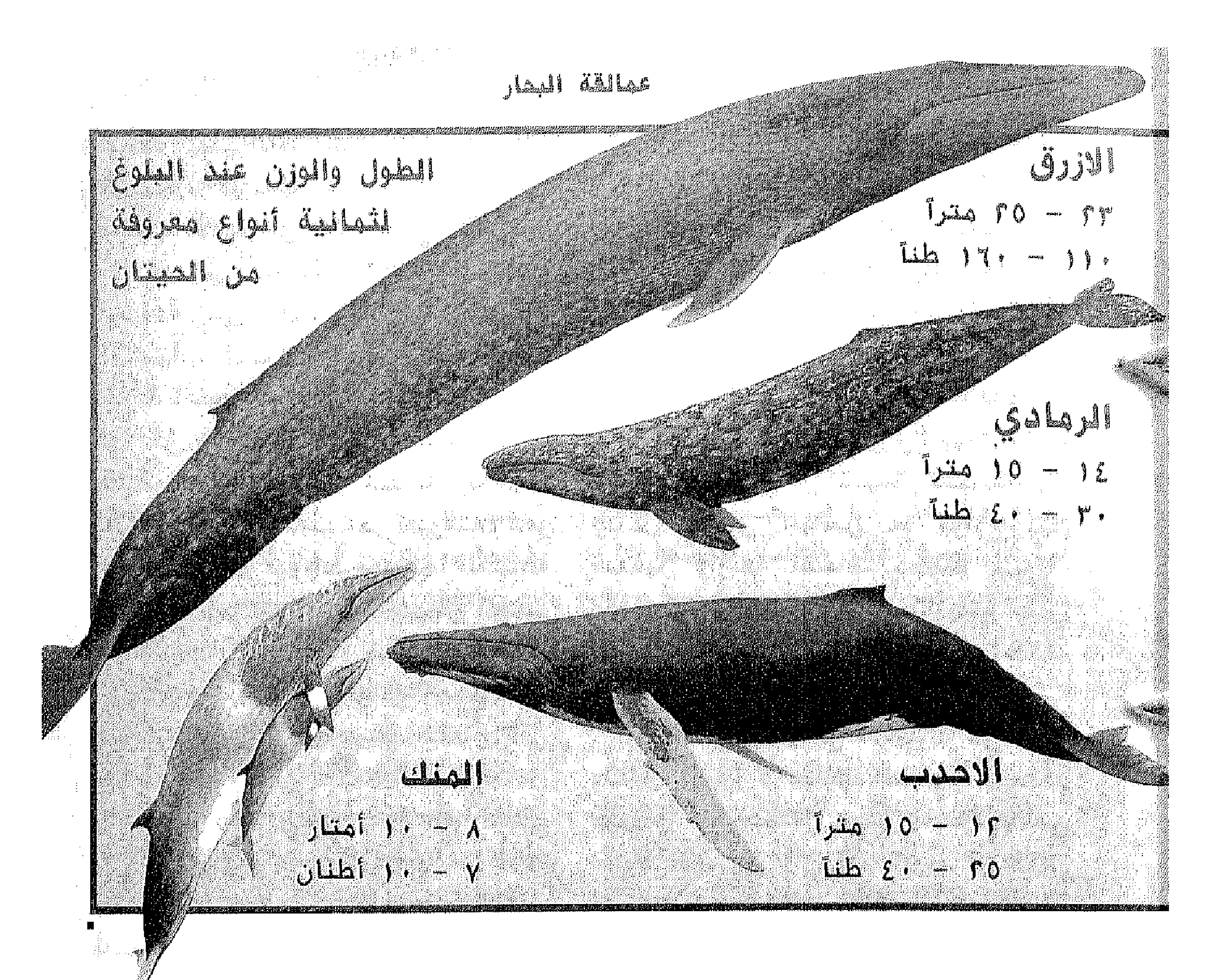
يعتقد معظم المراجع العلمية أن أسلاف الحيتان المعاصرة كانت قبل ٦٠ مليون سنة ذوات أربع، وفي حجم الذئب، تحيا على شطوط مصبات الانهر والغدران، حيث جذبتها وفرة السمك والقريدس

Illustrations: Larry Foster/ Earthviews



(الجمبري) الى خوض الماء. وآثرت الطبيعة الحيتان المؤهلة للسباحة. ومنذ ما ينيف على عشرة ملايين أو خمسة عشر مليون عام كبرت منها الابدان، وتقلصت قوائمها الامامية الى زعانف تستعمل لحفظ التوازن وتوجيه الحركة، فيما اختفت القوائم الخلفية. وبغية دفع اجسامها الى الماء نشأت لها أذيال مستدقّة ذات نهايات مفلطحة كالمجاذيف، وانتقل الخيشوم في غالبية أجناسها إلى أعلى الرأس، وغدا منفصلا عن الفم، وبذا تمكنت الحيتان من أن تقتات من دون ملء رئاتها بمياه البحر، والتنفس من دون رفع رؤوسها. وتغير ترتيب جوفها أيضاً لتقوى على الحركة والاكل والاتصال تحت الماء. ونتيجة هذه التبدلات المدهشة أصبحت الحيتان بلا حول على اليابسة. واذا ما جنحت الى الشط فانها تكاد تعجز عن التنفس.

والحيتان لا تخضع لقانون الجاذبية، وهي تلتهم كميات كبيرة من الأغذية، ولذا غدت أضخم الكائنات اطلاقاً وفاقت الدينوصور حجماً. إن العظاءة الضخمة تبدو الى جانب الحوت الأزرق مثل خروف بالقياس إلى فرس نهر. وقد يبلغ طول الحوت الأزرق ٣٠ متراً، ووزنه أكثر من وزن ٢٥٠٠ رجل، ولسانه أثقل من فيل وطول اللسان ثلاثة أمتار. ويبلغ من اتساع

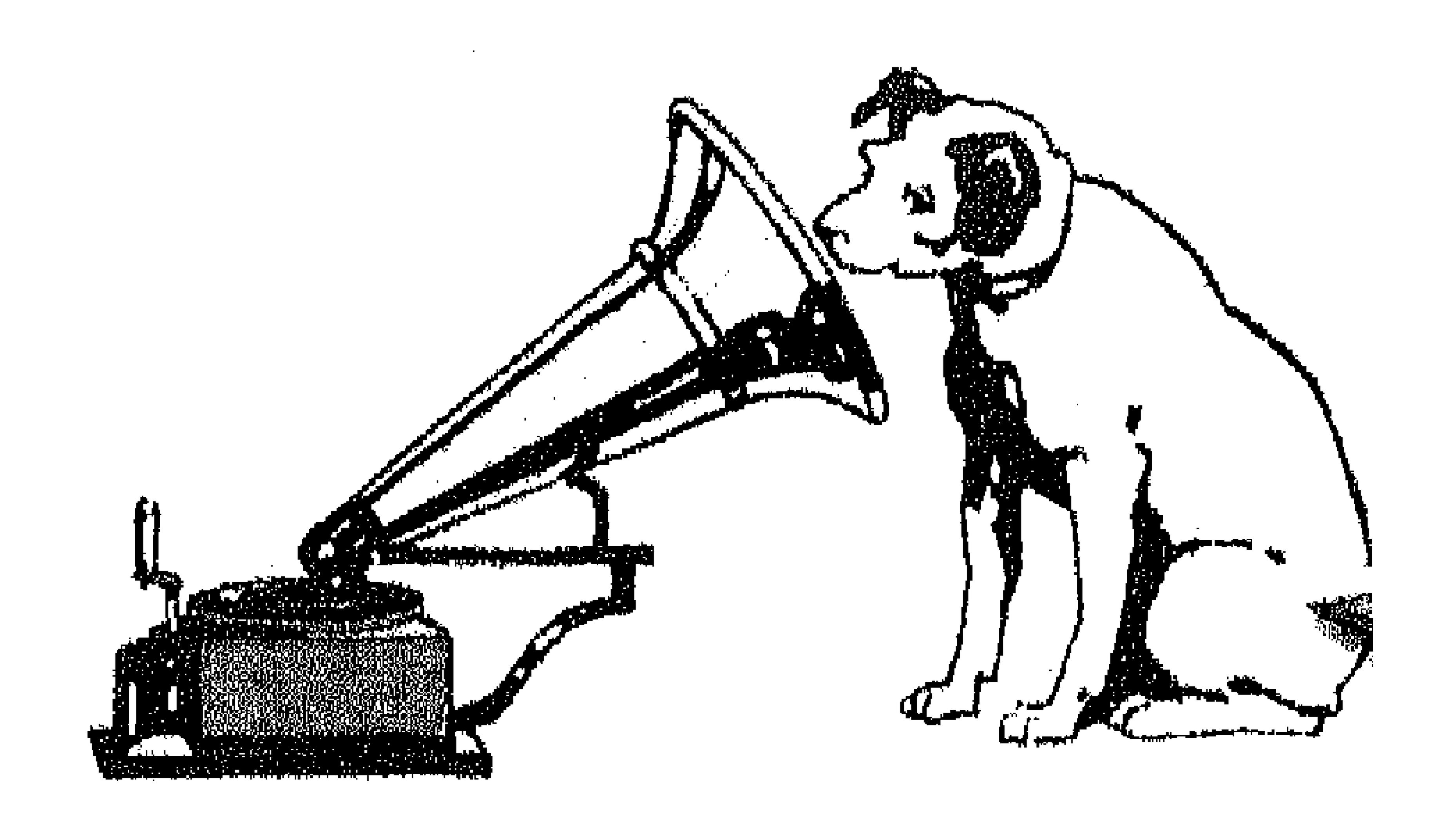


بعض شرايينه أن ولداً يمكنه أن يسبح عبرها. وللقلب الذي يزن نصف طن جدران بسماكة نصف متر، وهو يضخ ثمانية أطنان من الدم. وللحوت ذَكَر يبلغ طوله ثلاثة أمتار، وتزن خصيتاه نحو ٤٥ كيلوغراماً.

أسرار هندسية. حجم الحوت يمنحه قوة مهولة. فالحوت الازرق الذي يسبح بسرعة ٣٨ كيلومتراً في الساعة، يولد طاقة مقدارها ألف حصان. وفي استطاعة الحيتان الحُدب انتشال أبدانها البالغة ٤٠ طناً بكاملها من الماء.

وتبقى الحيتان دافئة بفضل دهن في أجسامها يشابه تركيبه اللدائن المستخدمة في صنع أكواب القهوة الورقية، فلا تنفذ الحرارة عبره الا بصعوبة. وحتى إن كانت الحيتان في مياه جليدية فانها تبقى معرضة لخطر الحرارة المفرطة.

ودهن الحوت مخزون نقال أيضاً. فالحيتان الرمادية، مثلا، تغادر القطب الشمالي خريفاً، وتهاجر مسافة ٨٠٠٠ كيلومتر الى بقعة تتوالد فيها على مبعدة من باها كاليفورنيا ثم تعود الى آلاسكا. وهي في غضون الاشهر الستة من رحلتها تقتات بالنزر من الغذاء، لكنها تستهلك نحو ثلث وزنها.



نيبّر عن ١١ عاماً في ١٨٩٥، عزم بارّو على رسمه في مشهد اصغائه المحبّب الى القلب وسمى اللوحة "صوت سيده."

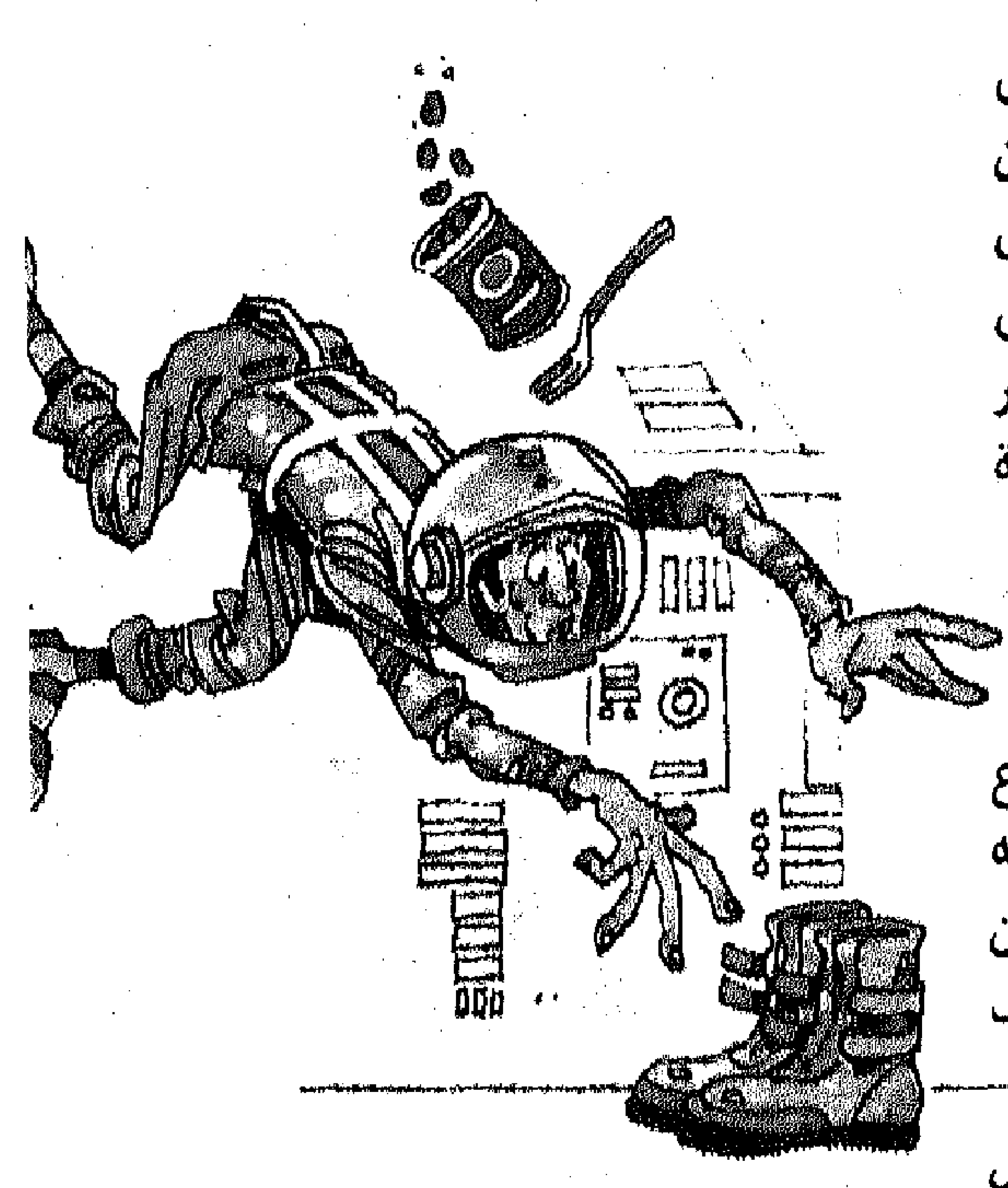
اشترت شركة "غراموفون" اللوحة الزيتية ومعها حقوق النشر والتسجيل بمبلغ ١٠٠ جنيه استرليني. وحرصت كثيراً على اللوحة وخوّلت رجال الاطفاء، في حال نشوب حريق، انزالها عن الجدار حيث كانت معلقة في غرفة المدير واخراجها سالمة.

ومنذ ذلك الحين وشبه نيبّر يُنسخ ليس على الاسطوانات المسجلة فحسب ولكن كذلك على اقلام الرصاص ومنافض السجائر والقمصان وربطات العنق والملصقات الاعلانية. ولا يزال نيبّر العلامة التجارية الرسمية لشركة غراموفون.

"فيلكرو"

ذات يوم في العام ١٩٤٨ خرج المخترع السويسري جورج دو ميسترال للصيد ومعه كلبه. فاحتك كلاهما بنبات الارقطيون الشائك فعلق من شوكه في جلد الكلب وفي سروال دو ميسترال الصوفي.

ولدى عودته الى البيت تساءل دو ميسترال عن السبب الذي يجعل الشوك يلتصق بهذه الشدّة. ففحص المادة اللاصقة بالمجهر ولاحظ ان مئات من الكلابات عالقة بطبقة الصوف والفرو المسطحة، فتبادر الى ذهنه ان الشوك يشكل مادة لاصقة لا تضاهى. فتبلورت في رأسه فكرة عن مجموعة من الكلابات تعلّق بمجموعة من الانشوطات (الحلقات)، تجسدت في "فيلكرو" (VELCRO)، مربطة النيلون الخفيفة غير القابلة للتعقيد والصدأ والتي يمكن غسلها. وهي تستخدم الآن للملابس والستائر والمفروشات والادوات الطبية (اطراف آلة فحص ضغط الدم، اطواق للعنق، قلوب اصطناعية) وفي الطائرات والسيارات. ويستخدم رواد الفضاء فيلكرو للصق رزم الطعام الى جدران المراكب الفضائية وللاحتفاظ باحذيتهم ملتصقة بارض العربة.



أمضى هال وايتهيد من جامعة دلهاوسي في نوفاسكوشيا بكندا عدة سنوات عاكفاً على دراسة حيتان العنبر (★). ودوّن ما يأتي: "اذا طفا حوتان تفصل بينهما مسافة ٣٠٠ متر فانهما ينسلّان متقاربين خلال الدقائق المعدودة التي يمكثانها على سطح الماء."

وغريزة الامومة لدى الحيتان بالغة التطور. وبما ان الحوت يولد تحت سطح الماء، فان على أمه أن تحمله الى السطح قبل أن يغرق. وفي العادة، يعينها على ذلك حوت آخر. وتدفع الام صغيرها برفق حتى يطمئن الى مقدرته على السباحة بعد نحو ٣٠ دقيقة. واذا ما ولد الحوت الصغير نافقاً فقد تحمله أمه على ظهرها حتى يتعفن.

وتتغذى صغار الحيتان، شأن كل الحيوانات اللبونة، بحليب الأم. ولدى الحيتان نظام مبتكر لايصال الحليب الى الحوت الصغير الذي لا يمكنه أن يمكث تحت الماء أمداً طويلا، فهي تبخّ الحليب مباشرة الى فم الحوت الصغير – بمعدل ٥٠٠ ليتر يومياً لصغار الحيتان الزرق.

ويتألف حليب الحيتان من نحو ٣٠ في المئة من الدسم و١٠ في المئة من البروتيين. وتنمو الصغار بسرعة فائقة، اذ يزيد طول الحوت الازرق الصغير خمسة سنتيمترات يومياً ويزداد وزنه ثلاثة كيلوغرامات كل ساعة.

وتدلل الامهات صغارها. وتستعمل زعانفها كأيدٍ تقبض على الصغير او تلاطفه أو تؤدبه. ويصف المستكشف جاك كوستو في كتابه "الحوت، سلطان البحر" واقعة تعقبت فيها أم صغيرها ودفعته بعيداً عن إحدى السفن ثمّ ضربته تكراراً بزعانفها. ويضيف: "لقد بدت الضربات كصفعات، وكان المقصود منها تعليم الصغير ألا يخلط بين هيكل السفينة وبطن أمه."

غناء الفرح. اعتبرت الحيتان لقرون مسوخاً. وكلمة (Cetacea)، وهي اسمها العلمي المشتق من اللاتينية، تعني "مسخ البحر." وذكور الحيتان تهاجم بعضها بعضاً في فترة النتاج. وقد لقب الصيادون الحوت الرمادي "سمكة الشيطان" اذ انه يدافع عن صغاره بوحشية واستماتة.

ولا ريب في أن حوتاً كبيراً كان يستطيع تدمير أحدى السفن الخشبية القديمة المستعملة في صيد الحيتان اذا ما أحس بخطر داهم.

لكننا نعرف اليوم أن الحيتان، عموماً، حيوانات رفيقة لا تفقد رباطة جأشها. وقد شهد جاك كوستو للحوت بمقدرته على ضبط نفسه: "خلال السنوات الطويلة التي أمضيتها غطّاساً لم يصب أي من رفقائنا بأذى في المواجهات المحفوفة بالخطر مع الحيتان. بل ان هذه الحيوانات تظهر أمارات رغبتها في تحاشي أذى الانسان."

وعلى رغم اساءة فهم بين البشر للحيتان بعض الاحيان، فإنها تتواصل في ما بينها بسهولة. وهي تستعمل شخيرها وهمهماتها وطقطقتها لتمييز الجنس وابقاء أسرابها على اتصال. وإن الاسرة الواحدة المنتشرة على مساحة كيلومتر

(★) Sperm whales

مربع تعرف موقع كل فرد من أفرادها.

وللحيتان أصوات مرتفعة، ويجأر الحوت الأزرق بصوت عال كالفيل. ويتردد صوت الحوت ذو الجهارة العادية مسافة خمسة كيلومترات. وثمة بيِّنات على أن طبقات الماء البارد العميق تحبس أصوات الحيتان وتنقلها كي تتواصل هذه في ما بينها عبر آلاف الكيلومترات.

والحيتان الثرثارة هي الحُدب. فهذه العفاريت اللعوبة تنشد أغاني جميلة طوال ٢٢ ساعة، للتمتع بالأمر ظاهراً ولجذب الإلف على الارجح. وجميع الحيتان في المنطقة الواحدة تغني الأغنية ذاتها، ويتبدل النغم كل بضع سنوات. وتتناقل الحيتان آخر أغنية "شعبية" مترنمة بها عبر المحيط بأسره.

قبل أربع سنوات استخدم السوفييت الصوت لانقاذ قرابة ثلاثة الآف حوت أبيض من نوع "بيلوغا" احتجزت في مضيق على مبعدة من بحر بيرنغ. وكانت كاسحات الجليد مهدت السبيل أمام الحيتان. لكن هذه الحيوانات المرتبكة أخافتها ضوضاء المحركات فلم تبارح مكانها. ثم عمدت سفن الانقاذ الى اطلاق موسيقى منسابة عبر مكبرات الصوت وبأنغام مختلفة منها العسكري والشعبي والجاز والروك. ولكن حين تناهت ألحان بيتهوفن الى أسماع الحيوانات شرعت تتحرك وسبحت مجتازة القناة الضيقة الى البحر الطليق حيث الحرية. ويذكر أن فكرة انقاذ الحيتان كانت تبدو الى عهد قريب عبثاً لا طائل فيه.

في العام ١٩٦٢ أقدمت ١٧ دولة على اهلاك ٧٠ ألف حوت. أما اليوم فقد تلاشت صناعة الحيتان، وبقيت دول معدودة هي اليابان وأيسلندا والنروج تقتل الحيتان بحجة اجراء البحوث، وبذا تم القضاء على أقل من ٦٠٠ حوت عام ١٩٨٨. والمتاجرة العالمية بمنتجات الحيتان محظورة اليوم، وقد بات للحيتان معجبون وأنصار في كل مكان.

يقول هال وايتهيد: "إن مستقبل الحيتان يعتمد على حسن الاشراف على المحيطات،" قاصداً بذلك خطر التلوث الذي يهدد مواردها الغذائية.

لطالما وجدت علاقة غامضة عميقة بين البشر والحيتان. ان حقبة ذبح الحيتان ولّت، فلنبذل قصارانا في نصرة إحدى أنبل الكائنات.

نويل فيتماير ■



لحن الخلود

عندما تتحدث عازفة الـ"فلوت" الامريكية باولا روبيسون عن آلتها الموسيقية المحببة، تتكلم عن السحر والروعة "... والعصافير طبعا. فقد قال المؤلف الموسيقي الفرنسي أوليفييه مسيان ان زقزقة العصافير عند طلوع الفجر هي إلماع الى تآلف الالحان العلوية. لقد كنت أشكو من عزفي الذي يشبه صوت العصافير. لكنني الآن أدرك أن في ذلك امتيازاً لعازف الفلوت."

ج.ت.

لحظات إبداع صاعقة



من اين اتت فكرة بناء القصر البلوري؟ كيف طوّر الفازلين؟ ما الذي الهم روبرت لويس ستيفنسون كتابة "جزيرة الكنز"؟

القصر البلوري

في العام ١٨٤٩ حصل البستاني جوزف باكستون على نبتة زنبق ماء صغيرة من الحدائق الملكية النباتية بكيو في بريطانيا. فوضعها في حوض وطفق يغطّسها باستمرار في ماء ساخن جار.

فمرّت ستة اشهر واذا بباكستون يجد انه اصبحت لديه نبتة ضخمة مخيفة لها احدى عشرة ورقة يبلغ عرض الواحدة منها ١،٨ متر. وفي امكان الاوراق، وهي عائمة، ان تحمل ثقل ابنة عمرها سبع سنوات.

وما لبثت الزنبقة ان انبتت عدداً كبيراً من الاوراق ضاق بها الحوض. فبنى باكستون لغرسته بيتا زجاجيا فخماً صممه بنفسه، واعتمد اساساً له بنية ورق الزنبق التحتية المدهشة.

في السنة التالية طُلب من المهندسين المعماريين ان يقدموا تصاميم لقاعة كبيرة تكون المركز الرئيسي لـ"المعرض الكبير" في هايد بارك بلندن. فقدم باكستون تصميما جريئاً مبتكراً لبناء مدرّج الطبقات، اتخذ قاعدة له نموذج البناء الضخم الذي اقامه لزنبقته مع بعض التفاوت، فاوقد به خيال المصممين في لندن وكان الفائز.

اكمل بناء "القصر البلوري" خلال ستة اشهر وكان اضخم بناء جاهز شيّد بموجب

وحدات قياسية جرى جمعها وصوملتها طابقاً بعد طابق.

ومن خصائص البناء انه كان تخريمياً طلق الهواء.

القبة الجيوديسية

في روضة الاطفال كان ر. بوكمنستر فولر احول، بعيد مرمى النظر. ويتذكر المخترع الامريكي ذلك النهار: "زودتنا معلمتنا بعض المساوك (عيدان الاسنان) وحبوب البازيلاء الطرية وطلبت منا ان نصنع بها ابنية. كان الاولاد الآخرون ذوو البصر السوي ملمّين بطريقة بناء المساكن والمخازن، اما انا، وبسبب ضعف بصري، لم اكن ارى سوى احجام ولا إلمام لدي باشكال البناء. وقد صنع رفاقي ابنية مستطيلة الشكل متماسكة بواسطة حبوب البازيلاء. ولكوني ضعيف النظر كان علي الاتكال على حواسّي.

فمن خلال الدفع والسحب اكتشفت ان المثلث الزوايا حافظ على شكله متماسكا بخلاف الاشكال الاخرى. فدعت المعلمة رفاقي ليشاهدوا ما صنعت. واتذكر اني دهشت لرؤيتي اياهم مدهوشين"..

بعد سنين عدة تمثل اعتقاده ان الشكل المثلث الزوايا هو الاكثر ثباتا في بناء القبة الجيوديسية التي هي اليوم العلامة التجارية المسجلة لفولر. اما اروع قبّاب فولر الجيوديسية فكان بناء الجناح الامريكي في معرض مونريال العالمي عام ١٩٦٧. فقد بنيت "الفقاعة الجبارة" بآلاف الدعامات المسدسة الاضلاع والزوايا فبلغ عرضها ٧٦ متراً وعادل علوها علو بناية من ٢٠ طبقة.

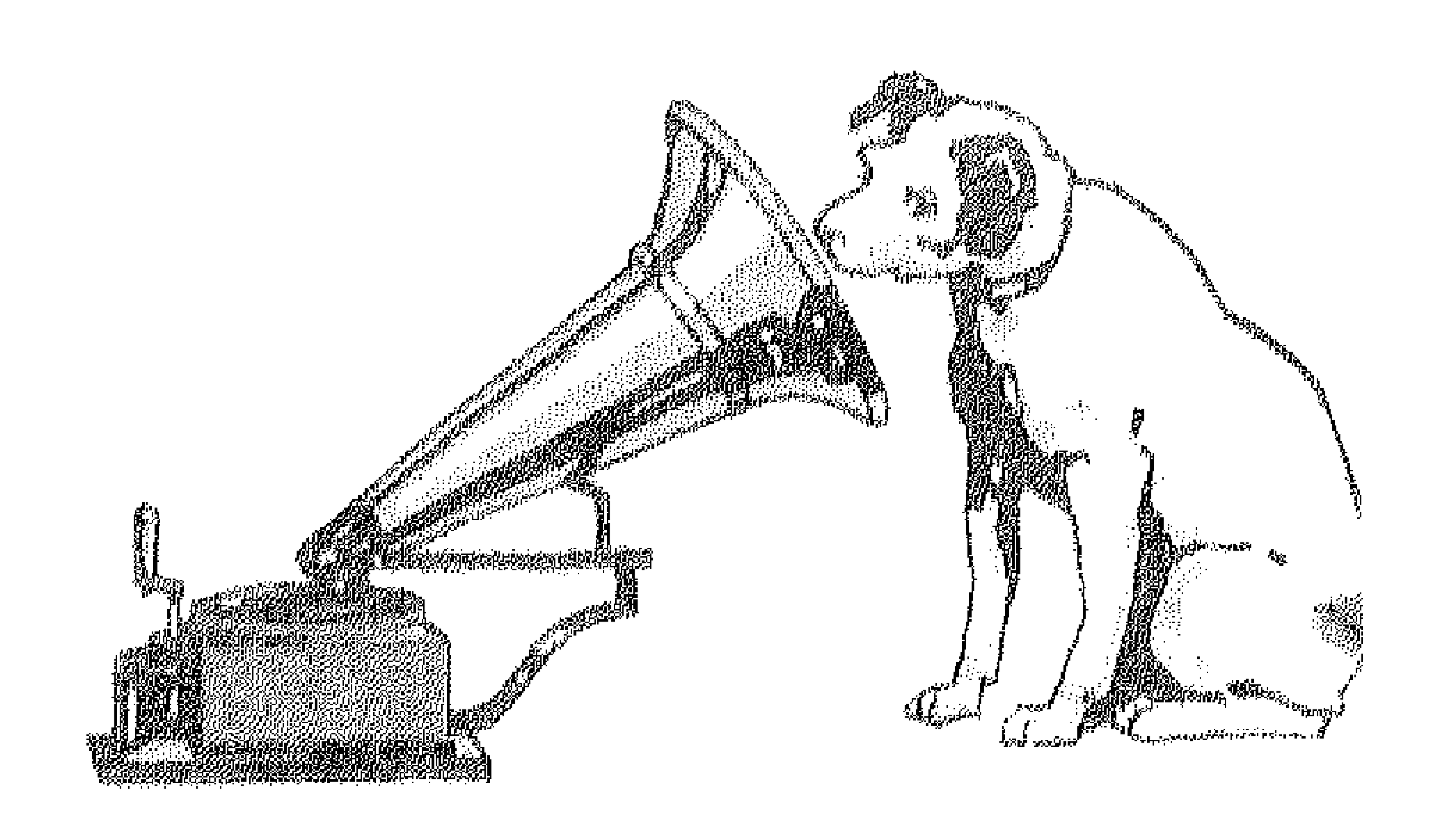
انتبه للعصفور

في ٢٩ اغسطس (آب) ١٩٤٠ لم يكد رسام الحكايات المصورة والتر لانتز وعروسه يستقران في كوخهما الريفي الهادئ في شيروود لايك، بكاليفورنيا، لقضاء شهر العسل، حتى فوجئا بطائر نقار يثير ضجة وهو ينقر السقف محاولا اختراقه. ولم يكن هناك من سبيل الى طرده.

لقّب العروسان الطائر النقّار المتطفل العنيد "وودي وودبيكير" وحاولا ان يقنعا المديرين التنفيذيين في استوديوهات شركة يونيفرسال في هوليوود بان نجما جديدا قد ولد. ويتذكر والتر ما حدث آنذاك: "قالوا لي ان عليك ان تجري فحصاً لعقلك وان الطائر عربيد، أجش الصوت، بغيض ولن يكون نجماً ابداً." غير أن والتر ربح الرهان في النهاية. فقد بدأ يرسم بطله، وما لبث ان ظهر وودي على الشاشة الكبيرة. وقد عرضت اشرطة "وودي وودبيكير" في قرابة ٨٣ بلداً. ان نسخاً من وودي تنقل الى كل اللغات ولكن ضحكته المميزة بخمس نوتات التي تؤديها غرايس لانتز - وقد مضى عليها تقريبا ٣٥ سنة - بقيت من دون تغيير.

"صوت سيده"

ذات يوم في لندن، اواسط السنوات الثمانين من القرن الماضي، وضع الفنان فرنسيس بارّو اسطوانة على "آلته الحاكية." وفيما انسابت الموسيقى من البوق الذي يشبه اوراق زهرة "مجد الصباح" ادار كلبه "نيبّر" رأسه ونصب اذنيه كمن ينصت الى الصوت. وبعد وفاة



نيبّر عن ١١ عاماً في ١٨٩٥، عزم بارّو على رسمه في مشهد اصغائه المحبّب الى القلب وسمى اللوحة "صوت سيده."

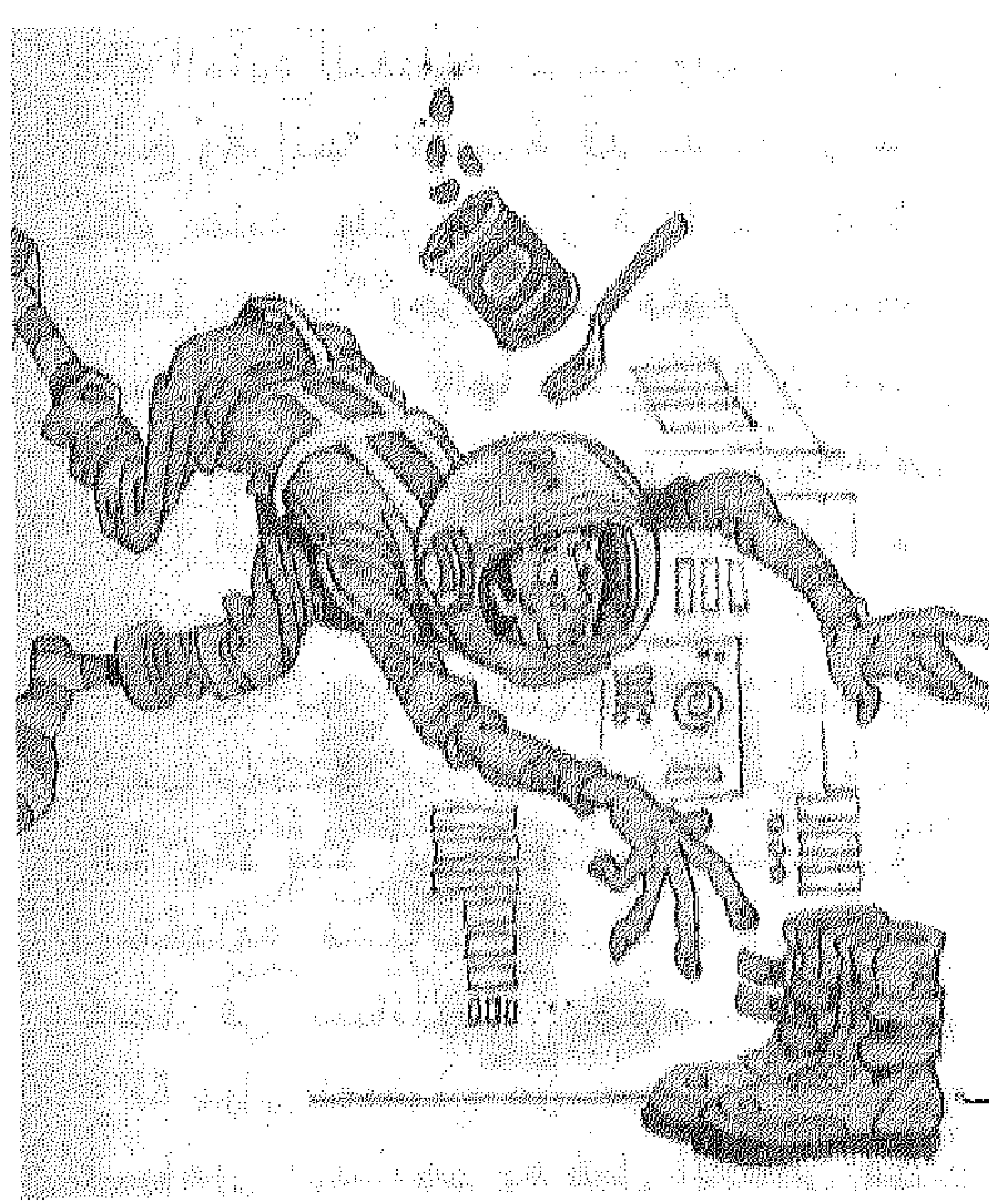
اشترت شركة "غراموفون" اللوحة الزيتية ومعها حقوق النشر والتسجيل بمبلغ ١٠٠ جنيه استرليني. وحرصت كثيراً على اللوحة وخوّلت رجال الاطفاء، في حال نشوب حريق، انزالها عن الجدار حيث كانت معلقة في غرفة المدير واخراجها سالمة.

ومنذ ذلك الحين وشبه نيبّر يُنسخ ليس على الاسطوانات المسجلة فحسب ولكن كذلك على اقلام الرصاص ومنافض السجائر والقمصان وربطات العنق والملصقات الاعلانية. ولا يزال نيبّر العلامة التجارية الرسمية لشركة غراموفون.

"فيلكرو"

ذات يوم في العام ١٩٤٨ خرج المخترع السويسري جورج دو ميسترال للصيد ومعه كلبه. فاحتك كلاهما بنبات الارقطيون الشائك فعلق من شوكه في جلد الكلب وفي سروال دو ميسترال الصوفي.

ولدى عودته الى البيت تساءل دو ميسترال عن السبب الذي يجعل الشوك يلتصق بهذه الشدّة. ففحص المادة اللاصقة بالمجهر ولاحظ ان مئات من الكلابات عالقة بطبقة الصوف والفرو المسطحة، فتبادر الى ذهنه ان الشوك يشكل مادة لاصقة لا تضاهى. فتبلورت في رأسه فكرة عن مجموعة من الكلابات تعلّق بمجموعة من الانشوطات (الحلقات)، تجسدت في "فيلكرو" (VELCRO)، مِربطة النيلون الخفيفة غير القابلة للتعقيد والصدأ والتي يمكن غسلها. وهي تستخدم الآن للملابس والستائر والمفروشات والادوات الطبية (اطراف آلة فحص ضغط الدم، اطواق للعنق، قلوب اصطناعية) وفي الطائرات والسيارات. ويستخدم رواد الفضاء فيلكرو للصق رزم الطعام الى جدران المراكب الفضائية وللاحتفاظ باحذيتهم ملتصقة بارض العربة.

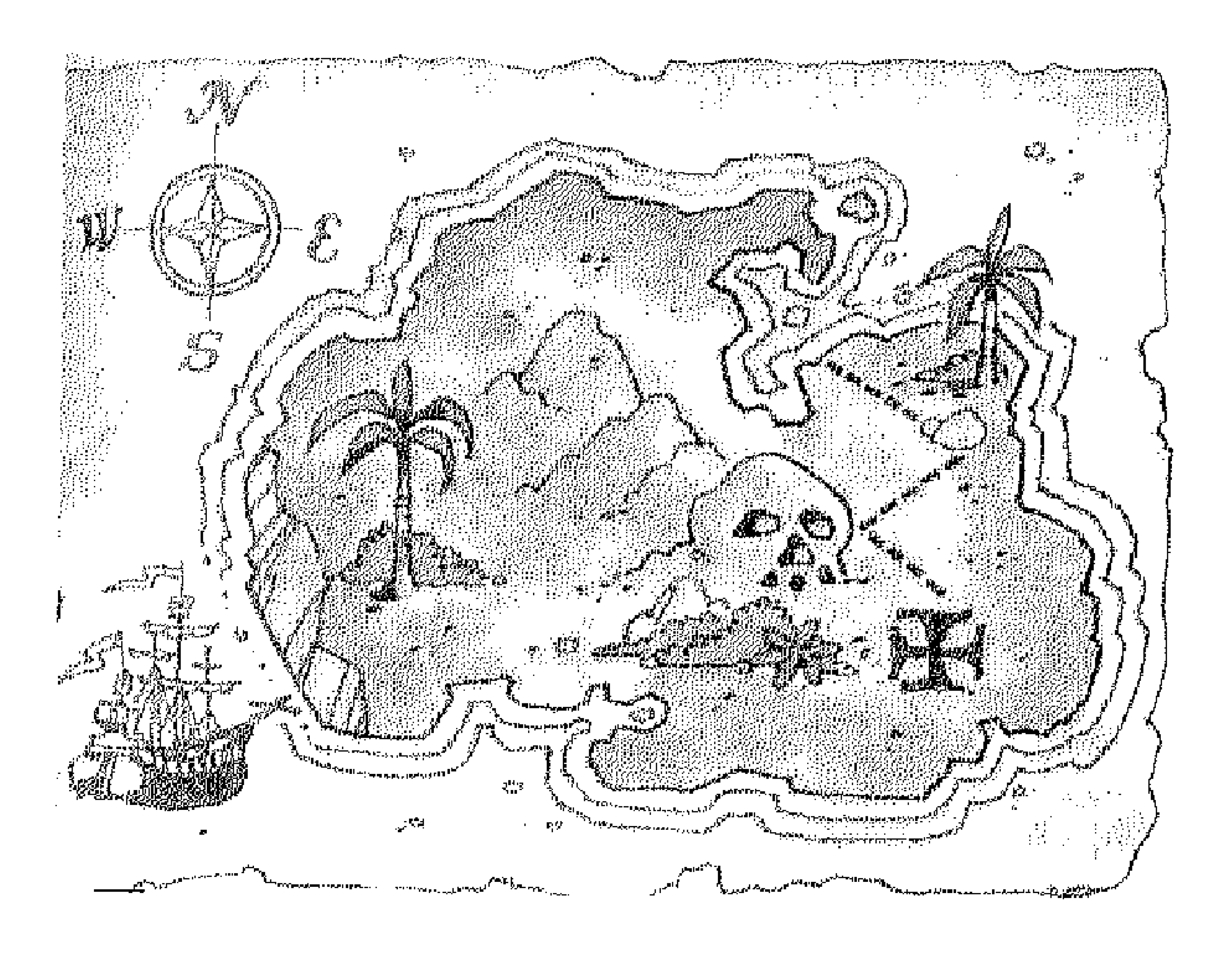


"الفازلين"

عام ١٨٥٩ سافر روبرت تشيزيبرو، وهو كيميائي من بروكلين في الثانية والعشرين من العمر، الى بنسلفانيا لمشاهدة حقول النفط المكتشفة حديثا. فسمع هناك عمال النفط يشتكون من شمع شبيه بترسب البارافين سمي "شمع القضبان"، يضطرون الى ازالته في الغالب عن قضبان المضخات الفولاذية. الا ان هؤلاء وجدوا في تلك المادة المزعجة مرهما مسكنا وشافيا للحروق والجروح. فاثار ذلك اهتمام تشيزيبرو فجمع عينات من شمع القضبان وحملها الى منزله وباشر فحصها.

مرت ١١ سنة وهو يعمل في تصفية الراسب وتنقيته. وكانت اكثرية المراهم تصنع آنذاك من الشحوم الحيوانية والزيوت النباتية، وتتعرض للتلف اذا حفظت لمدة طويلة. ففكر تشيزيبرو بأن هذه المادة النفطية المنشأ والخالية من الزَنخ والرائحة الكريهة قد تصبح مرهما يكثر طلبه. ولكي يختبر فاعليته احدث جروحاً وخدوشاً وحروقاً في جلده وعالجها بشمع القضبان. ولما تأكدت له فاعلية هذا المرهم، انشأ تشيزيبرو في العام ١٨٧٠ المعمل الاول لصنع البلسم الجديد الذي سماه "فازلين."

واليوم يباع فازلين النفط الهلامي المميز بملصقه الازرق والابيض في ١٤٠ بلداً. وقد وجد المستهلكون الوف الطرق لاستخدامه. فصيادو الاسماك يستخدمونه طعماً في سنانيرهم، وتعتمده النساء لازالة مواد الماكياج عن عيونهن. ويطلي السباحون اجسادهم به قبل الغطس في



الماء الجليدية، كذلك يطلي به مالكو السيارات اطراف كابلات البطارية منعاً للتأكل.

توفي روبرت تشيزيبرو في ١٩٣٣ عن ٩٦ عاما. وحين كان مريضاً طلى نفسه، من رأسه الى قدميه، بالبلسم. وقال ان حياته الطويلة تعود الى الفازلين.

"جزيرة الكنز"

في يوم ماطر من العام ١٨٨١ رسم روبرت لويس ستيفنسن خريطة مائية لجزيرة خيالية، في محاولة منه لتسلية ربيبه (ابنه من زوجته) البالغ الثالثة عشرة من عمره. وكانت تلك الخريطة مصدر الهام لاحد اشهر كتب ستيفنسن. وهو يتذكر لاحقاً ذلك الحدث "لقد استولى شكل الجزيرة على خيالي الى درجة تفوق الوصف. وفيما كنت منصبا على خريطتي بدأت شخصيات قصة "جزيرة الكنز" تظهر في الغابات الخيالية، تتقاتل وتسعى الى اكتشاف الكنز. ولم ادر الا والورق بين يدي اسطّر القصة التي اشتملت على فصول عدة."

كارول اورساغ ماديفان
وآن الوود ■

صور من الحياة

تجاذب النقيضين!

راح زوجان يتناقشان حول ورق الجدران بعد الانتهاء من لصقه. فكان الزوج منزعجاً من لامبالاة زوجته حيال احساسه برداءة هذا العمل. واخيرا قال لها: "تكمن المشكلة في كوني متطلبا للكمال، على نقيضك تماما."
فردت له فوراً الكيل اثنين: "هذا عين الصواب، وهو ما يفسّر لماذا تزوجت مني وتزوجت منك!"

ب.ن.م.

سؤال وجيه

كنا نصطحب ابننا الى جامعة شهيرة ليجري مقابلة تقرّر قبوله أو رفضه. وفي الطريق درّبه زوجي على طريقة التصرف في اثناء المقابلة وأطلعه على أهمية قبوله في معهد ممتاز للهندسة.
وعند وصولنا تردد ابننا المراهق لحظة قبل دخوله المبنى وسأل أباه: "بابا، لماذا أريد أن أكون مهندساً؟"

ف.غ.

ملف الكلام التافه

في اول يوم قضيته في عملي الجديد اخذني العجب من الملفات المنظمة. فحتى ملف المتنوّعات كان مقسماً: "ادارة متنوعة" و"اشكال متنوعة" وما الى ذلك. ثم اكتشفت حافظة للاوراق الصقت عليها بوضوح شريطة حملت هذه العبارة: "كلام تافه متنوّع قد لا يجدي، ولكن من يعلم؟"

د.ك.

الفرق واضح!

قررتُ ان ارتّب فناء البيت حتى اوفر لأحفادي مكاناً يلعبون فيه. وعرّج عليّ ابني في زيارة عاجلة فكلفته اتمام المشروع. ولما ابدى تذمُّراً، على رغم طيبته الخلقية، قلتُ له: "عندما اخترت ان تصبح اباً قبلت ان تلتزم جميع انواع الاعمال."
فرد بالقول: "لينس هذا العمل ناجماً عن كوني اباً، وانما اقوم به لانني ابن لجدة."

م.س.إ.

الصغار يجهلون

بعدما سمعني ابنيَ الصغير أتحدث عن عملي تطلّع بلهفة الى قضاء يوم معي في المكتب. وعلى رغم طبعه الخجول بدا توّاقاً الى لقاء كل زملائي الذين قدمته اليهم. غير أنه كان متجهم الوجه في طريق العودة الى البيت. ولم أستطع تبين سبب خيبته الى أن اشتكى قائلا: "لم تعرّفني يا أبي الى أي من المجانين والمهرجين الذين تقول انك تعمل معهم."

م.م.د.



غابـات المطرْ صَيْدلية العصْرْ



عالم نبات
يتعلم من شعب قديم
أسرار النباتات الشافية

كانت طائرتنا الـ"سيسنا" ذات الستة المقاعد تحلق مدندنة فوق قطعة من الغابات. وعلى علو ١٣٠٠ متر شعرت بالحرارة الخانقة المنبعثة من المملكة الخضراء المترامية تحتنا، من غابات الخطر (★) في جنوب سورينام.

انحنى مارك بلوتكن الى الامام محدّقاً الى ثلاثة ذيول من الدخان في الافق. وما هي الا بضع ثوان حتى ظهرت انفراجة قاتمة صغيرة. واذا بي أرى كوامالا ساموتو وهي قرية من ٨٠ كوخاً من القش متكومة على ضفة نهر موحل المياه. حطت الطائرة. وكان هناك مئة من هنود التيريو ذوي البشرة النحاسية ينتظرون. اندفعوا نحونا، فتبسم لنا بلوتكن قائلاً: "أهلا بكم الى هذه الجنة الارضية."

(★) Rain forests

تدافع الهنود اليه حين نزل من الطائرة. وراح الصبية يشدون ذراعيه ويتمسكون بحقائبه. كان بلوتكن على معرفة بلغة "سرانانغ تونغو" لغة سورينام التجارية، وخص كلا منهم بنكتة أو ابتسامة. قال له احد الصبية: "كنا نبكي لاعتقادنا أنك نسيتنا." وكانت مضت سنتان على غياب بلوتكن.

في هذه المستوطنة الصغيرة في أمازونيا كان بلوتكن كمن يرجع الى بيته. والرجل هو مدير برنامج النبات في "الصندوق الدولي للحياة البرية" في واشنطن حيث مركزه الرئيسي. وقد تلقى تدريباً في جامعة هارفرد في كامبردج كعالم نباتي يعنى بدراسة طرق القبائل في استخدام النباتات كأدوية. وقد أخذ على عاتقه مهمة جمع نباتات هنود التيريو وتوثيقها قبل أن تأتي الحضارة على أطباء القبائل وحكمتهم.

سار بلوتكن على رأس موكب فوق جسر متداع، مروراً بأكواخ من أغصان النخيل حيث كانت النساء يخبزن على نار مكشوفة وكان الرجال مستلقين في الاراجيح. وكانت الاكواخ ذوات الغرفة الواحدة والارضية الترابية متباعدة بضعة أمتار دونما أي نظام.

يُنظر الى غابة المطر حالياً على أنها منقذ محتمل للحياة. فالمواد الكيميائية المستخلصة من النباتات التي يستخدمها أطباء القبيلة قد تكون أسساً لعقاقير أو معالجات جديدة لكوارث وأوبئة كمرض السرطان والآيدز. وهذا الامل يعطي مهمة علماء النبات صفة العمل الملحّ. ويُرجع علماء النبات أصول بعض الادوية الى مركّبات كيميائية في تلك النباتات، ومن هذه الادوية الكينين الذي يستخدم ضد الملاريا ومادة الكورار التي تستعمل للارخاء العضلي في الجراحة.

لكن هذه الخزانة من المستحضرات الصيدلية آخذة في التضاؤل بسبب اتلاف غابات المطر وانحسار الحضارات القبلية. يقوله مايكل باليك من معهد علم النبات الاقتصادي في نيويورك: "ان هذا هو آخر جيل من العلماء الذين تتاح لهم الفرصة لدراسة غابة المطر والشعب الذي يعيش هناك وسط هذه الوفرة وهذا التنوع."

نبتات شافية. كانت الشمس ارتفعت فوق الاشجار التي تحف بنهر سيباليوميني الأدكن حين انطلقنا في الصباح التالي لجمع النباتات. وكان بلوتكن يسعى خصوصاً الى العثور على نوعين، هما فطر يستعمله التيريو لمعالجة أوجاع الاذن ونبتة تسبب هذياناً لم يسبق أن حُللت.

وأراد أيضاً ان يقيم صداقة مع أطباء الهنود التيريو الثلاثة الذين كانوا يرشدوننا. وكان هؤلاء "الشامان" الذين راوحت أعمارهم بين الخامسة والخمسين والخامسة والستين، يمارسون فناً يعتبره أولادهم قديماً وغريباً. ولم يكن لديهم تلاميذ. فكان أحد أهداف بلوتكن اقناع زعماء القبائل بتعيين تلميذ شاب من التيريو لتدوين معارف الاطباء الشافين قبل أن تضيع.

سار موكبنا، يتقدمه شامان يلبس مئزراً واثنان من الشبان الهنود يحملان مدى للحماية. ومشينا في ممرّ ضيق

عرضه نصف متر يخترق دغلاً كثيفاً بحيث لم نستطع تبين أكثر من مترين الى كل من الجانبين.

التقط بلوتكن ورقة من النبات الذي يحاذي الممرّ وقال: "انهم يستخدمون هذا في شفاء اللسعات. فقد وخزتني الدبابير مرة، فسحق الشامان ورقة منها وفرك بها مكان الوخز، وبعد خمس دقائق اختفى كل أثر للوخز."

لم ينقطع بلوتكن عن الحديث. وأثار فينا غير مرة عاصفة من الضحك والاستحسان. فاتكاله على الظرف والفكاهة، كوسيلة تساعد في البحث، كان فكرة خاصة به. وهو يقول: "أنني اعتقد أن ابتسامة أو نكتة تزيد المعلومات التي نريد جمعها. وأنا أقول لهؤلاء الاصدقاء ان ما عندهم من المعرفة والحكمة مهم جداً وانهم يفوقوننا ذكاء في أمور كثيرة. ان الهندي في الغابة له معرفة بكل شيء."

ومضى بلوتكن يجمع معارف هنود التيريو الطبية بمعدل نبتة كل ١٠ دقائق: النسغ الاحمر في هذه النبتة يشفي الحروق. والأوراق الذروية لتلك النبتة تشفي فطر الجلد. ولكي تخفض وزنك اشرب عصارة تلك النبتة العطرة. ويقول: "إنهم اطلقوا اسماً على كل نبتة في الغابة. وهم يستخدمون نحو ٣٠٠ منها في علاجاتهم الطبية."

وما لبث بلوتكن أن وجد أول نبتة في قائمة مطلوباته، وهي فطر يستخدم لأوجاع الاذن. فجمع عينات منها وصوّرها وأسقطها في حقيبته قائلاً: "بقي على تقنيي المختبر أن يتقصوا طريقة عملها."

علت الشمس وانعكست أشعتها على أوراق الاغصان الكثيفة فوقنا. وهتف بلوتكن فجأة وقد لمعت عيناه اذ أمسك بنبتة ناوله اياها أحد الشامان الثلاثة: "لقد مضت ست سنوات وأنا أبحث عن هذه النبتة!" وأضاف: "انها تستخدم في أنحاء أخرى من الأمازون كعلاج للدغ الافاعي. أما هنا فانها دواء للحمى."

وفي طريق رجوعنا الى القرية ونحن نجرّ الخطى متثاقلين كان بلوتكن يمازح الهنود. فاذا به يرى النبتة التي تسبب الهذيان فهتف: "هذا يوم آخر في جنّتنا."

النمر الصديق. حين طار بلوتكن للمرة الاولى عام ١٩٨٣ الى كوامالاساموتو ومعه كيس نوم ونباتات مكبوسة، استقبله هنود التيريو بحذر ولقّبوه "بنانا كيري" أي الغريب. قال: "كان الرجال جميعهم مطليين بصباغ أزرق لدى وصولي لأن التقليد قضى بذلك خلال موسم احدى الفواكه. فقلت لهم أنني جئت لكي اتعلّم. وما لبثت أن ولجت الغابة."

وقد رأى بعض الهنود في الغريب الملتحي صورة مضحكة خارجة على المألوف. ففيما كان يجتاز جدولاً مع رجال القبائل الرشيقين في زيارته الاولى زل عن صخرة وسقط في الماء في غطسة غير مشرّفة. قال: "أخبروني لاحقاً أن ذلك كان مضحكاً أكثر من أي شيء رأوه في حياتهم. ومذّاك يدعوني أحد الشامان الرجل الابيض الذي سقط على قفاه."

وحين يُسأل بلوتكن عن مخاطر عمله يجيب أن الهم الاكبر هو عندما يضطر الى شرب جعة المنيهوت الحارة الحامضة

التي يخمّرها رجال التيريو بلعابهم. وقد تعشى لحم أفعى الأناكنده ولحم الباكا وهي من القوارض الضخمة.

عرف بلوتكن أنه تشرّب بعضاً من حضارة التيريو ليلة حلم أن نمراً كان يحملق في أرجوحته. فاستيقظ والعرق البارد يتصبب منه وقصّ الحلم على شامان كان يدعي القدرة على تحويل نفسه نمراً. فقال له الشامان: "كان ذلك النمر أنا." ولم يمضِ على تلك الحادثة وقت طويل حتى توقف التيريو عن تسمية بلوتكن "الغريب" وباتوا يدعونه تحبباً "جاكو" أي "الأخ."

أصبح العمل هاجس بلوتكن الذي نذر له نفسه. وهو يقول: "أذهب الى النوم وأنا افكر في أشجار النخيل الممدّدة، واستيقظ مفكراً في طرق جمع المال لقبائل الهنود. انه عمل يطول مدى العمر. لدينا معلومات مفيدة عن نحو ١٠ في المئة من نباتات الامازون النافعة، وفي حياتي قد نرفع هذا الرقم الى ٤٠ في المئة. وحين أصل الى تنقيح مذكراتي، سيكون هنود التيريو مرتدين معاطف وربطات عنق."

والمديح الذي يسعده يأتي من أصدقائه الهنود. يقول كويتا وهو تيريو صغير عمل معه وتعلم بعض الكلمات الانكليزية: "مارك يصغي."

تلميذ الشامان. اجتمعنا على شرفة عند حلول الظلام. وكان النهر ينساب تحتنا مترقرقاً هادئاً. فجلس بلوتكن على مقعد ضيق ومفكرته في حضنه، يحوطه ثلاثة شامان مع كويتا وبضعة أولاد.

بدأت المحادثة مداورة كالمعتاد. وسرعان ما انتقلت الى الموضوع الرئيسي: النبتة التي تسبب الهذيان. تكلم أحد الشامان بلغة التيريو وتولى آخر الترجمة الى لغة سرانانغ تونغو كي يفهم بلوتكن التفاصيل.

قيل لبلوتكن: "ان الشامان يشرب من عصارة النبتة حتى يرى الشيطان لابساً مئزراً وحاملاً هراوة حرب." فسجل ذلك في مفكرته. وذُكر له أيضاً أن الشامان ينقع الجذور في الماء البارد ويجرع الشراب الناجم عنه.

سأل بلوتكن الى متى تدوم فاعلية هذه الجرعة من الدواء. فبانت الجدية والكآبة على وجه الشامان اذ قال: "يتعذر أن تنام مع زوجتك لمدة ثلاثة أيام. لا تشرب هذا الدواء الا متى كان المرض شديداً الى حد يعجز أي شيء آخر عن شفائه."

بعد مغادرة الشامان تكلم كويتا بخجل. قال ان رؤساء القبائل عينوه منذ ذلك اليوم لترجمة قائمة بلوتكن لنباتات التيريو الطبية الى لغة التيريو، وهو سيكون التلميذ المتمرن للاطباء فانفرجت أسارير بلوتكن وعلت وجهه ابتسامة عريضة مشرقة.

كان اليوم التالي آخر يوم لنا في القرية. فوهب بلوتكن أبناء القبيلة ما بقي من طعامنا ومواد الزينة والصابون والاحذية وولّاعات سجائر، وقال: "عندهم اعتقاد يسمّونه "ايباوانا"، أي الصداقة المستمرة. والصديق يعطي صديقه أشياء."

حملنا أدواتنا وعدّتنا الى المدرج الضيق وانتظرنا الطائرة في بقعة ظليلة.

كان ذلك يوم سبت، وغالبية رجال التيريو في الصيد. قال بلوتكن: لا أنفكّ عن التفكير في أن رجال هذه القرية كانوا قبل ٣٥ سنة يشعلون النار بحكّ العيدان بعضها على بعض. وها هم الان يلبسون ساعات يد ونظارات. علينا مساعدتهم لحفظ حضارتهم. فبعض الاشياء القديمة يستحق البقاء، لاجلهم ولأجلنا."

سألته عن الاستنتاجات التي توصل اليها من خلال عمله هنا مدة ست سنوات، فأجاب: "الامر الاهم هو أن هناك حقائق متباينة. وليس من الضرورة أن تكون احداها أصدق من غيرها. فلا يعني حملك شهادة دكتوراه أنك تعرف في علم النبات أكثر مَنْ شخص آخر يجهل القراءة."

وأضاف: "لست سوى ولد من المدينة كان أبوه يبيع الاحذية. والآن يعانقني الهنود في الأدغال. ان هذا حلم كل فتى يرغب في أن يكون مستكشفاً للغابات. والآن أصبح كويتا تلميذ طبيب. نحن نمد الجسور بين حضارة العلم وحضارة الامية."

ظهرت طائرة "سيسنا" في الشمال الشرقي وهبطت على المدرج. وكان تلميذ الطبيب تخلى عن رحلة الصيد ليودّعنا. فصافحنا بوقار. وما هي الا بضع دقائق حتى ارتفعت بنا الطائرة. وظلت كوامالاساموتو تصغر كلما ابتعدنا الى أن توارت كلّياً. ثم لم نعد نرى سوى غابات الامطار الخضراء، الزاخرة بالحياة، السرمدية المترامية الى ما لا نهاية.

دونالد ديل جاكسون ■



نصيحة بجمل!

اتصلت سيدة بشركة الكهرباء واشتكت من أن التيار مقطوع عندها، فما عساها تفعل؟

فجاءها الصوت من الطرف الآخر ينصحها: "افتحي الثلاجة وكُلي الآيس - كريم."

ف.و.

"تعالَ معي يا أخي"

قالت الممرضة: "هل لاحظت، يا دكتور، ارتفاع نسبة التوائم المولودة أخيراً؟"

فرد الطبيب: "في هذه الايام الرديئة، ربما خاف كل منهم أن يأتي بمفرده الى هذا العالم!"

أ.ك.

قالت امرأة لرفيقها بعد انتظار طويل في مطعم للاسماك: "لم أكن أتصور أن صيد اليوم سيكون نادل المطعم."

ر. د.



سجناء سابقون يؤهلون مدمنين وسجناء في برنامج اصلاح فريد

مدرسة السّجناء والمدمنين

ميمي سيلبرت ذات العينين المتألقتين هي الصورة الحقيقية للزهو. تصبح: "أليس رائعاً؟" وتنفرج ذراعاها كأنهما تعانقان المجمّع المبني على الواجهة المائية لسان فرنسيسكو في مساحة ١٣ ألف متر مربع.

ويوافق جون. لسنوات خمس خلت أوقف جون بتهمة ترويج المخدرات. والآن هو المتعهد المسؤول عن مشروع انشائي بقيمة ٣٠ مليون دولار، يضم ١٧٧ مسكناً وموقفاً لـ١٥٠ سيارة و٥٦٠٠ متر مربع من محلات البيع بالتجزئة (القطاعي) ومسرحاً ومطعماً.

وفيما المطارق تدق بغير انقطاع لا يني الفريق المالي في المشروع يشغّل أجهزة الهاتف. هذا فريدي، اللص السابق ابن السابعة والعشرين وتاجر المخدرات ومدمنها، يستجدي هبات

Photo: © George Steinmetz

لنافورة ماء وبركة. وهذا ستيف، المدمن السابق، يحاول تدبير روافد فولاذية للسقف. وهذه ديان، سارقة المجوهرات سابقاً، تتزلف الى صاحب ورشة نجارة لعله يهبها نوافذ خشبية.

أفراد هذا الفريق العامل الذي لا شبيه له هم في سبيل ملاحقة مهمة حب: تشييد مركز اضافي للبرنامج الذي أنقذ حياتهم: مؤسسة شارع دلانسي (★).

في العام ١٩٧٢ فاتح جون ماهر، مدمن الهيرويين السابق، ميمي سيلبرت من جامعة كاليفورنيا في بركلي، حول تطوير برنامج اعادة تأهيل "يديره سجناء سابقون لمصلحة سجناء سابقين." فالبرامج التقليدية لاعادة تأهيل المجرمين لا تعمل كما يجب، على حد زعمه. وهناك حاجة الى مدمن سابق لفهم الالم المقطع للنياط والناجم عن ترك الهيرويين فجأة وكلياً، ولادراك تعاسة الارتعاش في زقاق في ليلة شتائية، ولوعي الساعات المبددة جزافا خلف جدران السجن. والسجين القديم هو المؤهّل لادراك مغازي القصص الحزينة وكنه الاعذار التي تبرر الاعمال السيئة.

ناقش سيلبرت وماهر إمكان أن يعيش السجناء والمدمنون السابقون والحاليون معاً يساعد بعضهم بعضاً على التخلص من الادمان، وأن يعلم بعضهم بعضاً كيف ينال شهادة ثانوية أو درجة جامعية، وكيف يقيم تجارة شرعية أو يتولى وظيفة، وأهم من ذلك كيف ينمّي احترام الذات. وستدار المنظمة مثل عائلة. فالمقيمون الذين تابعوا البرنامج أطول مدة ينبغي أن يرشدوا الواصلين الجدد الذين، بدورهم، يفعلون الامر نفسه للنزلاء المقبلين. وبدلا من الاعتماد على مساعدات الحكومة سيكسب المشتركون رزقهم بالعمل الدؤوب كسائر المواطنين.

وهكذا ولد مركز لمعالجة مدمني المخدرات والكحول ولإعادة تأهيل المجرمين وللتدريب المهني. وتولت ميمي سيلبرت مع جون ماهر الرئاسة بالمشاركة، ثم بمفردها بعد ١٩٨٤. واليوم أصبح عدد المقيمين في "شوارع دلانسي" في سان فرنسيسكو ولوس أنجلس وسان هوان بويبلو (نيومكسيكو) وبروستر (نيويورك) وغرينسبورو (كارولينا الشمالية) ٨٠٠ نسمة.

"أنتَ تبدِّد وقتنا". أخذت المؤسسة اسمها من شارع دلانسي في الجانب الشرقي السفلي بمدينة نيويورك، الذي كان في بداية هذا القرن الموطن الاول في امريكا لكثير من المهاجرين الاوروبيين. وقد دُعي الوافدون الجدد على مؤسسة شارع دلانسي "مهاجرين"، لأن هؤلاء وأولئك كان يتعيّن عليهم أن يتعلموا التكيُّف مع المجتمع الجديد. تقول سيلبرت: "نحن نأخذ الناس الذين لا يعرفون كيف يحيون في أمريكا، أكانوا مثقلين بالمخدرات أم خارجين من سجن أمضوا فيه معظم حياتهم."

اعتاد مدمن المخدرات ديفيد السطو على المنازل لتأمين ثمن الحقن والجرعات. وذات يوم وجد نفسه قابعاً في السجن. وهو يتذكر: "كنت يائساً، وكثيراً ما تمنيت الموت."

(★) Delancey Street Foundation

تعلّق ديفيد بحبل الرجاء وهو نزيل سجن في كاليفورنيا، وكان عمره ٣٨ عاماً. فكتب رسالة الى مؤسسة شارع دلانسي متوسّلا ان يُقبل فيها كبديل من عقوبة السجن.

بعد عدة أسابيع وصل في سروال جينز ليجري مقابلة مع أربعة مقيمين في شارع دلانسي. سألوه: "لماذا أتيتَ الى هنا؟" فرفع ديفيد نظره متفرّساً في الرجال الواثقين من نفوسهم في لباسهم الرسمي، وفكّر في كل التغييرات التي عليه أن يحدثها في نفسه ليصبح مثلهم. واذ تملكه الخوف أفشى اليهم من دون تفكير: "في الحقيقة، لست راغباً في أن اكون هنا."

فاكمدّت وجوه الرجال وقالوا: "أنت تضيع وقتنا." ثم أرسلوه خارجاً ليراجع تفكيره.

عندما وقف ديفيد على الرصيف خشي أن يكون فوت الفرصة الاخيرة لتخليص حياته. وبعد دقائق دُعي مجدداً الى الدخول، فعرف أنه راغب في البقاء.

بعض الطامحين الى أن يؤويهم شارع دلانسي يقطعون عهداً بألا يحاولوا الهرب. ويرسل آخرون الى هناك بعد تعليق عقوبتهم مع الاستمرار في مراقبتهم، أو بدلا من السجن. ويتعين على كل منهم أن يلتمس قبوله شخصياً. فلا أحد – حتى القاضي – يستطيع أن يضمن لهم القبول.

مشية البطة. يبقى النزلاء في شارع دلانسي أربع سنوات كمعدل وسط. ويتحمّلون "تربية" تشمل تدريباً مهنياً وثقافياً واجتماعياً. و"المعلمون" في مدرسة شارع دلانسي هم المدمنون وبائعو المخدرات المصلَحون وبعض المتطوعين من الخارج. والى البرنامج الاكاديمي، هنالك ثلاث "جلسات بوح" أسبوعية غير رسمية وأعمال يومية ولقاءات وندوات.

تقول سيلبرت: "الناس الذين يُعتبرون مرضى في مكان آخر هم المسؤولون هنا." يتعلمون كيف يساعد الواحد الآخر، ويسهرون طوال الليل مع صديق يصارع الحاجاً يحفزه على العودة الى المخدرات، ويشجّعون مقيماً متحفّظاً كي يبوح بمشاعره، ويشدّدون على عامل جديد لم يعهد في حياته دواماً منتظماً كي يحضر الى عمله في الوقت المحدد.

وفي انتظار استكمال سكان شارع دلانسي سنتهم النهائية وانطلاقهم الى سوق العمل، يعملون في مؤسسات المنظمة منجزين مهمات في نطاقات البيع والشغل اليدوي والعمل المكتبي. ونتيجة لذلك يطوّرون مهارات متنوعة مما يفسح أمامهم خيارات التوظيف.

مثل كل القادمين الجدد بدأ ديفيد من أسفل السلم، منظّفاً الارض والمراحيض. ثم تدرّج الى أعمال أفضل ودرس في الجامعة وغدا عضواً في اتحاد النجارين. كذلك تعلّم بعض الاساسيات كالنظافة والاناقة وحسن الكلام وآداب المائدة. ففي فلسفة شارع دلانسي أن المرء اذا بدا لائقاً فسيعامله الآخرون بلياقة فيتحسن شعوره حيال نفسه. أو، كما تقول ميمي سيلبرت: "من خطر كالبطة غدا بطة في نهاية المطاف."

اليوم أصبح ديفيد نجاراً وزوجاً سعيداً.

ويقول: "لولا شارع دلانسي لكنتُ في السجن أو في الازقة أتعاطى المخدرات... أو ميتاً."

بناء الثقة. يقول النزلاء إن اتمام برنامج شارع دلانسي هو أصعب حتى من تمضية عقوبة بالسجن. وتضيف سيلبرت: "في السجن أنت لست مسؤولا عن شيء، أما في شارع دلانسي فأنت مسؤول عن كل ما تفعله. لا يهمّ لماذا كنت مدمناً أو لصاً، ما يهم هو ايمانك بقدرتك على تغيير كل ذلك."

بدأ سوني منذ السن الحادية عشرة يسرق السلع المعروضة في المتاجر. وفي الرابعة عشرة كان يدخّن الماريوانا ويروج حبوباً تولّد الادمان. واكتشف في ربيعه الثامن عشر المخدرات القوية مثل الهيرويين والكوكايين. وأخيراً طُرد من الكلية لسرقة كبيرة ومحاولة قتل، وأرسل الى سجن حيث أخبره زميل نزيل عن شارع دلانسي. فكتب سوني الى القيمين على البرنامج: "أحتاج الى المساعدة."

مكث في شارع دلانسي عشر سنين عاملا في عدة مشاريع تدريب، بما فيها مركز السيارات، ويتصرف بأموال مؤسسات شارع دلانسي. يقول وهو لا يزال منشدهاً: "لقد وثقوا بي مع اني لم أتسلم عملا من قبل ولم أستحق بطاقة اعتماد." واليوم أصبح سوني عامل بناء في سان فرنسيسكو.

عائلة حقيقية. على امتداد ١٧ سنة تخرَّج أكثر من ٥٠٠٠ مدمن ومجرم سابق في مشاريع دلانسي. اشتروا بيوتاً وربّوا عائلات. أصبحوا اطفائيين وكهربائيين وميكانيكيين وعمال بناء ومدرِّسين ومحامين ورجال شرطة وأرباب اعمال. بل أصبح بعضهم مستشارين قانونيين وباحثين في علم الجريمة.

معظم متتبعي البرنامج لم يمارسوا عملا يتطلب مهارة أكثر من بضعة أشهر. ونحو ٨٥ في المئة منهم تعاطوا الهيرويين أكثر من عشر سنين. ربعهم من النساء، ونصفهم ينتمي الى الاقليات كالزنوج والاسبان والهنود الحمر، ومعظمهم أمي. كلهم كانوا مجرمين عتاة: لصوصاً يسطون ليلا على المنازل، وسارقي سيارات، وسالبين بقوة السلاح، ومروّجي مخدرات، وبغايا، وقتلة.

لا يتحوّل المدمنون السابقون تحولا كاملا بين عشية وضحاها، كما تقول سيلبرت، وربعهم يعاودون سيرتهم الاولى. لكن القرار هو قرارهم. وتنبّه سيلبرت الى "أنَّ هناك عشرة أشخاص ينتظرون شغور أحد الامكنة." أما الذين يصمدون فيصبح شارع دلانسي عائلة حاضنة لهم.

جيران طيبون. في الايام الباكرة لشارع دلانسي احتشد أول جمع من المدمنين السابقين في شقة واحدة. وما أقبل ١٩٧٤ حتى صارت المنظمة تحتاج الى نحو ١٠٠ حجرة. فسيلبرت أرادت الحفاظ على المقيمين بعيداً عن "العالم السفلي" الذي يعجّ بمروّجي المخدرات. وفيما الفريق يقتّر على نفسه لتوفير المال جاءت مع ماهر بلقيا: مبنى القنصلية السوفييتية القديم الرائع في

مرتفعات سان فرنسيسكو الانيقة المشرفة على المحيط الهادىء. اشترت منظمة شارع دلانسي المبنى بمبلغ ١٦٠ ألف دولار دفعت منه قسطاً صغيراً في البداية.

أصبح تجديد "روسيا"، كما لقب المقيمون البناية، سمة مميّزة للحياة في شارع دلانسي. فالمدمنون السابقون الذين لم يكونوا يفقهون شيئاً عن تشييد البيوت أدوا المهمة بأنفسهم، قاشطين الاخشاب، مسمّرين القوالب، مرمّمين الجصّ. واليوم يثمن البناء المجدد بأربعة ملايين دولار.

عزّز التأنق المضفى على المنزل حسن السمعة في الجوار، ولكن ليس بالمقدار الكافي. ولكي يلقى نزلاء شارع دلانسي قبولا أفضل أمّنوا في الحي خدمة كانوا وحدهم المؤهلين لتأديتها: حراسة جماعية يتولاها خفراء يذرعون شوارع المنطقة الكثيرة التلال للحؤول دون تسلل من تسوّل له نفسه السرقة والسطو المسلح وغير ذلك من الاعمال الكريهة.

في تلك الاثناء كان عليهم أن يجدوا طريقة للقيام بأود عديدهم المتنامي. وجاء سيلبرت الجواب ذات يوم عندما كان فريق شارع دلانسي ينقل أثاثاً الى أحد بيوت الجيران بقصد اقامة حفلة خيرية. فاذ راحت تراقب مجرميها ذوي العضلات المفتولة وهم يعملون، ابتسمت فجأة وهتفت: "وجدتها! سوف نبدأ شركة نقل أثاث."

واليوم، بعد ١٥ عاماً، يملك ناقلو شارع دلانسي أسطولا من ٣٥ شاحنة ضخمة، وتفرّعت المؤسسة الى عدة مشاريع تجارية مثل تأمين لوازم المآدب وتصميم الاثاث وخدمات نقل المواطنين الكهول والمعاقين. وهذه الاعمال التي يديرها المحكومون ومروّجو المخدرات السابقون تدر ربحاً سنوياً صافياً يبلغ ٩،١ مليون دولار.

تحدّيات جديدة. كل هذه الخدمات تؤمّن التمويل لمشاريع دلانسي وتوفّر مبلغاً كبيراً. تقول سيلبرت: "يكلّفنا ايواء شخص واطعامه في شارع دلانسي مدة سنة كاملة أقل من ١٠ آلاف دولار، وهذا هو نصف المبلغ الذي تصرفه الدولة على السجين."

ويشدّد سكان شارع دلانسي أيضا على افتخارهم بنشاط جماعتهم. وينظم المحكومون السابقون نزهات الى الحدائق العامة وأخرى يُطهى خلالها الطعام ويُقدّم في الهواء الطلق الى اولاد يشكون اضطرابات. وهم يلتقطون عن الارض نثار الاوراق والاغصان اليابسة في حملات تنظيف محلية. والى ذلك يديرون هيئة لتوزيع الطعام وشراء اللوازم لمصلحة ٦٠ منظمة خيرية في منطقة سان فرنسيسكو.

فلا عجب اذا أشاد المسؤولون بأفضال شارع دلانسي. يقول رئيس دائرة شرطة سان فرنسيسكو فرانك جوردان: "شارع دلانسي هو أروع برنامج عرفته لاعادة بناء الحياة." وتضيف رئيسة بلدية سان فرنسيسكو ديان فاينستاين: "انا أعتبر شارع دلانسي أفضل برنامج متاح لايقاف مساوىء المخدرات وتعليم شبابنا كيف يعيشون حياة ناجحة."

تستطيع المؤسسة أن تنام على أمجادها بعدما بلغت شأواً من النجاح. لكنها في قيادة ميمي سيلبرت تبحث عن تحديات جديدة. ففي ولايةٍ نيومكسيكو عُملٍ ما لا يعمل عندما تولّت المؤسسة تعهُّد الجانحين الاحداث وتدريبهم جنباً الى جنب مع السجناء السابقين الراشدين. وتدعو كارول كيزيا، مستشارة وكالة العدالة الجنائية، مشروع نيومكسيكو "نموذجاً لبرامج العدالة من أجل الاحداث." وهذه الارادة الطيبة لتجربة أشياء جديدة هي وراء تشييد المجمّع المؤلف من ثماني بنايات على الواجهة البحرية في سان فرنسيسكو. وهو عندما يكتمل بناؤه في خريف ١٩٨٩ سيمكن المؤسسة من استقبال مئات المقيمين الجدد. أما سيلبرت فتعتبر اعطاء مزيد من "المهاجرين" فرصة لمباشرة حياة جديدة هو الهدف الاهم.

تقول سيلبرت: "لا نحتاج الى مبالغ ضخمة لنجعل التغيير ممكناً. كل ما نحتاج اليه احساس بالقيم، ورؤيا، وأناس يؤمن واحدهم بالآخر."

كارولين مايلز وجولي راسكين ■



الفندق الضائع

أعمل بائعاً في متجر قرب تقاطع بضع طرق عامة. وكثيراً ما يدخل علي عابرون يسألونني عن أمكنة في الجوار. وذات مساء دخلت امرأة وسألت عن الطريق الى أحد الفنادق. فأشرت الى الفندق باصبعي وقلت: "اذا نظرت في هذا الاتجاه فانك تستطيعين مشاهدته."

فقالت وقد عيل صبرها: "يا سيدي، لقد رأيته من كل الجهات. قل لي فقط كيف أصل اليه."

ل.م.

عرض عملي

طرق شاب بابي سائلا عما إذا كنت أودّ تجديد اشتراكي في الصحيفة اليومية. فأجبته بالنفي شارحاً أني نادراً ما أجد الوقت لقراءة الجريدة، وأني في المدة الاخيرة كنت أتناولها من أمام الباب لارميها في سلة المهملات.

ففكّر ملياً ثم قال بحماسة: "أنا مستعد لطرحها رأساً في سلة المهملات."

ب.ب.

قال المحامي للمتهم الجالس في منصة الشهود: "والآن أريدك يا سيد أنور أن تخبر المحكمة، بكلماتي أنا، ما حصل بالضبط."

ف.و.



اتبع في حياته مبدأ واحداً:
ما تريد أن تفعله
افعله بلا تردد

لوكوربوزييه
مُهندِسُ القَرن ٢١

حين زرت رائعة لو كوربوزييه الشهيرة في رونشان في سفح جبال فوج الفرنسية، تملكتني الدهشة. كنت شابة مهتمة بفن الهندسة المعمارية الحديثة، ففتنت بالسقف المقوس والجدران المبيّضة المستديرة والطريقة الفذة التي ابتكرها الباني لادخال نور الشمس من خلال فتحات في الجدران غير منتظمة في تباعدها تقوم مقام النوافذ. وسحرتني بساطة القديم ونقاء الداخل. وبعد مرور ثلاثة عقود أجدني لا أزال في قبضة ذلك السحر.

في صيف ١٩٥٧، لدى رجوعي الى زوريخ، عرض متحف الفن في المدينة تصاميم لو كوربوزييه الهندسية ورسومه ولوحاته ومنحوتاته. لم أكن أعلم أن هذا المهندس المعماري العظيم هو رسام أيضاً، وأي رسّام! ألوان لوحاته سببت لي صدمة كهربائية: حمراء صارخة وزرقاء خارقة وبرتقالية وخضراء وصفراء متوهجة. كل هذه الرسوم المعبّرة الرائعة تكاد تتفجر قوة وحيوية.

كان لا بد لي من أن أحظى باحدى تلك البدائع. وذات يوم عاطر من أيام الربيع خرجت مع صديق في نزهة الى الريف أخبرته أثناءها عن الهاجس الذي استحوذ علي. فقال لي عرضاً: "أنا أملك ملصّقة(١) من أعمال لو كوربوزييه." بدأ قلبي يخفق

(١) الملصّقة (collage) رسم تجريدي مؤلف من قصاصات مختلفة ملصقة على سطح صورة.

بشدة فيما هو يتكلم. وتابع: "غير أني أتوق جداً الى امتلاك سيارة. ولكن، وأسفاه، لا مال لدي لشراء واحدة." أوقفت سيارتي الـ"توبولينو" الصغيرة وسلمته مفاتيحها قائلة: "السيارة ملكك اذا أعطيتني الملصّقة." وهكذا تمّت الصفقة للحال.

لم يمض وقت طويل حتى رأيتني مزهوة بامتلاك احدى عشرة لوحة مائية(٢) للفنان، تغمرني السعادة حين أراها محيطة بي. وأضفت الى مجموعتي تجريديات(٣) مثل "الزائرة تذهب" التي تظهر فيها امرأتان في تركيبة من اللونين الزهري والابيض، و"الحرب" المأسوية التي يظهر فيها رجل يائس في ثياب رمادية ممزقة وهو يحمل طفلا باكياً ويتطلع عالياً ملتمساً العون من السماء.

"لا أحد يريدها". اشتد شوقي الى الاجتماع بالسويسري الذي قدم الى باريس عام ١٩١٧ وهو في الثلاثين من عمره وغيّر اسمه من شارل ادوار جانريه الى لو كوربوزييه. كان يعيش في عزلة واشتهر عنه أنه يرفض مقابلة الزائرين.

عقدت العزم على مقابلته لكي أعرض عليه فكرة ربما نالت استحسانه. استقبلني في أغسطس (آب) ١٩٥٨ في "مخبأه" الصيفي، وهو كوخ خشبي في "كاب مارتان" على الريفييرا الفرنسية. كان لو كوربوزييه حينذاك في الحادية والسبعين من عمره، لطيفاً، مسترخياً على سجيته، وشعرت بأنني أعرفه منذ زمن بعيد. دعاني الى العشاء وأصغى بانتباه لدى ذكري اعجابي بلوحاته وبكرسيه الطويل(٤) وبالكراسي التي وضع تصاميمها عام ١٩٢٧. لقد فتنتني أشكالها المبتكرة وصعب علي أن أصدق أن أحداً لم يفكر في صنعها من قبل.

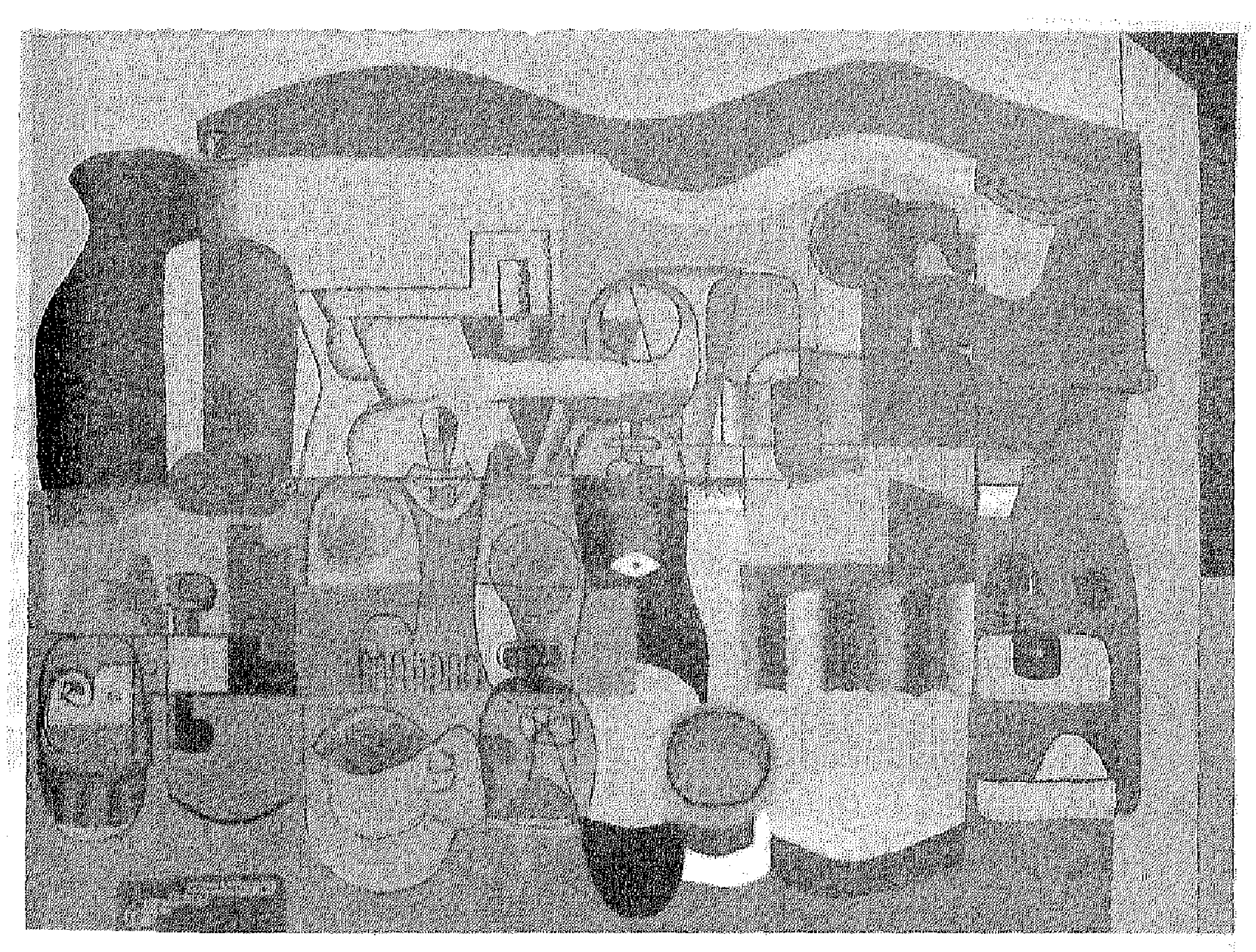
ان تصاميم لو كوربوزييه المعمارية ومشاريعه لتخطيط المدن حجبت رسومه البديعة. وشملت عبقريته الخارقة ابتكارات ريادية كثيرة: استخدام الاسمنت المسلّح على نطاق واسع في البناء، انشاء مكاتب فسيحة وحدائق معلّقة على سطوح البنايات للتنزه والتسلية، وفصل ممرات المشاة عن ممرات السيارات.

"الوحدة السكنية" التي صممها بناية تستوعب ١٦٠٠ شخص، وهي مثال رائع عما يمكن تحقيقه كمشروع سكني تموله الدولة. ضمّ المشروع ٣٣٧ شقة "دوبليكس"، وسوقاً تجارية، وقاعة رياضية على السطح مع حوض للسباحة، ودار حضانة للاطفال، وأقماعاً منحوتة بشكل أنيق تتوج أعالي المداخن. قال ولتر غروبيوس وهو مهندس معماري شهير: "ان أي مهندس معماري لا يرى هذا البناء جميلا يجب أن يتخلى عن أدوات الرسم."

لكن ما خلب العالم كان شانديغار، العاصمة الجديدة التي بناها لو كوربوزييه لمقاطعة البنجاب في الهند، بأبنيتها الحكومية المدهشة ومنازلها المبتكرة التي توفر السكن لنحو ٥٠٠ ألف نسمة. وهذه الانجازات الخلاقة ظلت تحتل

---

(٢) Aquarelles
(٣) Abstractions
(٤) chaise — longue



"زيتية ساكنة باشكال مختلفة"، ١٩٢٣ - ١٩٥٣.

العناوين الرئيسية في الصحف وقتاً طويلاً. ومشاريعه الهندسية الكبيرة في البرازيل واليابان وفرنسا وبلدان كثيرة أخرى حفظت له شهرته في العالم.

كان أصحابه ينادونه "كوربو" تحبباً. وعندما طلبت منه أن يسمح لي بنسخ تصاميمه للمفروشات قبل بسرور. لكنه ازداد سروراً حين أبديت افتتاني برسومه. وابتسم حين قلت له ان أهميته كرسام تعادل أهميته كمهندس معماري. فرد موافقاً: "هذا ما أشعر به تماما!" وحين أخبرته أني أنوي شراء احدى لوحاته الزيتية ذات يوم قال: "لم أبع واحدة منها. لا أحد يريدها."

أراني لوحة رسمها عام ١٩٢٨ بعنوان "كؤوس وزجاجات قرمزية" وسألني: "كم تدفعين ثمناً لهذه اللوحة؟" أجبت متلعثمة: "انها لا تقدر بثمن، لكنني أقدر أن أدفع عشرة آلاف فرنك." فقال مندهشاً: "أتساوي هذا المبلغ حقاً؟"

نجاح وخيبة. مكثت في كاب مارتان خمسة أيام ناقشت خلالها مع لو كوربوزييه أفكاري المستقبلية: معارض لأعماله، وخططي لانتاج المفروشات. في مراحل صداقتنا الاولى قال لي كوربو ما كرره مراراً في ما بعد: "ما تريدين عمله اعمليه بلا تردد." وهو عاش فعلا بهذا المبدأ.

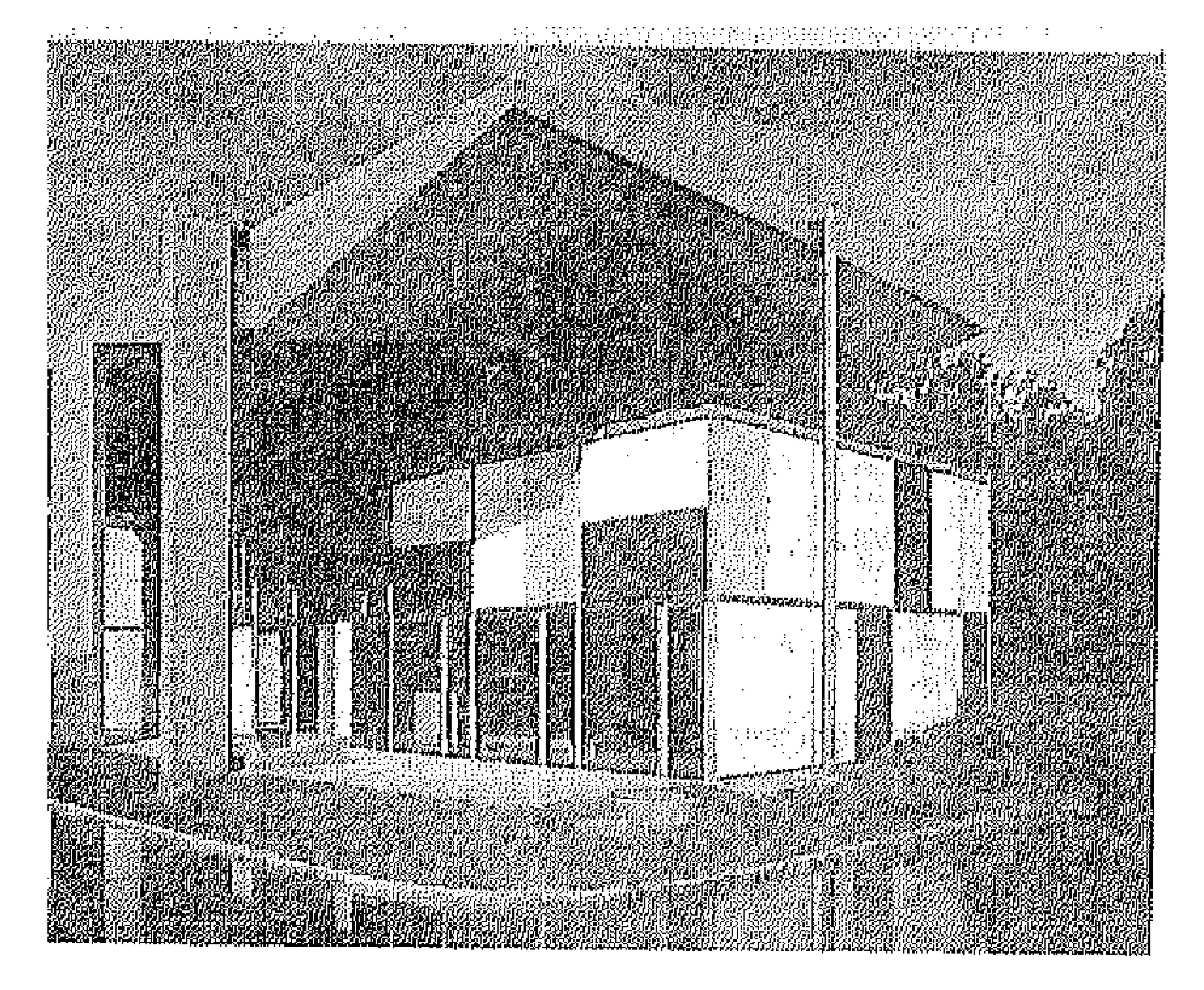
وخلال السبع السنوات التالية، أي الى

حين وفاته، كنت أزوره في باريس مرة كل أسبوعين. كان في مكتبه الهندسي طلاب كثيرون، مهندسون ناشئون جاؤوا من أطراف العالم ليتعلموا من مثالهم الاعلى.

على أثر زيارتي كاب مارتان بدأت انتاج الكراسي، والكراسي الطويلة خصوصاً. فلقيت رواجاً كبيراً لم أستطع معه تلبية الطلب عليها.

ومنحني لو كوربوزييه حقوق بيع لوحاته وطبع رسومه الحجرية(٥)، ولكن لم يهتم لها أحد. وعندما اتصل بي مستفسراً بعد انتهاء معرضي أجبته انني نجحت في بيع جميع معروضاته، ولم أذكر له أنني أنا اشتريتها. لم يسعني أن أخبره الحقيقة اذ تذكرت سروره حين باعني أولى لوحاته.

على رغم شهرته، مُني لو كوربوزييه بالخيبة مراراً. أُهمل كثير من مخططاته باعتبارها مثالية غير قابلة التطبيق، وتضافر الخداع والتآمر على نسف أحد أهم مشاريع حياته، اذ اشترك في مسابقة كبرى أجريت عام ١٩٢٧ لبناء قصر "جامعة الامم" في جنيف. كان في الطليعة متفوقا على منافسيه الـ٣٦٠ بفارق كبير. وبعد ستة أسابيع من المداولات رُبط مشروعه بثماني خطط أخرى. لكن أحد اعضاء اللجنة الدولية المحكّمة اعترض على تقديم لو كوربوزييه خرائط مطبوعة بدلا من خرائط الحبر الأساسية. وعلا الضجيج والاحتجاج، ومنح لو كوربوزييه اسمياً الجائزة الاولى، لكنّ مشروعه أهمل في الدورة الثانية. فحز هذا الاخفاق في نفسه، لكنه اندفع في مشاريع جديدة.



آخر بناء صممه لو كوربوزييه. أكمل هذا المتحف الخاص عام ١٩٦٧ وهو يحوي معرضاً دائماً لأعمال لو كوربوزييه في مجموعة هايدي ويبر.

التصميم الاخير. كانت هندسة البناء بالنسبة الى كوربو منحى روحياً لا مجرد مهنة، لأنه رأى ان من واجب المهندس في هذا العصر العملي ان يؤمن مساكن تتوافر فيها البهجة والراحة. وكانت مشاريعه تهدف الى بناء مساكن فسيحة مغمورة بأشعة الشمس، لاولئك الذين يعيشون في أحياء حقيرة وظروف لا تطاق.

عرف عنه أنه متعجرف ويحب الابتعاد عن الناس. لكنه، خلافاً لذلك، كان متواضعاً جداً ويردد أحياناً: "لقد حققت شيئاً في حياتي، أليس كذلك؟" وكان شهماً يحترم عمل الآخرين. قدّمت اليه ذات يوم حوالة بقيمة ٥٠ ألف فرنك فرنسي(٦) هي نصيبه من مبيعاتي، فناولها لسكرتيرته التي عملت له بأمانة واخلاص حتى حين لم يكن قادراً على أن يدفع لها أجرها.

---

(٥) Lithographs

(٦) الدولار الامريكي، حالياً، يعادل نحو ٥،٢ فرنكات فرنسية.

مات كوربو، لكن كلماته لا تزال حية في ذاكرتي. كان يقول: "العمل ليس عقاباً. اذا عملت فانك تتنفس." وسئل كيف أمكنه انتاج ٣٢ ألف تصميم معماري جمعت في ٣٢ كتاباً، و٥٠ منشورة حول هندسة العمارة والتخطيط المديني والرسم والشعر، اضافة الى ٦٥٠٠ قطعة فنية من لوحات ومطرزات ومنحوتات. فأجاب: "هناك ٢٤ ساعة في كل يوم من السنة، وفي كل ساعة ستون دقيقة."

خلال احدى زياراتي أخبرته أن لدي مالا كافياً لبناء بيت، وأضفت: "لكنني لن أطلب منك أن تضع تصميماً له." فقال متجهماً: "ألا تطلبين مني ذلك؟ أتظنين أن فني الهندسي ليس مؤهلا لهذا العمل؟" فشرحت له أن مسكناً يصممه لو كوربوزييه سيصبح محجة للعموم وليس ملكاً لصاحبه. وهكذا خطرت لي عام ١٩٦٠ فكرة تصميم لو كوربوزييه معرضاً يضم لوحاته ومنحوتاته.

بعد مفاوضات عسيرة مع سلطات مدينة زوريخ أبرمنا عقداً يخولنا بناء المنزل على قطعة أرض جميلة على شاطىء بحيرة زوريخ. أعجب كوربو بالموقع وقال: "انه سيكون بيت الانسان(٧). وبما أنه صالح للسكن فسيكون موطناً مثالياً لرسومي ومنحوتاتي." ولم يدر في خلده أنه سيكون آخر مسكن يصممه بعنايته اللامتناهية.

نصب تذكاري. عام ١٩٦٤ انتهى كوربو من تصميم المبنى بحسب مبتغاه. وأهم ما فيه السقف المنفصل عن البيت مرفوعاً على تسعة أعمدة فولاذية. يبنى السقف أولا، ثم يعمَّر المنزل ذو الطبقتين بمكعّبات فولاذية محدّدة تُجمّع في الموقع وتثبّت على قاعدة من الاسمنت. أما الجدران المطلية بالمينا والنوافذ والسقف والارضية، فتوصل بالهيكل الفولاذي بما يزيد على ٢٠ ألف برغي.

كان المهندسون على اقتناع بأن هذا التصميم لا يمكن تحقيقه. فطلبوا من لو كوربوزييه اجراء بعض التعديلات. وفي يوليو (تموز) ١٩٦٥ ظل يجادلهم على مدى يومين الى أن أقنعهم بصواب خططه. كان آنذاك في الثامنة والسبعين، لكنه ظل يتمتع بحيوية وقوة اقناع لا تقاومان.

بعد لقائنا غَادر في عطلة وهو مرتاح الى انشاء البناء بحسب خطته. وفي ٢٧ أغسطس (آب) فاجأته نوبة قلبية وهو يسبح في البحر في كاب مارتن التي أحبها. وهكذا انتهت حياته الحافلة بالجهد المتواصل والانجازات. كان يردد: "انك تغني حياتك بالمقدار الذي يتيح لك تحقيق أحلامك ورغباتك وطموحاتك."

كانت وفاته خسارة شخصية كبيرة لي، خصوصاً لأنه لم يعش ليرى تحقيق البناء المبتكر، هذا البناء الاعجوبة المكون من فولاذ وزجاج، بجدرانه المطلية بالمينا الاحمر والاخضر والاصفر والاسود والابيض وبسقفه المعلّق وجوانبه البهيجة المتوهجة بأشعة الشمس. انه نصب تذكاري لعبقرية لو كوربوزييه ورمز للصداقة الرائعة التي غيرت حياتي.

هايدي ويبر ■

كما روتها لليلي فولدز

(٧) Maison d'Homme

حكايات من العالم

دجاج للايجار

يستطيع محبو الحيوانات في هولندا ان يستأجروا الآن دجاجتين مع خُمّ لموسم البيض من آذار (مارس) حتى اكتوبر (تشرين الاول)، في مقابل ٣٠ غيلدراً. وقد اطلقت هذا البرنامج مؤسسة خيرية هولندية بقصد جمع اموال لمزرعة اطفال. فاقتناء الدجاج ليس اقتصاديا فحسب، لانه يأكل فضلات الطعام، بل مجزيا لان الدجاجة تعطي بيضة تقريبا كل يوم.

يأتي الدجاج المؤجّر من مزرعة لتربية الدواجن فيما يجمع المتطوّعون الخِمَمة. وخلال العُطل يستطيع المستأجرون ايداع دجاجاتهم مثوى دجاج تديره المؤسسة. وعندما ينتهي موسم البيض يمكن إرجاع الدجاج الى المؤسسة حيث يتولى متطوّعون الاهتمام به حتى الربيع المقبل.

هـ.ل.

نقد من بلاستيك

دخلت جزيرة "مان" في بريطانيا تاريخ النقد باطلاقها جنيهاً مصنوعاً من مادة بلاستيكية متينة جداً يؤمل ان تدوم في التداول خمس سنوات على الاقل، فيما اوراق البنكنوت العادية لا يزيد معدل حياتها على تسعة اشهر. والعملة الجديدة مصنوعة من "تايفك ٩١٩"، وهو نوع من البلاستيك له ملمس الورق وثنيته، ولا تبدو عليه علامات التحات حتى بعد نصف مليون تجعّد، في حين ان الاوراق النقدية تتأكل بعد خمسة آلاف طية. والجنيه البلاستيكي لا يبهت لونه ولا يتسخ. وكلفة طباعته منخفضة. ويرى كريستوفر توفل المسؤول عن المحاسبة في الجزيرة، ان معظم الناس يكرهون حمل قطع معدنية في جيوبهم، وان الحل المثالي هو في النقد البلاستيكي.

أ.ب.

ثياب تقتل الألم

أحدث ثورة في الازياء في الصين تتمثل في الثياب القاتلة للألم. وبحسب صحيفة "تشاينا دايلي" تُحشى الثياب بأعشاب طبية لتفادي أوجاع الزكام والرطوبة والاجهاد. وتخاط هذه الادوية في مناطق الكتفين والمعدة والخاصرتين والصدر والركبتين.

صحيفة "فايننشال تايمس"، لندن

تقرير خاص بـ"المختار"

سرطان الثديّ: العلاج الباكر يشفي ١٠٠ في المئة

خلال استراحة الغداء عبرت فرنسين تشين الشارع من مكتبها الى حافلة متنقلة مجهزة لتصوير الثدي بالاشعة، تخصّ جامعة كاليفورنيا في سان فرنسيسكو. وخلال ١٥ دقيقة سجل الفنيون تاريخها الطبي وصوروها بالاشعة السينية (اكس) ذات القوة المنخفضة. وظهرت الصور وحللت في جامعة كاليفورنيا، وأرسلت نتائج الفحص الى طبيب فرنسين الخاص.

كشفت صور الاشعة بقعة غير عادية في ثديها الايمن، قطرها حوالى نصف سنتيمتر، وخشي الاطباء أن تكون بقعة خبيثة. وبعد بضعة أيام فحص نسيج استؤصل من البقعة، وأكد تحليل المختبر أن فرنسين مصابة بسرطان الثدي.

تقول: "كان هذا الاكتشاف مفاجأة لي، ففي الفحص اليدوي الذي أجراه لي الطبيب النسائي قبل ستة أسابيع فقط كانت نتيجته سلبية." وحتى الفحص الذاتي (باليد) الذي أجريته بعد التقرير لم يكشف وجود شيء غير عادي.

ونظراً الى الاكتشاف المبكّر لم يتمدد السرطان الى أجزاء أخرى من الجسم، مما اتاح اجراء جراحة لازالة الكتلة الخبيثة. فاستئصال السرطان الموضعي بهذه الطريقة السهلة، متبعة بالمعالجة بالاشعة، تعادل فاعليته جراحة استئصال الثدي بكامله. وهذه الطريقة هي أقل تشويها. وتقول فرنسين عن تصوير الثدي بالاشعة: "انها لصفقة رابحة، اذ لا تتعدى الكلفة ٤٠ دولاراً."

وبحسب "جمعية السرطان الامريكية" يمكن شفاء نحو مئة في المئة من حالات سرطان الثدي اذا اكتشفت وعولجت قبل الاستشراء.

اذاً لماذا يموت هذا العدد الكبير من النساء بسرطان الثدي حين تكون هناك طرق آمنة وسهلة وفاعلة جداً في الكشف المبكر للسرطان؟

يقول الدكتور ديفيد كين، رئيس قسم الصدر في مركز "سلون - كيترنغ"

لو اتبع عدد أكبر من النساء هذه الطرق السهلة لامكن انقاذ الالوف من سرطان الثدي الوبيل

التذكاري للسرطان في مدينة نيويورك: "أحد الاسباب هو القلق المفرط من تأثير الاشعة. في السبعينات رأى بعض الاطباء والعلماء أن التعرض للأشعة أثناء تصوير الثدي قد يسبب السرطان. لكن هذه المخاوف مبالغ فيها. والى ذلك فان آلات التصوير بالاشعة المنخفضة القوة، والافلام الفائقة السرعة، خفضت الى أقل من النصف كمية الاشعاع المطلوبة للحصول على صورة مفصلة للثدي.

ويضيف الدكتور كين: "بدلا من زيادة خطر الاصابة، يمثل تصوير الاشعة تقدماً رئيسياً في تخفيف هذا الخطر." وهو في حالات كثيرة يكشف سرطان الثدي قبل أن يبين للمرأة المعنية أو لطبيبها بوقت طويل.

وسبب آخر لارتفاع نسبة الوفيات هو ما يشبه دفن الرأس في الرمل كما تفعل النعامة. فكثيرات من النساء يبلغ بهنّ الخوف من فقدان ثدي حداً يدفعهن الى تجنب اجراء فحص ذاتي والتصوير بالأشعة والمعاينات الطبية، الى أن تتشكل الكتلة ولا يعود من الحكمة تجاهلها. فمثل هذا التأخر في التشخيص قد يتيح لخلايا السرطان فرصة ولوج الاجهزة الدموية واللمفية فيقتضي لذلك، ليس فقط استئصال الثدي، بل أيضاً ازالة قسم كبير من العقد اللمفية وما تحتها من العضل، أي عملية استئصال جذرية للثدي.

على النساء أن يزدن عنايتهن بصحتهن. وفي سبيل مساعدتهن نورد بعض الاسئلة والاجوبة المتعلقة بسرطان الثدي:

من هي المرأة الاشد تعرضاً للاصابة بسرطان الثدي؟

كل النساء معرضات للخطر. لكن بعضهن "مرشحات" احصائياً أكثر من سواهنّ للاصابة بسرطان الثدي، اذ يبدو انه يسري وراثياً في العائلات. فالمرأة التي أصيبت والدتها أو شقيقتها

تقرير خاص بـ"المختار"

بالسرطان معرضة للاصابة به أكثر بضعفين أو ثلاثة أضعاف من امرأة أخرى. ويبدو أيضاً أنه يصيب غالباً النساء البدينات، واللواتي لم ينجبن، واللواتي أنجبن للمرة الاولى بعد السن الثلاثين. ويغلب حدوثه لدى النساء اللواتي سبق أن عانين مرضاً غير خطير في الصدر، أو أصبن بالسرطان في الثدي الآخر.

ماذا يشمل الفحص الذاتي؟

تنصح "جمعية السرطان الامريكية" النساء اللواتي تجاوزن العشرين من عمرهن بأن يتبعن شهرياً طريقة تعتمد ثلاث خطوات: أولاً، فيما أنت تستحمّين، مرري رؤوس اصابع يديك برفق مستكشفة ثدييك وابطيك. ثانياً، ارفعي ذراعيك أمام المرآة لتتفحصي أي تغيرات في استدارة ثدييك أو حلمتيهما أو جلدهما. ثالثاً، استلقي، فيما ذراعك مثنية تحت رأسك، وتفحصي باليد الثانية الثدي المقابل لتستكشفي أي ورم أو تكثف أو تغيرات أخرى. حركي أصابعك دائراً على القسم الاعلى من الثدي، ثم القسم الادنى، ثم الجانبين، وأخيراً إبطك.

ماذا عن التصوير بالأشعة؟

ان الاصابة بسرطان الثدي تزداد بتقدم السن. وهناك هيئات صحية تنصح النساء ما بين الخامسة والثلاثين والاربعين بأن يحتفظن بصورة "أولية" بالاشعة للثديين للرجوع اليها في السنوات التالية للمقارنة. وكل المراجع الثقات تتفق على أن النساء ما بين الاربعين والتاسعة والاربعين يجب ان يُفحصن كل سنة أو سنتين، واللواتي في السن الخمسين وما فوق عليهن أن يتصورن بالاشعة كل سنة، لان هذه هي الوسيلة الاكثر فاعلية في الكشف المبكر.

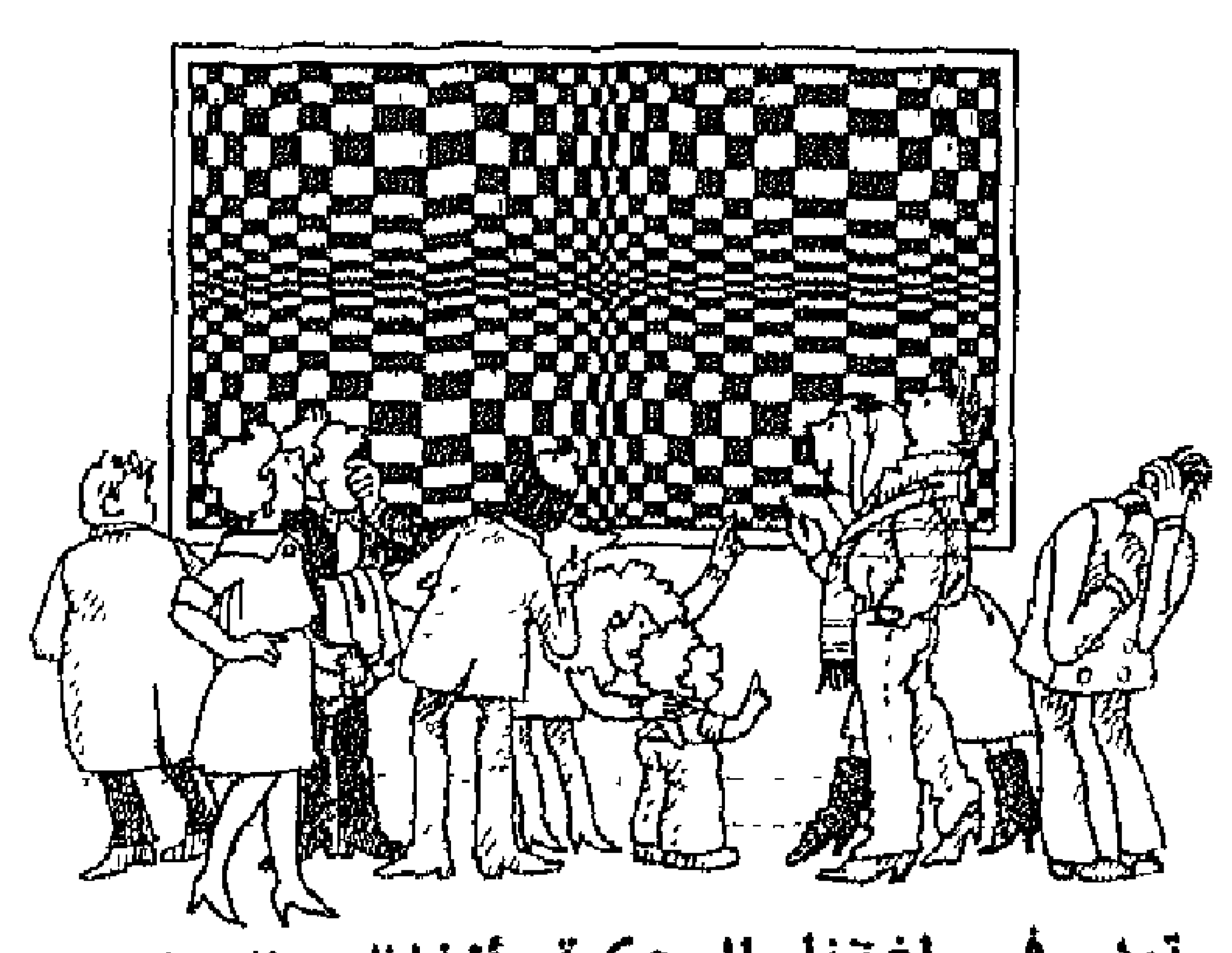
ما مبلغ أهمية الفحص الطبي؟

اذا كنت تمارسين الفحص الذاتي وتعتمدين التصوير بالاشعة بانتظام، فلماذا تزعجين نفسك بالخضوع لمعاينة طبيب؟ ان الجواب عن ذلك يتعلق بالخبرة والموضوعية. فالاطباء، بحكم تعاطيهم مع مريضات كثيرات، في وسعهم أن يكتشفوا أي شيء غير طبيعي قد يغفله الفحص الذاتي أو فحص الاشعة.

ان برامج الفحص بالاشعة في عربات متنقلة، مثل الذي ترعاه جامعة كاليفورنيا في سان فرنسيسكو، يزداد عددها في الولايات المتحدة. ومركز "سلون - كيترنغ" التذكاري يخيِّر النساء في المؤسسات وفي الاحياء السكنية بين الذهاب الى المركز ذاته او التصور بالاشعة بواسطة جهاز متنقل أو في حافلة مجهزة لتلك المهمة. يقول أحد المسؤولين في المركز: "إن المرأة التي يكشف سرطان في ثديها في وقت مبكر ليست محظوظة فحسب، انها ذكية. فهي أجرت فحصاً بالاشعة!"

ستانلي إنغلبارت ■

دائرة المعارف



ترد في لغتنا المحكية ألفاظ نظنها عامية لكنها في الحقيقة عربية فصحى، يستعملها العامة إما بمعناها الصحيح وإما تحريفاً. هنا كلمات من هذه، وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معان، واحد منها صحيح. والمطلوب من القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره سليماً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. حُلوان: حلوى - ما يعطى لمستخدَم لحاجة عرضت - جمال - عريس.

٢. صوص: لئيم - لص - صغير - فرخ دجاج.

٣. عديل: زوج الاخت - ابن العم - مثل ونظير - خرْج.

٤. خمشَ: لدغ - أهان وقهر - عاكس - خدش.

٥. هرمَ: قطّع - بنى - سقطت أسنانه - تقوس ظهره تعباً.

٦. فَحِم: عطش - غصَّ - بكى حتى انقطع صوته - مات.

٧. ناطور: سجّان - حارس الكرم - فلاح - كبير القوم.

٨. غُرّة: بسمة - شعر خفيف - غرور - بياض في جبهة الفرس.

٩. زغلطة: عويل - كلام مختلط - زغردة - زحمة.

١٠. لعسَ: عضَّ - لاك الطعام - لعق - داس بقوة.

١١. خَرَطَ: قتل - جمع - كذب - مشى متعثراً.

١٢. فقسَ: أغضب - تكلم بعد صمت - كبر - كسر.

١٣. زاغَ: ضاع - أغفى - اختفى - انحرف واضطرب.

١٤. هُجنة: أمر عجب - جنون - قبح الكلام - مهرة.

١٥. خاسَ: أخلف - نقص - خبا نوره - اختلس.

١٦. لزَّ: أزاح - شد وألصق - هزَّ - باعد بين رجليه.

١٧. طشة: عاجز - حوض - صغير من الصبيان - رائحة كريهة.

١٨. عربون: امتنان - مهر العروس - هودج - بعض الثمن.

١٩. فطمَ: طلّق - فصل عن الرضاع - صمت - قطف الثمر.

٢٠. عِرزال: كوخ في الشجر - قصب - جسر - نهر في واد.

١. الحُلوان: ما يعطى لدلّال أو مستخدَم لحاجة عرضت. ويستعمله العامة لما يعطى لمن ينقل خبراً ساراً، وفصيح هذا "الفرْحة".
٢. الصُوص: اللئيم، والبخيل يأكل في الخفية لئلا يراه الضيف. وهو عند العامة فرخ الدجاج سمّوه بحكاية صوته، وفصيحه "القوْب".
٣. العَديل: المِثل والنظير. وهو عند العامة واحد العديلين وهما الرجلان اللذان يتزوجان أختين فيكون كل منهما عديل الآخر، والفصيح هنا "السِلف" و"الظأم" و"الظأب".
٤. خمش الوجه: خدشه ولطمه. الخَمْش: الخدش. الخَمُوش: البعوض.
٥. هرم اللحم: قطعه قطعاً صغاراً. هَبَر اللحم: قطعه قطعاً كباراً.
٦. فحِم الصبي: بكى حتى انقطع صوته. ويقول العامة "فحّم من العطش" أي اشتد ظمأه حتى يبست عروقه وجف لسانه.
٧. نطرَ الكرم أو الزرع: حفظه وسهر عليه. والناطور حارس الكرم أو الزرع.
٨. الغرّة: بياض في جبهة الفرس، والأول من كل شيء ومعظمه. ويستعملها العامة لما ترخيه المرأة من شعرها على جبهتها، وفصيح هذا "النُصّة".
٩. الزغلطة: الزغردة. ويقول العامة "زلغطة". جاء في "شفاء الغليل": زغلط اذا صوّت بلسانه بغير حروف كما تفعل نساء العرب. وفي "لسان العرب" أن الأصل زغردة النساء، وهو مأخوذ من زغردة البعير أي هديره الذي يردده في حلقه.
١٠. لعسه: عضّه. اللَعْوَس: الخفيف في الاكل، وبه يدعى الذئب لشراهته. والعامة يقولون "لَعْوَس الطعام" أي لاكه.
١١. خَرَط الرجل: كذب. الخـرّاط: الكذّاب.
١٢. فقس البيضة وفقشها وفقصها: كسرها وأخرج ما فيها. ومن اصطلاحات العامة "انفقس الرجل" أي انكمش بعد انبساطه.
١٣. زاغ البصر: انحرف واضطرب.
١٤. الهُجنة: العيب والقبح من الكلام. أيضاً: اضاعة العلم. ويستعملها العامة بمعنى الامر العجب أو الشيء الحسن أو الفائق يُضنّ به.
١٥. خاس: كذب، وبالوعد: أخلف. والعامة يستعملونها بمعنى نقص، وهذا تحريف "خاصَ" أي قلّ. وخوّس الشيء: نقصه.
١٦. لزّ الشيء: شده وألصقه. لزّ القومُ: اجتمعوا وتضايقوا. لزّه بالرمح: طعنه.
١٧. الطِشة: الصغير من الصبيان. ويقول العامة "طش" بمعنى الاخير. وربما كان هذا محرّفاً عن "طَشأة" وهو الغلام العيي الاحمق العاجز.
١٨. العربون: بعض الثمن. والعامة يقولون "رعبون".
١٩. فطمت الأم ولدها: فصلته عن الرضاع، فهو فَطيم. فطمَ الحبل: قطعه.
٢٠. العِرزال: كوخ يتخذه الناطور في أغصان الشجر خوفاً من الوحوش.

المستوى

١٧ – ٢٠: ممتاز
١٣ – ١٦: جيد جداً
٩ – ١٢: مقبول

أمسِكوا زمَام أموركُم!

١ - التلاعُب بالعواطف

انتبه الى الثغرات في درعك الوجدانية الواقية ولا تدع النقد يتحول منغصاً لحياة الآخرين

في المتجر يلمح سام (٥ أعوام) دمية في شكل شاحنة. وتسمع أمه "المعزوفة" المعهودة حين يسألها: "هل لي بتلك الشاحنة؟" فتجيبه: "ليس الآن." فينفجر سام باكياً ويزعق: "أنت لا تدعينني أحصل على أي شيء. لقد اشترت خالتي شاحنة مثلها لصغيرها."

تقول له أمه: "حسناً ساشتريها لك هذه المرة فقط."

اعتاد سام نيل مبتغاه على هذا النحو. وهو تعلم أن يستعمل الالحاح للتلاعب بعواطف والدته. وبما أن مناوراته ناجحة جداً، فإن سلوكه التلاعبي يتعزز، فيستعمله ثانية وثالثة.

ان كان في وسع طفل في الخامسة أن يتلاعب بالناس عبر اكتشاف سرعة تأثرهم، فكيف براشد حاذق؟ وهاك أسلوبه الناجح: يحدد المتلاعب موطن ضعف وجداني في الآخرين عبر لعبة التجربة والخطأ. ويستغل معرفته في استثارة مشاعرنا وإحداث ضغط في نفوسنا. فنفقد تجردنا ونأخذ قرارات نطيّب بها خاطر الشخص الذي أحدث الضغط، بدلا من أن نفعل ما هو صواب. ثم نشعر بأننا ألعوبة مستغلَّة.

ولكن اذا ما تعرفنا على مواطن ضعفنا وتمكنا منها، فسنشعر بأننا ممسكون بالزمام وتتحسن علاقاتنا بالآخرين.

وبغية سدّ الشقوق في درعك الوجدانية الواقية، ندعوك الى التفكير ملياً في هذه القائمة من مواطن الضعف:

١ - **أنت تشعر بالذنب.** استدراج الشعور بالذنب هو النمط الاشيع للتلاعب. ان اللابسين لبوس المضحين بأنفسهم هم أسياد هذا الضرب من الابتزاز الوجداني.

٢ - **أنت تخشى الخلاف أو الغضب.** كثيرون من الرجال والنسوة من غير أهل الجزم يوافقون على أي أمر لاجتناب الشجار. وقد تكون حياة المرء في طفولته ملأى بالنزاعات بين أبويه فيلجأ الى

العزوف عن الخلافات من أي نوع. وثمة آباء يوارون نزاعاتهم باعتناء فيشبّ أولادهم وفي أذهانهم فكرة غير واقعية عن العلاقة الحسنة.

٣ ▫ أنت تقع دوماً في شراك قصة صاحب "حظ تعس." بعض الناس يتقنون لعبة "المحزون المبتلي." فيوقعون الغير في شراك الاهتمام بهم. فإذا ما وقعت بين يدي متلاعب من هذا النوع، اسأل نفسك: هل يتلاعب هذا الشخص بمشاعري؟ كيف أتصرف فأساعده كي يسعف نفسه بنفسه؟

والدموع المنهمرات والمترقرقات ذريعة مفضلة أيضاً. في وسع الاولاد أن يدمعوا ويمسكوا دمعهم، كصنبور الماء، شاهرين ذلك على الاب أو الأم الاكثر تأثراً.

٤ ▫ المدح والمداهنة يوقعان بك. اذ يكون جوني الصغير على وشك نيل عقاب، يبوح بحبه المشتعل أبداً لابويه بعناق وضم وقبلات مفرطة. يلين له ابواه فيفلت من العقاب. وثمة ضروب مماثلة من الحيل يستعملها الكبار في علاقاتهم. ان المداهنة تحرّف شعورك وتجعلك تهفو الى نيل رضى الآخر.

٥ ▫ أنت تخشى الاستنكار. نفاجأ بالعدد الكبير من النابهين الاذكياء الذين لا يطيقون فكرة كره احد اياهم، فيرضخون له. هؤلاء الراشدون من غير أهل الواقع لا يعلمون أن ثمن حيازتهم رضى الغير هو احترامهم الذاتي واحترام الآخرين.

٦ ▫ أنت لا تشعر بالامان في تأدية دورك. قد أُعطيت مسؤوليات وصلاحيات وحدوداً في دور تؤديه، أباً أو مديراً أو مراقباً. وثمة شخص آخر يطلب أمراً متعسفاً لا موجب له، مطلقاً اتهامات من نوع "أنت لا تحبني" أو وعيداً مثل: "سأبلغ الناظر عنك." فيغدو من تنصب عليه التهديدات قلقاً في الدور المحدد الموكول اليه، ويرضخ صاغراً.

٧ ▫ أنت لا تطيق الصمت. هنا تكون ردود فعل المتلاعب رسمية وأجوبته قصيرة من كلمة واحدة.

وبمرور الوقت تنمو مشاعر الرفض داخلك. تعامل مع هذه الوسيلة بتحاشي المشاركة. واضغط على الشخص المستاء لكي ينهي لعبته بأن تعكف على مزاولة عملك كالمعتاد.

٨ ▫ أنت تخشى أن تكون مختلفاً. يسود شعور بأن المختلف مخطىء على نحو ما. لا مناص من اعتبار حقيقتين: الاولى، أن ليس كل ما يفعله الآخرون صواباً حتما. والثانية، أن اتخاذك الآخرين مرجعاً يسلبك القدرة على تحديد قيمك الخاصة والعيش على هداها.

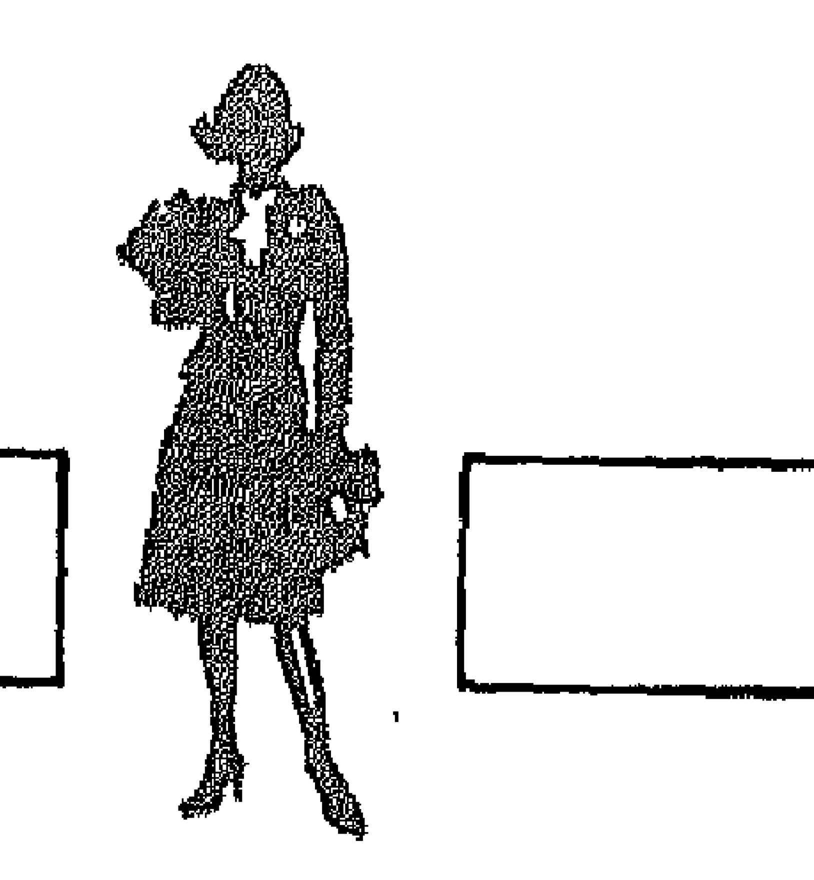
كيف تقوي مواطن تأثرك؟ ابدأ بالتفكر في المناسبات التي أسلمت فيها قيادك للغير أو شعرت بأنهم يستغلونك. ما المشاعر التي طغت عليك آنذاك؟ ما الذي فعله الآخرون أو قالوه لاثارة أحاسيسك؟ من هو الشخص الذي أثار تلك المشاعر؟

حالما تتمكن من تحديد الظروف والأحوال والاشخاص والمشاعر التي تؤثر في قرارك، يغدو في مقدورك اتباع طريقتين لتفادي التلاعب بك. وأفضلهما أن تحل المسألة الضمنية التي تجعلك هشاً. يمكنك مثلا أن تحدد دورك في حال معينة كي لا يسهل على احد أن يشعرك بعدم الامان، أو أن تقرر ما تدين به لنفسك فلا يشعرك الآخرون بأنك "اناني."

وحتى ان لم تتمكن من تقييد الهشاشة فيك ففي امكانك مقاومة التلاعب. حدد المشاعر التي تنتابك فتفضي الى استغلالك، ثم استعن بها اشارات تجعلك حذراً. فانٍ كنت سريع التأثر بالذنب، مثلا، فتيقّظ لأي شعور بالذنب يراودك. وافعل ما تحسبه صواباً لتفادي التلاعب بك على رغم مشاعرك.

واذ تتغلب على المتلاعب بك بالمناورة، تستعيد السيطرة على الوضع وتظهر قراراتك ما يصلح لك. ويغمرك شعور بالرضى فيحترمك الآخرون. ومن اللافت أن أولئك الذين يسهل التلاعب بهم محبوبون، لكنهم غير محترمين. ان اجتهادك في ازالة مواطن الضعف في مشاعرك يرسي حظوتك بالاحترام.

بروس بالدوين ■



٢ - وَخز النقد

اسأل عشرة أشخاص رأيهم في النقد، وسيجيبك تسعة بأنه مخيف هدّام، وبأنهم لا يدخرون وسعاً لتفاديه. وقد يرى العاشر وحده الجانب الايجابي فيه وهو تنمية الشخصية.

في وسعك أن تنتفع من النقد فعلا. وهاك السبيل الى الاستجابة للنقد من دون أن تفقد رباطة جأشك وتتعس نفسك والآخرين.

إن تعرضت للانتقاد حدّد ما اذا كان النقد صحيحاً، بذا تنصح مارغريت فيربل المستشارة في سبل الاتصال في ليكسنغتون. واعزم على التفكير ملياً في مصدر النقد. تقول فيربل: "لقد نصحت الامهات بذلك على مر الاجيال. وعجيب كيف أن دراساتنا تبرهن غالباً صحة أقوالهن." ان كان النقد صادراً عن خبير أو عن شخص نافذ، كرئيسك مثلا، فمن الحكمة الاصغاء اليه. ولكن لا يجوز اطلاق الاحكام على كل الامور، بحسب رأي العالمة النفسانية مارشا لينهان من جامعة واشنطن. فالتخلف عن موعد

يستحق الانتقاد، ولكن لا مبرر لانتقاد اللون الذي اخترته لجدران بيتك، فهو مسألة ذوق.

بعدئذ سائل نفسك ان كنت سمعت بهذا النقد قبلا. تقول فيربل: "ان وُجّه إليك نقد لأمر ما مراراً فعليك أن تتنبه له." ولكن انظر في باعث الناقد وابذل وسعك لسبر شعوره. واذا ما اضطرب ناقدك على نحو بادٍ فيكون هو من وقع في ورطة وليس أنت.

ان ما لا تقوله استجابة للنقد مساو في الاهمية لما تقوله. فالاجابات الهدّامة توقف النقد، فيفوتك مرماه، اذ ان النقد في أوله قلما يصيب هدفه. وهاك بعض ردود الفعل التي يستحسن تحاشيها:

لا تفرط في التعميم. ان اشار عليك أحدهم بأن حذاءك لا ينسجم مع ملابسك، أجبه عن هذا الامر فقط ولا تتجاوزه. قاوم عبارة قد توسوس بها الى نفسك: معنى ذلك أن ذوقي فاسد في كل الامور، وأني غبي وشنيع. وعندما يطلب منك رئيسك ان تحضر في الموعد المحدد للاشتراك في جلسة صباحية، لا يعني ذلك أنه على وشك فصلك من العمل. لا تجاوز النقد المحدد.

لا تشنّ هجوماً معاكساً. هذا الاسلوب لا يضمر سوى مشاعر السوء. وتشرح فيربل ذلك: "ان وصلت الى داري متأخرة ولاقاني زوجي قائلا: "لقد تأخرت ثانية،" لا يجديني أن أعاكسه بقولي: "وأنت، لم تصل باكراً في حياتك." قد يشق على المرء أن يقاوم هذا الرد، لكن الامر يستأهل بذل الجهد."

لا تقدم أعذاراً أو تلذ بالصمت. المواقف الدفاعية لا تفضي الى مكان، والصمت في هذا المقام لا يعني الاذعان. هذان الموقفان يقطعان النقاش.

لا توافق "شكلياً". اذا ما بدوت موافقاً على الانتقاد وكنت ترفضه قلباً، فسيبحث منتقدك عن دلائل على تبدل سلوكك. واذ لا يقع على تبدل يستنتج أنك كذاب.

في رأي خبراء السلوك أنه ينبغي تحاشي ردود الافعال الهدامة كالتي ذكرنا، وعلينا أيضاً أن نساعد منتقدينا بالسبل الآتية:

١. أسكت وانصت. اكبح جماح عواطفك وحاول أن تصغي الى ناقدك.

٢. أطلب مزيداً من المعلومات ان دعت الحاجة الى ذلك. فعبارة "هل يمكنك أن تحدد أكثر" تشكل بداية حسنة.

٣. اسأل ناقدك حلا، أو اعانتك على الوصول الى حل. ان عبارة "ما الذي تشير به علي تحديداً" ترطب الاجواء.

وإذ تقع على نقد صائب فلديك خيار من ثلاثة:

القبول الصريح. "أنت على حق. اني أدرك ما ترمي إليه. لن أفعل ذلك ثانية."

التأجيل. لقد أثار ناقدك هذه المواجهة وهي لمصلحته. ولكن قلما يتطلب منك الامر جواباً فورياً. ثمة اجابة

معقولة نحو: "يلزمني وقت للتفكير في قولك. لنبحث فيه ثانية عند الصباح." وهي تمنحك قسطاً من السيطرة على الوضع.

الخلاف. اذ تخالف منتقدك، كن لبقاً: "اني متفهم لما تشعر به، لكني آسف لأني أشعر على نحو مغاير." أو احصر مخالفتك قابلا جزءاً من النقد. وتعلل فيربل ذلك: "ان قال زوجي: لقد تأخرت هذه الليلة، كعادتك دوماً، يمكنني الاقرار بالجملة الأولى الصحيحة رافضة الثانية فهي غير صحيحة. هذه الاجابة تعين الطرفين على حصر مجال النقد."

قد تتطلب مدافعتك عن نفسك أن تكون أنت الناقد. والقاعدة الذهبية في توجيه الانتقاد هي الا تنتقد علانية. افعل ذلك في السر، واعط من تنتقد فرصة لحفظ كبريائه. وانتقد حين ترى أن النقد يحقق معظم غايته. ولا تدع الامتعاضات تتراكم.

تقول مارشا لينهان: "بما أن تنمية الشجاعة على توجيه النقد تستلزم وقتاً طويلا، فان معظم الناس يطابقون بين النقد والشجاعة، فيطلقون اتهامات شاملة تحتضن أحكاماً قاطعة بدلا من الانتقاد الموضعي الناجع."

أفصل الفعل عن صاحبه وتثبت من أنك تعرف الفعل حق المعرفة. لا يكفي أن تقول: "انه يفقدني صوابي." عيّن بدقة التصرف الذي تبغي اصلاحه. فان كل ذلك التصرف هو، مثلا، القطع الدائم للكلام، ثابر على انتقاده. ولما كان الناس يبدلون نمطاً واحداً من سلوكهم كل حين، فمن الأفضل أن تقصر انتقادك على نقطة واحدة.

ما الذي يسببه هذا السلوك على وجه التخصيص؟ العداوة؟ اهدار الوقت؟ تيقن من أنك تعرف ذلك الضرر تماماً، اذ انه الداعي إلى توجيهك النقد. واحرص على بيان طريقتك في العون.

تعاطف مع من تنتقد. واستعمل ضمير المتكلم. وتنصح لينهان بالآتي: "من المفيد أن تصوغ انتقادك في عبارة مثل: حين تفعل كذا أشعر بكذا."

اختر وقتاً ومكاناً مناسبين. فالنقد الحاد المسدد إلى الزوج لحظة دخوله الدار عائداً من عمله، أو ذاك الموجه إلى موظف قبل أن ينصرف لتمضية عطلته، لن يقابلا بالترحاب طبعا.

أتبع نقدك بتقدير المزايا الحسنة. وان انتقدت أحداً لقطعه عليك الكلام تكراراً، احرص على أن تؤكد له حاجتك إلى آرائه.

وتوصي فيربل بألا يجاوز النقد ثلاث جُمل أو أربعاً، مستهَلّة بعبارة تشي بالرغبة: "ليتك تتصل بي هاتفياً حين تعلم أنك ستتأخر (الرغبة). فحين لا تتصل ينتابني القلق من أن يكون أصابك مكروه (المفعول). ولو اتصلت لتخبرني أنك ستتأخر لأرجأت اعداد العشاء (الحافز وطريقة الآخر في المساعدة)."

ان الذين يتقنون هذه الاساليب الجوهرية لتحسين طريقة انتقادهم وتقبلهم للنقد يستغنون عن المنغصات التي يبتلى بها كثيرون. فالنقد، في اعتقادهم، وسيلة ايجابية وعون على الحياة.

ريتشارد غرابر ■





... وأنت أيضاً في حاجة الى اعادة النظر في "الافكار التلقائية" التي تمر في ذهنك فتعبث بزواجك

□ كانت نانسي تزرع آخر شلم في حديقتها عندما عرج عليها خطيبها تشارلز: فأخذ يراقب عملها، ثمّ علّق قائلا: "ولكن، يا نانسي، غرست الفجل في ظل نباتات أعلى منه."

نظرت اليه نانسي ملياً وفكرت في نفسها: لم تكن لديه يوماً ثقة بي. ثم قالت: "في الحقيقة، انني لست في حاجة الى نصائحك، فهلّا تركت لي امر الاعتناء بحديقتي؟"

أجاب تشارلز وقد أربكه جوابها الجاف: "حسناً، كنت أقصد المساعدة لا غير."

لقد اتى تعليق تشارلز، عن غير قصد منه، شبيها بتعليقات والد نانسي التي طالما أزعجتها في طفولتها عندما كان يتحكّم في تصرفاتها. لكنّها أساءت فهم دوافع خطيبها. فوالدها كان رجلا عسكرياً، وهي بالتالي تعتبر كل الرجال متسلطين، ولذلك اعتبرت اقتراح تشارلز أمراً مباشراً.

□ حملت دينا الى المنزل بضعة كراريس سياحية ليطلع عليها زوجها رونالد، علّها تساعدهما في التخطيط لعطلتهما. فقال رونالد أخيراً: "قرري ما تريدين، فأنت أدرى بهذه الامور."

أخذت دينا كلام زوجها على محمل الجد، ولم تدرك أنه يخشى التعبير عن رأيه كي لا تسخر منه كما كانت تفعل شقيقاته اللواتي يكبرنه سناً وهو فتى.

وعندما وصلا الى الجزيرة التي قصداها في البحر الكاريبي بان الانزعاج على رونالد ولم ينقطع عن التذمر: "المسابح كلها مزدحمة. لا مجال لمزاولة رياضة الغولف. هذه جزيرة أولاد. الموسيقى تصمّ الآذان."

شعرت دينا بالخيبة، فقد فعلت ما طلبه منها زوجها ومع ذلك لم ينقطع عن الانتقاد!

اما رونالد، المتأثر بماضيه، فقد أحس أن دينا تحاول التحكّم فيه بتغاضيها عن رغباته التي افترض انها تعرفها. وعندما حجزت مقعدين لهما في الرحلة قال في نفسه: "ها هي تتجاهل رغباتي مجدّداً كما تفعل كل مرة."

هاتان القصتان مثلان واضحان على "الافكار التلقائية،" وهي غالباً محرّفة في التفكير، نعتادها فتقوّض علاقاتنا. قد لا نعي تأثير هذه الافكار في مشاعرنا، فمعظم الناس يظنون أن انفعالاتهم ناشئة مما يجري حولهم مباشرة ولا يكترثون للافكار العابرة التي تربط أوضاعهم بما يبدونه من انفعال.

أكثر الافكار التلقائية شيوعاً هي المبالغة في التعميم. فاذا كان الشريك سريع الغضب استنتجت أنه لم يعد يحبّك. وتنفعل غاضباً لدى مقاطعته اياك ظناً منك أنه "دائماً" يقاطعك. اما اذا تجاهلك الشريك، فتشعر بأنك "لم تحظ يوماً" بالاحترام.

قد تكون احدى هذه الافكار التلقائية مألوفة لديك: "لا رجاء منها." "انه دائم الانشغال بنفسه." "انها لا تتركني وشأني أبداً." "لماذا لا يفي يوماً بوعده؟" "انه كسول." "انه عديم الشعور بالمسؤولية." مثل هذه الاحكام المطلقة تضعف العلاقات الزوجية المتينة. ولا شك في أن مجرد التنبه للافكار التلقائية لا يخلي الطريق الى السعادة الزوجية من كل الشوائب، لكنه اداة ضرورية تساعدك في السيطرة على عواطفك، وهذه مهارة يمكن اتقانها.

ان أسلوب "العلاج الادراكي" الذي أتبعه يأخذ بالرأي القائل بان طريقة التفكير تحدد، الى مدى بعيد، نجاحنا في الحياة واستمتاعنا بها. وكثيرون من الازواج الذين أسديت اليهم النصح ساعدهم المبدأ الادراكي الاساسي الآتي: اننا عادة غير دقيقين في الحكم على دوافع الشخص الآخر وأفكاره ومشاعره.

جميعنا نعتمد الايماء ونغمة الصوت وتعابير الوجه لاستنتاج مواقف الآخرين، وهذه اشارات غالباً ما تكون غامضة. لكن هذا أمر خطير، اذ ان أموراً كثيرة - بما فيها حالتنا الذهنية - قد تجعلنا نخطىء في ترجمة تصرف الشخص الآخر.

عندما يقع الازواج المكروبون فرائس هذه المصائد العقلية، فقد تساعدهم الخطوات الآتية:

الخطوة الاولى: اعثروا على الحلقة المفقودة.

ان الطريقة التي يُترجَم بها الوضع هي غالباً المحرك الواضح للخصام، وهي

الحلقة الخفية التي تثير أفكارنا التلقائية. وكمثل على ذلك، اتصل هال ليقول انه سيتأخر في العودة من العمل، فانزعجت زوجته وندي ورفضت أن تجهز طعام العشاء.

كان غضب وندي رد فعلها العاطفي المباشر. أما الحلقة المفقودة - أي تفسيرها للوضع - فكانت تفكيرها التلقائي الآتي: انه لا يريد أن يأتي الى المنزل. وتفكيرها هذا، لا الوضع في ذاته، هو الذي أغضبها. وفي ما بعد، عندما رأى هال أن وندي لم تجهز طعام العشاء فكّر تلقائياً في الآتي: انها لا تهتم بي. مما جعله مضطرباً.

لم تكن أفكار وندي وهال التلقائية سوى تخمينات لتفكير الشريك، لا تستند الى دلائل أخرى في حياتهما الزوجية.

ولكي تحدّد ما اذا كان رد فعلك قائماً على هذا النوع من التفكير المحرّف عليك بامتحان مشاعرك. اسأل نفسك: أي تفسير للوضع هو الذي أزعجني؟ ما هي الدلائل الداعمة لتفسيري هذا؟ وهل ثمة دلائل تدحضه؟

الخطوة الثانية: تحقّق من الافكار التلقائية.

اذا ما راقبت تفكيرك بدقة، استطعت تحديد أفكارك التلقائية اذ تومض عابرة في ذهنك. هذه الرسائل الداخلية تحرك ردود فعل عاطفية مثل الغضب والفرح والحزن والحنق. وفيما الافكار تتلاشى بسرعة يبقى الانفعال. ان تعلّم قراءة الافكار التي تكتسح ذهنك يمنحك القدرة على التغلب على الانفعال الذي تثيره.

الخطوة الثالثة: اعتمد الاستجابة المنطقية.

عندما أسديت النصح الى هال ووندي عملنا معاً على ايجاد آلية منطقية لاعادة بناء أفكارهما التلقائية. فعندما تأخر هال كان تفكير وندي التلقائي كالآتي: ليس هذا عدلا، أنا أعمل أيضاً لكنني أعود دائماً الى البيت في الموعد المحدد. لكنها عندما اعادت النظر في الامر وجدت الجواب المنطقي الآتي: عمله مختلف، وكثيرون من زبائنه يأتون متأخرين.

وكانت فكرتها التلقائية الأخرى: انه في الحقيقة لا يهتم بي. أما البديل المنطقي فهو: لقد كان لطيفا اذ اتصل ليقول انه متأخر. وهو في معظم الاوقات يبرهن عن اهتمامه وحبه.

الخطوة الرابعة: امتحن توقعاتك.

كانت وندي أيضاً منزعجة من اتصالات والدة هال المتكررة. فقد شعرت بأن حماتها تريد التحقّق من انها تعتني بزوجها على نحو مرضٍ. وقد أحجمت عن البحث في هذه المشكلة مع هال خوفاً من حصول خصام بينهما. فارتأيت أن نكتشف صحة تفكيرها التلقائي.

وكما توقعت، اضطرب هال لدى طرحها الموضوع عليه وقال: "أشعر كأنني واقع بين شرين." لكنه وافق على أن شعور وندي يجب أن يُحترم، وعرض أن يحدّث والدته عن اتصالاتها المفرطة. قدّرت وندي هذا الموقف المساند وشعرت بأنها أقرب الى هال من ذي قبل. وهذا التحوّل أشعرها بأنها أكثر حرية للبحث معه في المواضيع الحساسة.

الخطوة الخامسة: أعد تنظيم مفاهيمك.

أن الصفات عينها التي تجذب زوجين قبل الزواج، قد ينظر اليها بعد الزواج على انها صفات سلبية. ان فكرة أولية مثل "انه واثق بنفسه" قد تصبح "انه اناني ومتحكّم." وعبارة "انها مرحة الطبع" تصبح "انها غير مسؤولة." مثل هذه النعوت السلبية تحدد الطريقة التي تنظر بها الى شريكك.

تكمن "اعادة التنظيم" في النظر الى هذه النعوت السلبية من زاوية مختلفة. فالمزايا التي أحببتها يوماً في شريكك ما زالت موجودة على الارجح، لكن المشكلة هي أن الاطر السلبية لفكرك تسمح لك فقط برؤية الجانب المظلم لهذه المزايا.

وعلى سبيل المثال، انجذبت شارن الى بول لانه كان سهل الطباع قنوعاً مرحاً. كان بول كاتباً يقف دائماً على شفا النجاح المالي، وانجذب الى شارن لانها واثقة بنفسها ومحامية ماهرة لا تسمح للزملاء ولا الزبائن بالهيمنة عليها. وبعد سنوات قليلة من زواجهما تغيرت نظرة كل منهما الى الآخر. فباتت شارن ترى بول "كسولا غير مسؤول ومستسلماً." واعتبرها هو "لجوجة انتقادية ومتحكمة."

وحين أخفق بول في السلوك وفق توقعات شارن، بالنسبة الى نجاحه في عمله، بدأت هي تلحّ عليه كي يعمل بكدّ أكثر. وفهم بول نصائح شارن على انها تذمّر، فأصبح أكثر بلادة وكسلا.

عندما قابلتهما اكتشفت أن أطرهما السلبية الحالية كانت الوجه الآخر لمفاهيمهما الاصلية. وباعادة النظر في الجانب الايجابي استطاع بول وشارن استرداد قسط من الشعور الجيد الذي كان الواحد منهما يكنّه للآخر.

ليس ضروريا أن تغيّر، أنت وشريكك، شخصيتيكما لانشاء علاقة أكثر تناغماً. اذ يكفي تحوّل صغير في التصرف لعكس مسار علاقة متدهورة. ذلك بان جوهر المسألة يكمن في التنبّه الى الافكار السلبية وتغييرها. فحين أصبح بول أكثر نشاطاً في تحمل المسؤولية، خففت شارن ضغطها عليه. وعندما أصبحت نظرة شارن الى بول أقل سلبية بدأت نظرته اليها تتغير أيضاً وأخذ يشعر بالامتنان لقدرتها على تعويض ضعفه. وعندما توقفت عن مضايقته نزع الى العمل بأسلوب تلقائي.

إن هذه التغييرات لا تحدث بين ليلة وضحاها، ويكون حدوثها أكثر سهولة في جو من الصداقة والرضى.

باعادة تنظيم أفكارك السلبية حول شريكك تستعيد الكثير من المشاعر الايجابية التي جمعتكما في البدء.

الدكتور هارون بيك ■



اذا ارتكب رجل خطأ قال الناس: "يا له من أحمق!" ولكن اذا اقترفت امرأة خطأ فانهم يقولون: "يا للنساء الحمقاوات!"

أ.ك.

أدويـــة وكحول تقودك إلى المـوت!

ملايين السائقين يقودون سياراتهم وهم تحت تأثير الادوية والعقاقير المختلفة. وكثيرون منهم لا يصلون الى حيث يقصدون

بعد تناول كأس شراب وقليل من المقبلات في حفلة في المكتب شعرت دانا باسترخاء وبرغبة في العودة الى البيت. فودعت زميلاتها وتوجهت الى سيارتها. وفيما هي تنطلق لم تشاهد سيارة الـ"فولكسفاغن" الموقفة أمامها. تقول دانا (٤٨ سنة) التي تعمل في مستشفى دالاس بولاية تكساس: "صدمتها قبل أن أعي ما يحدث. وكل ما أذكره بعد ذلك أنني أصبحت في مركز الشرطة بتهمة التسبب في الحادث."

شعرت دانا بالحيرة والمهانة. لكنها لحسن حظها لم تُصب بأذى، وأمضت ليلتها في السجن وعلمت في ما بعد أنها حطمت سيارة الـ"فولكسفاغن" وسببت أضراراً لسيارتها تقدر بألف دولار. وهي تقول: "لم تكن لدي أي فكرة عما سبب الحادث. وخشيت أن أكون أصبت بسكتة قلبية خفيفة."

ولكن تبيّن أن الحادث لم يكن بسبب سكتة قلبية وانما بما يعادلها طاقة قاتلة: مزيج خطر من العقاقير المشروعة وكمية قليلة من الكحول في مجرى دمها. فطبيب دانا لم يحذرها من أن حبة "فاليوم" المسكنة التي أخذتها قبل الحفلة قد تضعف قدرتها على القيادة على نحو خطر اذا ترافقت مع قليل من الكحول.

في كل سنة يموت ألوف الناس بحوادث السيارات نتيجة تناولهم أدوية موصوفة، لوحدها أو مصحوبة بالكحول. وخلافاً للقول المتداول، ليس كل مسببي

حوادث السيارات شباناً مراهقين متهورين أو أرامل ثريات متبرّمات يملأن حقائبهن بالادوية. فكثيرون منهم رجال ونساء محترسون يتناولون أدوية طبية لأسباب صحية قاهرة.

ومع ذلك فقد تكون العواقب مأسوية. كانت امرأة من نيوجرزي تتناول دواء مضاداً للكآبة والانحطاط مع دواء آخر بموجب وصفة طبية، فصدمت بسيارتها ولداً كان راكباً دراجته الهوائية في وضح النهار. فدخل الولد غيبوبة طويلة دامت سنتين ونصف سنة مات على اثرها.

ان كل أنواع الادوية قد دينت كمسببات محتملة للحوادث. فعلى سبيل المثال، هناك كثير من المهدئات ومضادات الكآبة والانحطاط ودوار البحر وأدوية الزكام والسعال التي قد تسبب النعاس وتفقد المرء ملكة الحكم والتمييز بدقة وتبطيء الانتباه وردود الفعل. وبعض مسكّنات الوجع قد تشعر المرء بالنشوة والنشاط وتؤدي به الى سلوك طائش كتجاهل حدود السرعة القانونية والقيادة على نحو متمعّج ومتلوّ بين السيارات. وبعض الادوية المضادة لارتفاع ضغط الدم ومرخيات العضل قد تصيب المرء بالدوار وتشعره بالخفة.

والى ذلك يستحيل التكهن كم من الوقت تبقى هذه الادوية في الجسم. تقول باتريشيا فيلد رئيسة قسم علم السموم في مختبر ولاية وسكونسن للنظافة الصحية في ماديسون: "بعض الحالات تقتضي ساعات وحتى أياماً للتخلص من جرعة واحدة."

في لوس انجلس بكاليفورنيا وجد رجال الشرطة رجلا في أواخر العقد السابع من عمره منهاراً على مقود سيارته وغافلا عن تحول اشارة المرور الى الاخضر. ويتذكر الشرطي طوم بيج: "بدا كلام الرجل مشوشاً غير واضح ينقصه الاتزان والترابط، وتلك هي الدلائل التقليدية على السكر. انما تبيّن لاحقاً أنه كان يتناول دواء مضاداً لارتفاع ضغط الدم ومهدئاً للاعصاب في وقت واحد."

وما يبعث الذعر في النفس أن أبحاثاً قليلة أجريت حول قيادة السيارات تحت تأثير الادوية المشروعة، لان قوانين كثيرة تنص فقط على قياس مستوى الكحول فقط من طريق الفحص. ولزيادة الأمور سوءاً، غالباً ما يهمل الاطباء والصيادلة تنبيه المرضى الى الاخطار المحتملة الناجمة عن تناول عقار ما. ويلاحظ روبرت جاكوفينو مدير الخدمات الصيدلية في مستشفى سانت رافايل في نيو هافن بولاية كونيتيكت: "ينزع الاطباء الى القول: تناول هذا الدواء لأسبوع واحد ثم اتصل بي. لكنهم لا يقولون: "لا تقد سيارتك فيما أنت تتناول هذا الدواء." والصيادلة المنهمكون في أعمالهم قد لا يحذرونك كذلك."

فمزيج أدوية قد يسبب كارثة. وعلى رغم ذلك فان مزج الادوية أمر شائع، خصوصاً لدى المتقدمين في العمر. وتدل الدراسات فعلا على أن الفرد العادي الذي تجاوز الخامسة والستين يتناول ثلاثة أدوية موصوفة أو اكثر في الوقت ذاته. وكثيرون قد يرفقونها بمستحضرات طبية غير مشمولة بوصفة الطبيب.

وفضلا عن ذلك فان الادوية الشائعة الاستعمال، كالمهدئات ومضادات الانحطاط والحبوب المنوّمة ومضادات الهستامين – وجميعها تبطىء نشاط الجهاز العصبي – قد يكون لها تأثير مضاعف. ويحكي الضابط رينشارد ستودارد من دائرة شرطة لوس انجلس: "يذهب أحدهم الى الطبيب مشتكياً أنه يعاني الاجهاد، ويحصل على وصفة للمهدئات. ثم يأخذ حبة منومة تريحه من الارق. وفي الغد يعطيه طبيب الأسنان دواء بعد شقّ لثته. وحين يقود سيارته يكون تناول ثلاثة أصناف من الدواء ويشكل خطراً في الطريق كمن يحتسي الكحول طوال النهار."

والظاهرة الاكثر شيوعاً وقدرة على القتل هي مزيج الدواء والكحول.

واذ يفوت الاطباء والصيادلة تحذير المرضى من الادوية، فان المسؤولية تعود الى المريض. فاليك كيف تحمي نفسك وتؤمن سلامتك:

● اسأل طبيبك عن الاعراض الجانبية لاي دواء يصفه لك، وأطلعه على الأدوية الأخرى التي تأخذها.

يقول الدكتور نورمان سوسمان وهو باحث في المركز الطبي بجامعة نيويورك: "في الماضي كان طبيب واحد يعنى بجميع حاجات المرء الصحية. أما في هذه الايام فقد يشرف أربعة أطباء على معالجتك في وقت واحد، وكل منهم قد يصف لك أدوية." لكن الاطباء غالباً لا يشرحون تفاعلات الادوية لانهم لا يعرفون الادوية الاخرى التي يأخذها مرضاهم.

● اذا لم يعطِ الدواء النتيجة المرجوة فاستشر طبيبك قبل تغيير كمية الجرعات أو عددها. وأطلعه للحال على أي رد فعل للدواء لا تجد له تفسيراً.

● لا تمزج الدواء مع الكحول. ولا تقد سيارتك وأنت تحت تأثير الشراب.

● اذا كان عليك أن تقود سيارتك أثناء تعاطيك الدواء، فاطلب من طبيبك أن يصف لك أحد الادوية الجديدة الأخف تشويشاً للسائقين. فمثلا، دواء "بوسبيرون" المضاد للقلق لا يسبب النعاس بالمقدار الذي يسببه الـ"فاليوم" والـ"زاناكس". ودواء "سلداين" المضاد للهستامين لا يبلّد مثل "بينادريل" و"ديمتاب."

ولكن تذكر أن لكل شخص كيمياء جسدية مختلفة، وبعض الاعراض الجانبية لا سبيل الى تفاديها، انما في الامكان تفادي القيادة تحت تأثير الكحول والأدوية.

كاثرين باريت وريتشارد غرين ■

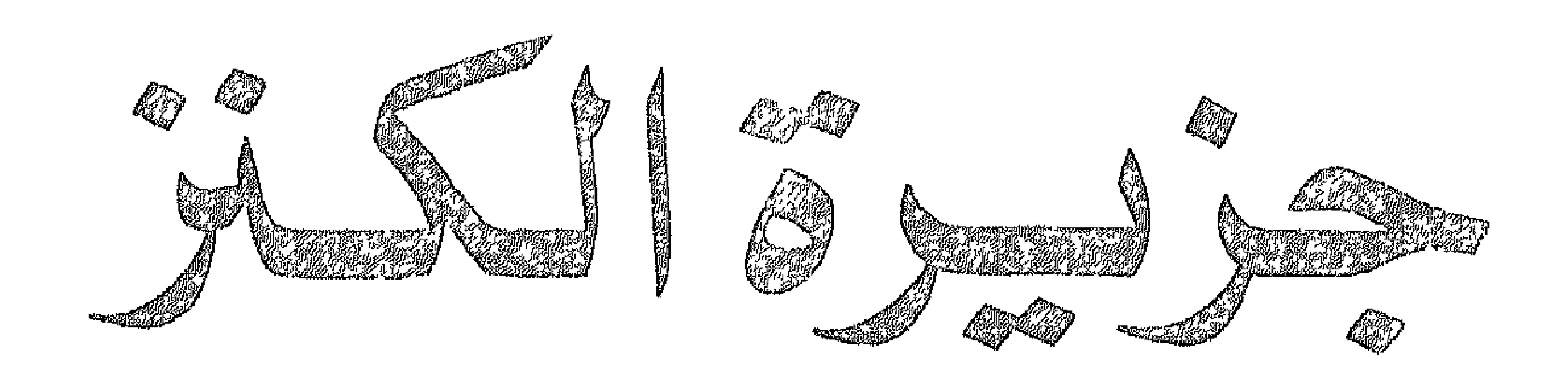


الحسد والاعجاب

الحسد والاعجاب وجهان لعملة واحدة، مع فارق أن الاعجاب يولد في أقوياء القلوب والحسد هو حصة التافهين والأتباع. فالحسد اذاً طريقة منحرفة لتقدير التفوق.

خ.ا.

كنز مطمور في حفرة في باطن الأرض
سعى أليه، ومات من اجله، كثيرون منذ العام ١٧٩٥...



جزيرة الكنز

هاأنذا تحوطني شواهد على الكنز الكبير: مكبس هواء، رؤوس مضخات هائلة، آلات شيطانية ضخمة، وقنوات لامعة من الألمنيوم تتلوى داخل الارض.

الفجر يبزغ رذاذاً على جزيرة أوك في نوفاسكوشيا. وطاقم العمال منهمك، متحلقاً حول اداة حفر تدّك الأرض لتبلغ باطن الجزيرة.

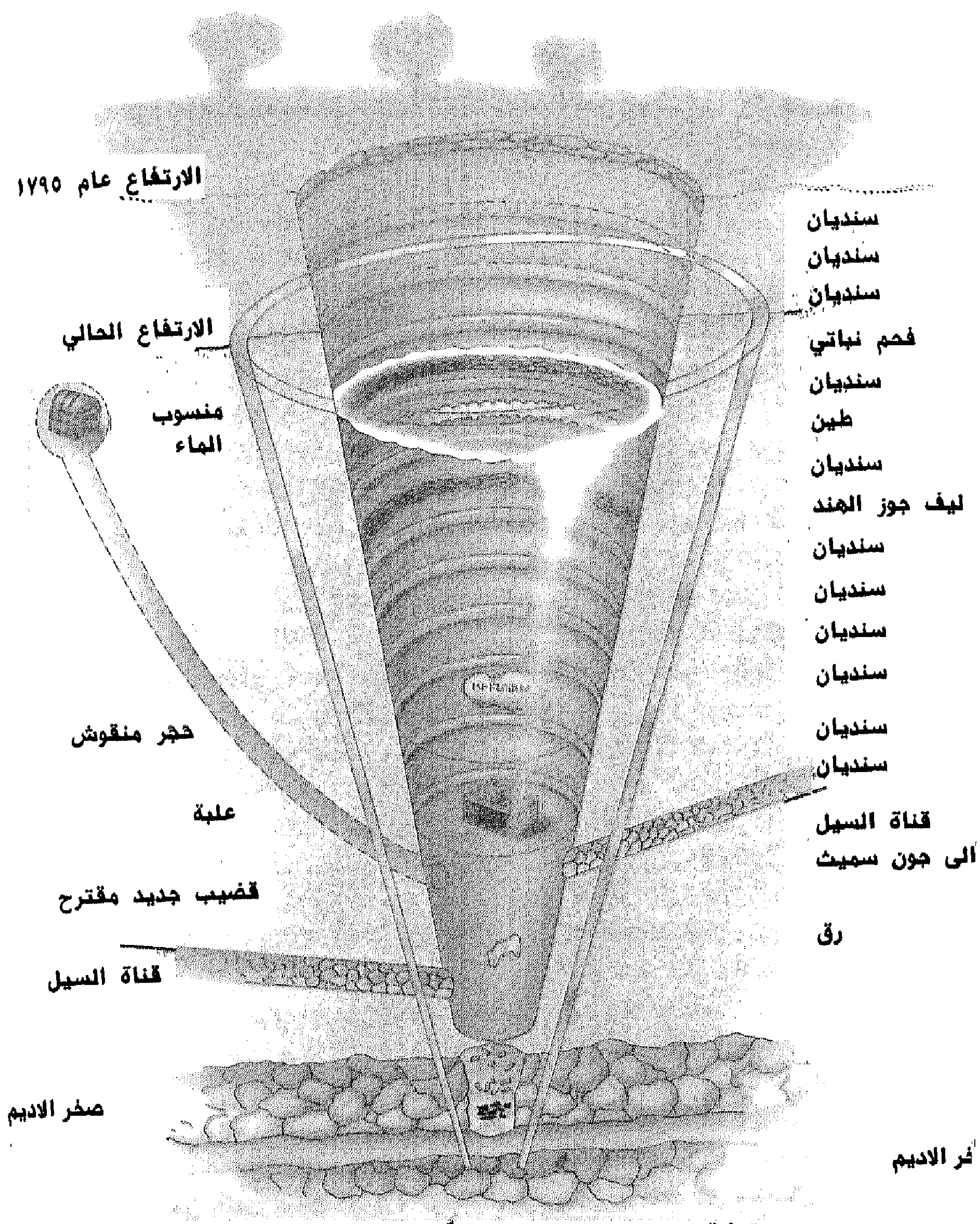
هنا، في خليج ماهون، على بعد نحو ٧٠ كيلومتراً جنوب غرب العاصمة هاليفاكس، أقف عند موضع البحث الأصعب عن... الكنوز. انه تنقيب استمر ١٩٣ عاماً وبلغت تكاليفه ملايين الدولارات، ونجم عنه مقتل ستة أشخاص.

حتى أغسطس (آب) ١٩٨٨ لم تكن استرجعت الخناجر المطعمة بالجواهر والمسكوكات الذهبية القديمة وقطع النقود المطوية في جوف الأرض. ولا يدري أحد ما المطمور هنا ومن طمره ولماذا.

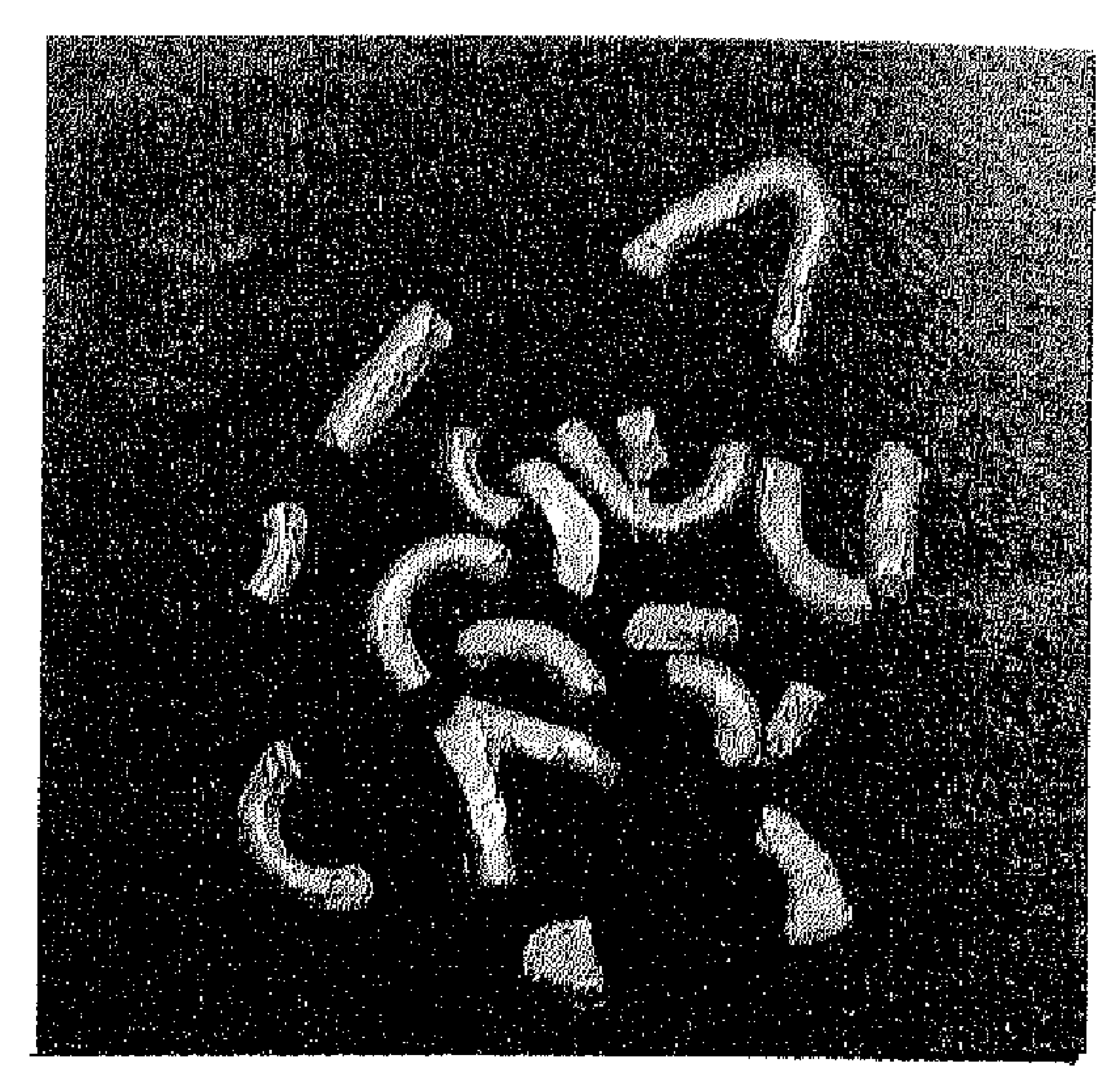
بدأت حكاية السر الغامض صيف ١٧٩٥، فيما مراهق اسمه دانييل ماك غينيس يجذف على بعد خمسة كيلومترات من البر صوب جزيرة اوك، بغية استكشافها. وعند طرف الجزيرة من قِبَل البحر، اذا بدغل سنديان ملتف يفضي بغتة الى أرض براح لا أشجار فيها. وفي وسطها تنتصب سنديانة قديمة ذات جذع منشور، فيه آثار تدل على حبل محروق. وتقول بعض الروايات ان حبال أشرعة وصوار كانت تتدلى من ذلك الجذع. ومن تحتها مباشرة، تنخفض الأرض الى وهدة قليلة الغور. ومن هذه القرائن استنتج الفتى امراً واحداً: ثمة كنز قرصان مدفون في ذلك المكان.

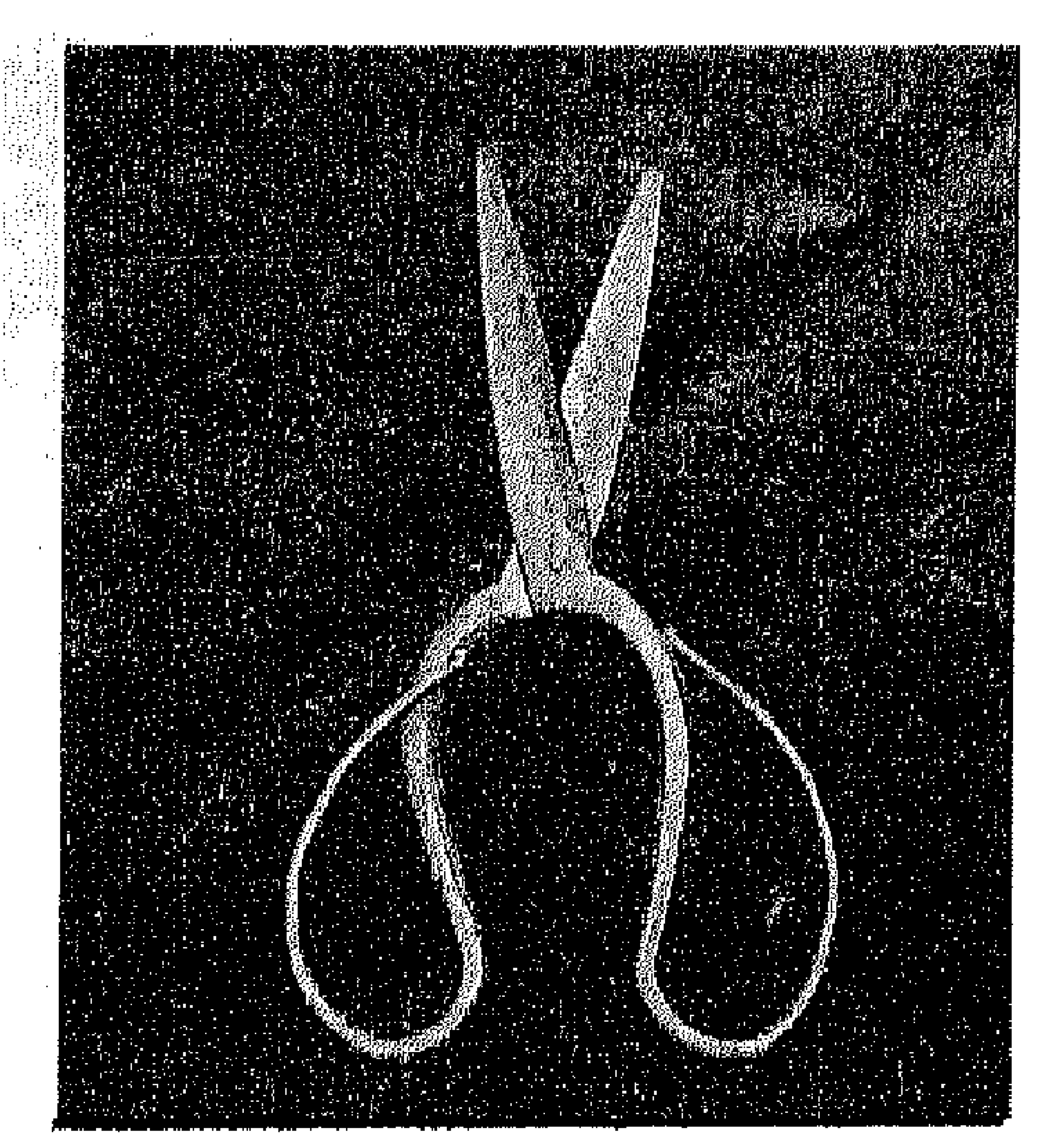
عاود ماك غينيس زيارة الموضع بصحبة صديقين وشرعوا في الحفر فكشفوا عن جِراب بئر قديم. وكلما حفروا ثلاثة أمتار اصطدموا بدكة من جذوع الاشجار العفنة. واذ بلغوا تسعة أمتار عمقاً ولم تلح لهم نهاية، توقف الثلاثة عن البحث.

واذ سمع رجل يدعى سيمون ليندز بالحكاية، استعان بعدد من العمال، من ضمنهم الفتية الثلاثة، منطلقاً في حملة استكشاف جديدة. أخذ الرجال في حفرهم يرتطمون بدّكات من سنديان في فترات



رسم "حفرة المال" يظهر العوائق المبلّغ عنها عبر السنين،





كسر من سلسلة تعود الى ما قبل العام ١٧٩٠، عثر عليها على عمق قرابه ٥٠ متراً بالقرب من "حفرة المال"، ومقص من صنع يدوي استخرج من قناة السيل في جون سميث.

منتظمة. ووجدوا طبقة من الفحم النباتي وأخرى من الطين وثالثة من مادة ليفية.

وعلى عمق ٢٧ متراً عثر الحفّارون على شيء مثير: انه حجر مستوٍ نقشت عليه رسوم واشكال مبهمة. وعلى رغم ارتياب الخبراء في صحة النقش، إلا ان رموزه حُلّت فكان المكتوب عليها: "على عمق ١٢ متراً الى الأسفل، مليون جنيه مطمورة في التراب."

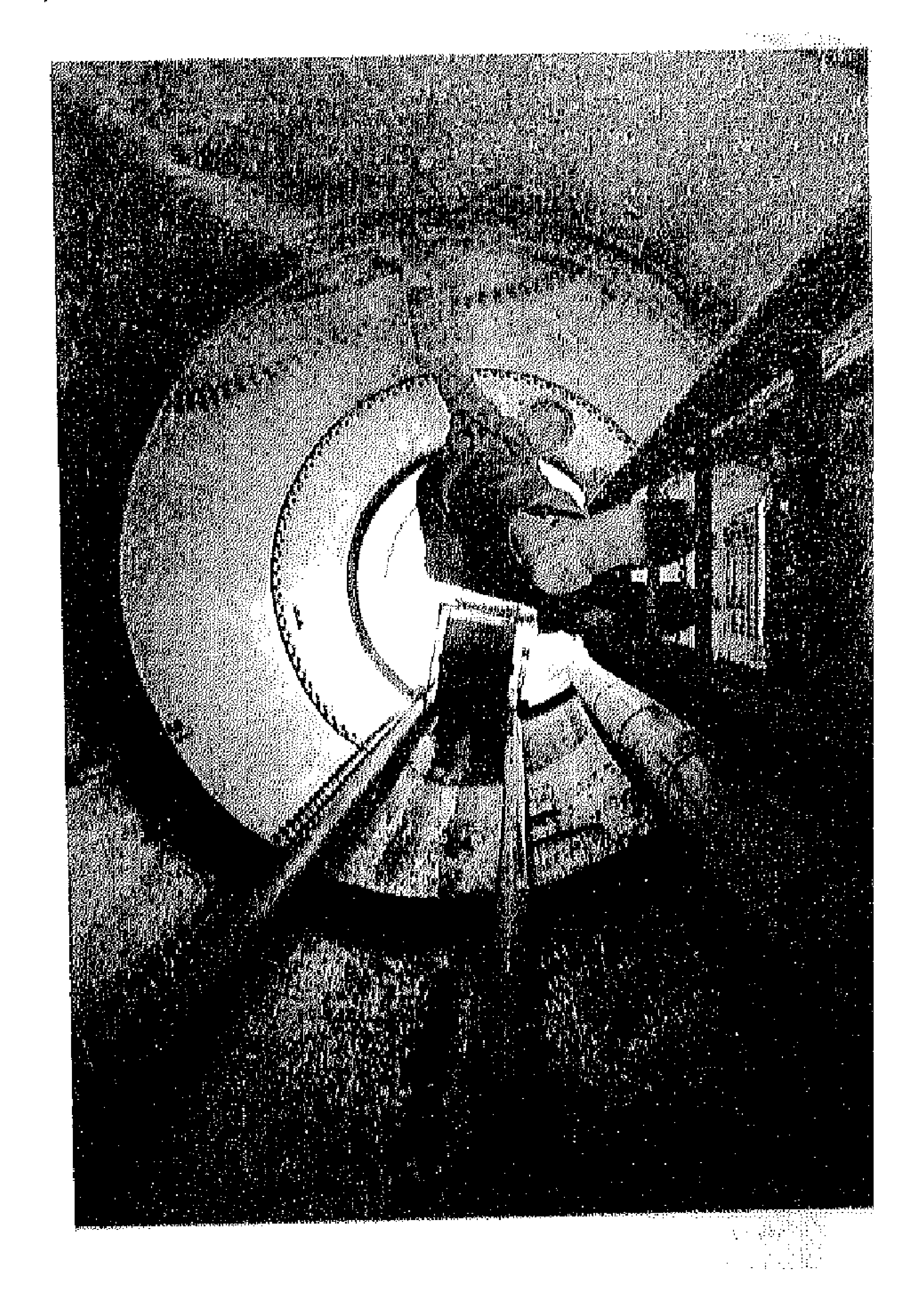
ولكن سرعان ما أخذت المياه تتسرب الى الحفرة، وألفى الرجال أنفسهم يغترفون الماء وهم يحفرون. وعندما هبط الليل، سبروا بقضيب حديد كبير الوحل في اسفل الحفرة، فاصطدم بشيء صلب على عمق ٣٠ متراً. لعله صندوق. هكذا ظنوه، فأمضوا العشية يتناقشون حول نصيب كل منهم من الكنز.

ولكن تبين ان ما من غنيمة ولا من يتقاسمها. اذ نهض الحفارون في اليوم التالي فوجدوا الحفرة ملأى بملح البحر على علو ١٨ متراً. كان اغتراف الماء، اذاً، عديم الجدوى.

وكانت هذه البداية، فكرت السبحة من بعدها. اذ توالت مجموعات اثر أخرى للحفر والضخ والنسف في الجزيرة، محيلة طرفها الشرقي الى أرض قفر ذات وهاد. وفي وقت ما من مطلع القرنْ التاسع عشر اطلق على الحفرة اسم "حفرة المال" على رغم ان اتجاه المال كان يصب في الحفرة ولا يخرج منها.

امر غريب. عام ١٨٥٠ اكتشف الباحثون عن الكنز امراً غريباً. ففي جون سميث الذي يبعد ٥٠ متراً شرق "حفرة المال" وعند انحسار المدّ، يدفع الشاطىء المرصوف بالحصى، الماء كاسفنجة معصورة.

شرع طاقم الرجال في الحفر توا. فدهشوا لما كشفوا عن طبقات من العشب الشريطي بالاضافة الى مادة



ليفية بنية اللون تحت الحجار. انه سدّ مانع للماء شيد للحؤول دون وصول الماء الى تلك البقعة. وما لبثوا ان اكتشفوا نظاماً متقناً من المجاري على شكل صناديق تفضي الى "حفرة المال". وكانت المجاري تشكل، في الظاهر، محبساً للغمر صمم ليبقي الحفرة ملأى بالماء.

ترى كيف كان الحفارون الأصليون، واضعو الكنز، يأملون في استعادته من شرك الموت هذا؟ احدى النظريات المتداولة تقدم جواباً بسيطاً مقنعاً: ما إن فرغ القراصنة من حفر "حفرة المال" على عمق كاف، حتى نصبوا جرابات جانبية تنحدر برفق مؤدية الى سطح الارض.

قد تكون الكنوز حبيسة في أطراف هذه القنوات الجانبية، بعيدة مئات الامتار عن الحفرة، لكنها لا تنخفض اكثر من ٩ امتار عن سطح الارض. ولعل القراصنة كانوا يعرفون اتجاه الكنوز والمسافة التي تفصلها عن "حفرة المال" فيغدو الحفر لاستخراجها سهلاً.

في العام ١٨٩٧ جاء الحفارون بإشارات ملؤها العجب. فعلى عمق ٤٧ متراً، علقت بالمقدح قطعة بالغة الصغر من رقّ كتب عليه حرفان بريشة قلم. وفي حفرة أخرى اصطدمت الحفّارة بآنية حديد.

كان في حسبان الجميع ان من تكبّد هذا العناء كله قد دفن كنزاً عظيماً من دون ريب. وعند منقلب هذا القرن قدّر صائدو الثروات الكنز بـ١٠ ملايين دولار، وبحلول الثلاثينات تضاعفت قيمة المبلغ، وفي الستينات شرع البعض يتحدث عن رقم يعادل ١٠٠ مليون دولار أو أكثر.

نظريات وظنون. هل تخفي "حفرة المال" كنزاً فيه نفائس القراصنة؟ هذا ما يظنه كثيرون، اذ كان القراصنة يكثرون من التردد الى هذه البقعة من الارض في القرن السابع عشر.

ومن الذين حامت حولهم الشكوك القبطان وليم كيد. فقبيل تنفيذ حكم الإعدام به في لندن عام ١٧٠١، عرض كيد اقتراحاً بان يرشد اسطولا بحرياً الى البقعة التي خبأ فيها كنزه المجلوب من الهند الشرقية شرط ان تلغي السلطات الانكليزية حكم الاعدام. لكن طلبه رفض، وبقي كنزه في غياهب المجهول.

وثمة قول تلفظ به "ذو اللحية السوداء"، كما يشاع، قبل ان يقتله مطاردوه من البحرية الملكية في جزيرة اوكراكوك بولاية نورث كارولاينا عام ١٧١٨. اذ تبجح قائلا: "لقد دفنت كنزي حيث لا أحد سوى الشيطان وسواي يمكنه العثور عليه". وهذا وصف دقيق ينطبق تماماً على "حفرة المال."

وهناك نظرية أخرى يستبعدها مؤرخو القرصنة، وهي تجزم بان جزيرة أوك كانت بمثابة مصرف سويسري للقراصنة وأشيع عن مطمورات مماثلة اكتشفت في هاييتي ومدغشقر. والأسلوب دائماً هو عينه. اذ يجتمع عدد من الربابنة القراصنة، كما يبدو، فيدخلون جراباً مركزياً الى العمق. ثم يحفرون عدداً من القنوات الجانبية لمواراة غنيمة كل منهم، ثم يخرقون الأرض مشكلين قنوات للغمر بغية نصب اشراك لإخفاء الجراب المركزي.

وهناك من ينكر هذه الآراء حول جزيرة اوك، اذ أوحى بعضهم ان "حفرة المال" ليست سوى حفرة يغور فيها ماء جار. وتتساءل ميلدرد ريستال التي تعيش في الشاطىء الغربي رائية جزيرة اوك: "من اين خطر لهم ان ثمة شيئاً ما مدفوناً هناك؟ لم لا يدعوه وشأنه؟" لا شك في ان لديها سبباً وجيهاً لطرح هذه الأسئلة، فإذا ما ترك بعض صائدي الكنوز أعمالهم وخسروا جنى العمر بحثاً عن الكنز، فقد وهبت ميلدرد حياة زوجها وابنها البكر في سبيل ذلك.

وقع الحادث في ١٧ أغسطس (آب) ١٩٦٥. كانت ميلدرد تعيش آنذاك في الجزيرة مع زوجها بوب الذي ذهب باحثاً عن الكنز. وفيما هو يتفحص احدى الحفر، انقلب ساقطاً فيها. هبّ ابنه بوبي لنجدته، ولكن حين جاء العمال الآخرون وجدوا الأب وابنه طافيين في المياه السوداء عند القاع. هبطوا الحفرة وسرعان ما فاحت رائحة دخان حادّ. ووجدوا ريستال الأب والابن مع اثنين من المنقذين، وقد فارقوا الحياة وورد في التقرير حول تشريح الجثث ان سبب الوفاة هو "غاز الميثان السام أو الغرق."

اضخم جراب. ما استطاع انسان قطان يبلغ صخر الأديم عند قعر "حفرة المال" بسبب قنوات الغمر. وفي وسعك انت ان تحفر جراباً الى اي عمق تشاء، ولكن ما ان توجهه صوب الحفرة، حتى ينبجس الماء، فيسعى كل الى النجاة من الغرق.

غير ان لغز جزيرة اوك قد يحلّ عما قريب. اذ تقوم شركة "تريتون"، وهي مجموعة من المستثمرين الكنديين والامريكيين بأكبر حملة استكشاف لـ"حفرة المال"، وسينفقون ١٠ ملايين دولار لحفر جراب هائل الحجم على انخفاض ٣٠ طبقة الى باطن الجزيرة.

وقد حفرت الشركة أكثر من ٣٠٠ ثقب في الارض، بعضها اعمق مما سبقها، فبلغت صخر القعر على عمق ٥٠ متراً.

ومن اسفل "حفرة المال" اعادت قضبان آلات الحفر كِسَراً من النحاس والخشب والخزف الصيني والاسمنت.

وقد عثرت مجموعة تريتون، على انخفاض متر أو نحوه تحت شاطىء جون سميث، واسفل مكتشفات القرن التاسع

عشر، على المزيد من المواد الليفية وبقايا السد الخشبي الأصلي المانع للماء، وشوكات معدنية، ومقص حديد ومصنوعات يدوية اخرى.

وقد أراني دايفيد توبياس رجل الأعمال القادم من مونريال ورئيس شركة تريتون، في مكتبه تقارير مخبرية عن الموضوع. وكانت كل قطعة مصنوعة عثر عليها محللة باستيفاء. وتمكن رئيس علماء النبات في "المتحف الوطني للعلوم الطبيعية" في اوتاوا باونتاريو - كندا من تحديد نوع المادة الليفية. وحللت الشركة الكندية للفولاذ الشوكات المعدنية المصنوعة قبل العام ١٧٩٠. أما الخشب فتبين انه يرقى الى سنة ١٥٧٥، بفارق ٨٥ عاماً، زيادة أو نقصاناً.

ان هذه القطع، اذا ما اخذت كلا على حدة، لا تنبىء بشيء. لكنها مجموعة، تومىء بأدلة ان شيئاً ما جرى في جزيرة اوك على عمق كبير قبل العام ١٧٩٥.

ولكن كيف ستنجح شركة تريتون فيما اخفق كل من سبقها؟

يجيب توبياس: "بالمال ننفقه وبالتخطيط المدروس".

وتشتمل الخطط على حفر اكبر نفق في جزيرة اوك يبلغ قطره ٢٤ متراً ويمتد نحو ٦٠ متراً في التربة، كما يستلزم تفريغ زهاء ٢٧ الفاً و٢٠٠ متر مكعب من التربة التي تزن قرابة ٥٠ الف طن.

اما عند الماء فيقول بيل كوكس، رئيس المهندسين: "كل الدلائل تشير الى ان الماء يتدفق بمعدل يبلغ ٣٨٠٠ ليتر في الدقيقة حداً ادنى. وسيجهز الموقع بطاقة ضخ ما بين ٤٣ الف ليتر و٣٠ الفاً في الدقيقة ونحن جاهزون للعمل فوراً."

والمهم ان الجراب سيكون ضخماً إلى حد كاف لاحتواء اعمال الحفر السابقة، وذلك من اجل وضع الجدران التي ستركب في ارض قاسية بكر. واذ تدخل الجدران في التربة يتم فحصها بحثاً عن علامات تشير الى وجود قنوات جانبية تفضي الى الكنز.

ان توبياس لا يرغب في اطلاق اسم "صيد الكنوز" على مشروع شركة تريتون. وحسب قوله: "يقيناً إني لمعني بالعثور على شيء ثمين. لكن الجوانب الاثرية ذات أهمية أيضاً."

وهو لا يرغب في تخمين قيمة الكنوز الموجودة، لكني التقطت إحدى تلميحاته حين قال: "بعضهم يزعم انها تبلغ بضعة مليارات."

اجبته بان ذلك يعني، اذا ما صح، ان الاكتشاف يماثل من حيث ضخامته، اكتشاف قبر توت عنخ آمون في مصر عام ١٩٢٢.

رد توبياس: "لا أود الخوض مطولا في هذه الامور، لكنه قد يكون بالفعل اكتشافاً موازياً في الضخامة لما ذكرت".

ام تراها حفرة أخرى تدخل في غيابتها ١٠ مليارات دولار ولا يخرج منها شيء؟!

دوغلاس برستون ■

الرجل المسالم يحسن عملا أكثر من الرجل المتعلم. ب. ي.

كتاب الشهر

٧ في مهب الرّدى

ملخص من كتاب

بقلم وليم هوفر و مارلين منى هوفر

لم يشعر مايك لورد بالارتياح يوماً وهو على متن طائرة محلقة في الجو. وها هو الآن يشعر بحزام المقعد يشدّ على حضنه، ويعقب ذلك احساس بالسقوط المريع كالذي يخالج المرء في مدينة للملاهي عندما يسقط قطار أفعواني فائق السرعة من قمة سكة شبه عمودية.



وتلاشت سرعة الطائرة فيما مايكل لورد وستون راكباً آخرون يراقبونها بهلع من النوافذ الصغيرة وهي تشرع في هبوط مفاجىء غير محسوب. كانت الطائرة تسقط من الجو.

بوينغ ٧٦٧ في مهب الريح

ابتلع القبطان روبرت بيرسن آخر لقمة من عشائه واسترخى في مقعده. كانت طائرته التابعة للخطوط الجوية الكندية تشق الجو على ارتفاع ١٢٥٠٠ متر فوق ريد ليك في أونتاريو بسرعة ٨٦٠ كيلومتراً في الساعة في طريقها من مونريال وأوتاوا الى ادمونتن.

بالنسبة الى بيرسن، وبضعة ربابنة آخرين في العالم مؤهلين وحدهم لقيادة طائرات "بوينغ ٧٦٧"، كانت قيادة تلك الطائرة متعة. فقوة دفع محركها الذي يديره دماغ الكتروني، وجناحاها المتطوران، تجعل إقلاعها قصيراً وسهلا وسرعة ارتفاعها مثيرة. واليوم، فيما البوينغ ٧٦٧ تهدر في الجو، أبقاها الربان الآلي في المسار الصحيح من دون ارتجاج. أما بيرسن، الربان العريق الذي أمضى ٣٦ سنة في خدمة الخطوط الكندية، ومساعده موريس كينتال، فأجريا اتصالا بمقرّ الشركة في وينيبيغ في مانيتوبا.

زودهما ضابط عمليات معلومات عن تقلبات الجو خلال الرحلة التي تستغرق أربع ساعات. أبلغهما أن الطقس ممتاز، فالجو متلألىء والرؤية تمتد ٤٢ كيلومتراً. افترّ ثغر بيرسن عن ابتسامة عريضة وقال مازحاً: "سأجلس هنا وأراقب السمك في البحيرة."

Condensed from «Freefall,» copyright © 1989 by William and Marilyn Hoffer, published by St. Martin's Press, Inc., New York, N.Y. Illustrations: Rick McCollum

وتولى كنتال نقل هذه المعلومات المطمئنة بالانكليزية عبر مكبّر الصوت الى الركاب الواحد والستين والمضيفين الستة على متنها. ثم كررها على مسامعهم بالفرنسية، لغته الاصلية.

ودخل زائر مقصورة القيادة، فاستدار القبطان ومعاونه لاستقباله. كان ريك ديون رباناً يقود طائرة خاصة. وكان حلمه أن يشغل مقعد القبطان في طائرة تجارية، لكنه عوض ذلك شغل منصباً عالياً في دائرة الصيانة في شركة الخطوط الجوية الكندية.

ذلك اليوم، ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٨٣، كان ديون وزوجته بيرل وابنهما كريس (ثلاث سنوات) في طريقهم لزيارة والد بيرل في ألبرتا. وفي مطار مونريال، قبل أن يبدأ الركاب الصعود الى الطائرة، لمح بيرسن ديون، وكانت تجمعهما معرفة سابقة، فدعاه الى مقصورة القبطان بعد العشاء. وهي دعوة مغرية قبلها ديون من دون تردد، إذ كانت تلك واحدة من أربع طائرات "بوينغ ٧٦٧" تسلمتها شركة الخطوط الكندية حديثاً ودفعت ٤٠ مليون دولار ثمناً لكل منها.

اتسعت عينا ديون وهو يشاهد الميزات البارزة في مقصورة القيادة التي بدت أشبه بمركز لألعاب الفيديو، خصوصاً حيث أنبوب أشعة "كاثود" الذي ينير الشاشة بألوان ثمانية. وفي الاسفل حملت الرفوف المخصصة للأدوات الالكترونية ١٤٠ جهازاً، بينها أدمغة الكترونية، مهمتها رصد أدنى حركة تصدر عن الطائرة. والواقع أن هذه المعدات كانت من التطور والتعقيد بحيث ان الربابنة بدوا كأن لا حاجة اليهم.

استغرق بيرسن وديون في حديث عن العمل، وراح كنتال يدون على عجل آخر المعلومات عن مقياس الوقود. كانوا متقدمين سبع دقائق على البرنامج المحدد، وهو أمر مرضٍ بعدما كانت الطائرة تأخرت ٢٤ دقيقة عن موعد إقلاعها من مونريال بسبب صعوبات بدت بسيطة في مقياس الوقود. أما الآن، بعد توقف اقصر من المعتاد في أوتاوا وتحليق على ارتفاع ١٢٥٠٠ متر بدلا من ١٢ ألفاً كما كان مخططاً، فقد كانت الطائرة تعوّض الوقت الضائع. وقال كنتال في نفسه: انه لحدث عظيم أن يعمل كل شيء على ما يرام.

ولكن ما ان أنهى تدوين ملاحظاته حتى انطلق من أحد أجهزة الانذار صفير حاد تردد أربع مرات.

"ما الامر؟" تساءل كنتال بصوت مرتفع. اما بيرسن الذي لم تعوزه الكلمات فأطلق شتيمة ساخطة. وما لبث سبب العلة أن ظهر مفصّلا على إحدى الشاشات.

كان كل من خزانات الوقود الثلاثة يُعبأ بواسطة مضختين. أما الآن فكانت المضخة الامامية في الجناح الايسر تجهد تحت ضغط متدن على نحو غير طبيعي. فتح بيرسن صماماً عرضياً كي يسمح للخزان في الجناح الأيمن بتغذية الخزان الايسر ثم قلّب "دليل الارشادات السريعة" الذي يقدم شرحاً موجزاً للاجراءات المتخذة في الحالات الطارئة.

أفاده الدليل ان لا داعي الى الهلع ما دام العطل لم يصب سوى واحدة من المضختين اليسريين. وقرأ: "تابع العمليات العادية."

أقفل بيرسن صمام التغذية. ونعمت مقصورة القيادة بالهدوء.

كان ثابتاً من تجارب سابقة أن الأعطال التي تطرأ على طائرة حديثة كهذه تكون غالباً ناجمة عن خلل في الدماغ الالكتروني لا في الجهاز الميكانيكي. إلا أن قلق بيرسن الخفيف تحوّل مع الوقت خوفاً حقيقياً.

مرة ثانية انطلق في مقصورة القيادة، التي خيّم عليها جو مشحون، صفير حاد تردد أيضاً أربع مرات. وسرعان ما ظهرت على الشاشة رسالة جديدة تحمل نذير شؤم آخر: المضخة الثانية للخزان الايسر على وشك التوقف هي ايضاً.

على الفور اتخذ بيرسن قراراً ثانياً: "لنتوجه الى وينيبيغ. الآن!"

كان العطل الثاني لافتاً بحيث استبعد إمكان ردّه الى خلل في الدماغ الالكتروني. وأصبح واضحاً للعيان أن المحرّك الايسر يعاني مشكلة كبرى. فصل بيرسن القبطان الآلي وتولى القيادة بنفسه، عازماً على إكمال المسافة المتبقية بقيادة الطائرة يدوياً والهبوط بها في أقرب مطار.

تشبّث كنتال بالمذياع. وما ان نجح في الاتصال ببرج المراقبة حتى قال: "وينيبيغ. هنا الرحلة ١٤٣ للخطوط الجوية الكندية. اننا نواجه مشكلة."

للمرة الأولى في حياته تمنى موريس كنتال لو أنه في أي مكان آخر غير الجو.

سقوط مفاجىء

في مؤخر الطائرة على بعد ٤٥ متراً من مقصورة القيادة كانت المضيفة سوزان جويت تتقدم في الممشى الأيمن في طريقها من مطبخ الطائرة، دافعة أمامها عربة ترفع عليها أطباق فضلات الطعام وتسجل طلبات الركاب من قهوة وشاي وتتبادل واياهم الاحاديث الخفيفة من غير كلفة.

حتى تلك اللحظة كان انطباع الراكب مايك لورد عن الرحلة مختلطاً. فالسمك الذي تناوله عشاء كان ممتازاً، لكن الفيلم السينمائي الذي عرض على شاشة الطائرة جاء مخيّباً. والحقيقة أن لورد لم يشعر يوماً بالارتياح التام وهو في الجو. وتأكدت مشكلته تلك عندما اشترى تذكرة السفر قبل ستة أسابيع. ويبدو أن الموظفة المسؤولة شعرت بارتباكه لانها انطلقت في حديث دعائي عن تلك الطائرة – المعجزة التي اختار لورد ان يأتمنها على حياته. وراحت تمجد صفاتها قائلة انها تحفة فنية متطورة ومؤكدة أن مزاياها البارزة مستمدة من برنامج المكوك الفضائي الذي ترعاه حكومة الولايات المتحدة. وأضافت أن البوينغ ٧٦٧ هي من الحداثة بحيث أنها، خلافاً لجميع الطائرات التي يضمها أسطول الخطوط الجوية الكندية، تحتسب الوقود بالنظام المتري العشري وليس بالمقاييس البريطانية الرسمية القديمة. وختمت حديثها قائلة: انها تكاد تطير بلا طيّار. هذا يوم سعدك!"

لكن مايك لورد لم يشعر بالسعد على الاطلاق يوم ٢٣ يوليو (تموز). وما ان صعد الى الطائرة وجلس في مقعده حتى أوثق حزام الامان مذكّراً نفسه بأنه لن يجدي إذا

تحطّمت الطائرة. وعندما أعلن القبطان أن هناك تأخيراً بسيطاً بسبب مشاكل متعلقة بقياس كمية الوقود، أحكم مايك شد الحزام.

تابعت سوزان جويت تقدمها في الممشى. ولمحت بين الركاب رجل أعمال رأته في رحلة سابقة، فتوقفت لتتبادل معه حديثاً ودياً. وكان الرجل طياراً، فخطر لسوزان أن تدبر له جولة في مقصورة القيادة. وهذه فرصة نادرة على متن طائرة أمريكية نظراً الى أن قوانين مديرية الطيران الاتحادية في الولايات المتحدة تحظر على الزوار دخول المقصورة، أما في كندا حيث المشاكل الأمنية أقل فالقوانين أكثر ليونة. والى ذلك كانت سوزان تعلم أن ليس من طيار أكثر كياسة من القبطان بيرسن. وما ان تهيأت لمفاتحته في الموضوع حتى شعرت بهبوط مفاجىء.

أحس مايك لورد حزام المقعد يضيق على حضنه. وتطلّع حوله بقلق وهو يشعر كمن يهوي من عل. انه الإحساس ذاته الذي ينتاب المرء في مدينة للملاهي عندما يسقط قطار أفعواني فائق السرعة من قمة سكة شبه عمودية.

حاولت سوزان جويت إقناع نفسها بأن لا داعي الى القلق وبأن عوامل كثيرة قد تسبب تغيراً في ارتفاع الطائرة، كتصحيح مسارها ورداءة الطقس وتحليق طائرات أخرى وتغير اتجاه الريح. ومع ذلك وجدت نفسها ترصد تحركات القبطان وتسترق النظر من النافذة علّها تستشفّ رسالة ما في حجب الغيوم الرقيقة تحتها.

عندما وصل نداء كنتال الى مركز مراقبة الطيران الكندي، كان في الخدمة موظف قدير يدعى رونالد هويت أمضى في عمله ٣٢ عاماً. وهو سمع كنتال يقول بلهجته الفرنسية - الكندية انهم يواجهون مشكلة ويطلبون الهبوط في وينيبيغ.

وكان في تصرف هويت نوعان من أجهزة الرادار. ففي العام ١٩٨٣ كان الرادار المباشر الذي يلتقط أي إشارة في مجاله ويردّها في شكل صورة على شاشة يُستخدم في قلة من قطاعات الرادار في كندا. وكان هويت يراقب ست محطات رادار، والرادار المباشر الوحيد متوافر في وينيبيغ.

في تلك اللحظة التقط هويت الاشارة من محطة بالقرب من ثندر باي في أونتاريو، حيث يستخدم نظام ثانوي للرادار أكثر تطوراً ويعتمد معدات موجودة في الطائرة المراد اقتفاؤها. وفي طائرة "الرحلة ١٤٣" كما في جميع الطائرات النفاثة جهاز استقبال يلتقط الاشارة التي يطلقها الرادار ويرسل إشارة جوابية تتم معالجتها بواسطة دماغ الكتروني يعيّن مصدرها وارتفاعها وسرعتها، ثم يعرض هذه البيانات في مثلّث على شاشة الرادار.

بهذه الطريقة، ومن بين جميع الصور المعروضة على الشاشة أمامه، تمكن هويت من التعرّف الى طائرة "الرحلة ١٤٣" وتحديد ارتفاعها وسرعتها بالنسبة الى الطائرات الأخرى في الجو، وإصدار إذن يجيز لها الهبوط في وينيبيغ.

بعد أربع ثوان من التقاطه نداء كنتال أجاب هويت: "الرحلة ١٤٣، الخطوط الجوية

الكندية. الطريق سالكة أمامك. توجّه الى وينيبيغ من موقعك الحالي. استخدم المدرج ٣١. يمكنك الهبوط من ارتفاع ١٨٠٠ متر أو حسبما ترى مناسباً."

كانت الطائرة على مسافة ٢٠٥ كيلومترات الى الشمال الشرقي من وينيبيغ. وفي الساعة ٨،١٤ مساء بتوقيت وينيبيغ باشر بيرسن الهبوط. وتعيّن عليه أن ينحدر بطائرته من ارتفاع ١٢٥٠٠ متر الى ١٨٠٠ دفعة واحدة. أرجع ذراع مخنق المحرّك الى الوراء فاستجابت الطائرة للحال وكأن أحداً كبحها. ومع انخفاض سرعة تقدمها اندفعت نزولا منجزة المرحلة الأولية من أسلوب في الهبوط ليس في الحقيقة الا سقوطاً من الجو مسيطَراً عليه.

عمل بيرسن وكنتال بسرعة. برمجا مؤشر الموقع الافقي، وهو مرقاب مستقبل بين عدة مراقيب يشغّلها الدماغ الالكتروني، ووظيفته اظهار صورة جانبية لعملية الهبوط.

أحداث مقلقة

جلس ريك ديون خلف القبطان ومعاونه وراح يبحث في عقله عن سبب يفسر ما جرى، فيما انصرف بيرسن وكنتال الى مراجعة جميع الاحداث التي شاهداها أو سمعاها بعد ظهر ذلك اليوم في مونريال اثناء خضوع الطائرة للفحص. والحقيقة أنها كانت أحداثاً مقلقة.

في البدء برزت مشكلة في الاجهزة الثلاثة الخاصة بقياس كمية الوقود. وعند التدقيق وجد أحد التقنيين عطلا في إحدى قناتي ميزان الوقود، وهو جهاز الكتروني يراقب تدفق الوقود ويضبطه. ولتعاسة الحظ لم تكن قطعة الغيار المطلوبة لاصلاح العطل متوافرة في الطائرة. واعتقاداً من التقني ان الطائرة تحتوي على جهاز بديل يسيّره الدماغ الالكتروني ويقوم تلقائياً مقام الجهاز المعطل، اعتبر أن المشكلة محلولة. ولكن عندما صعد بيرسن الى الطائرة في مونريال وجد أجهزة القياس خالية من أي إشارة.

ومع ان التقنيين فشلوا في تشغيلها، إلا ان بيرسن تلقى تصريحاً بالإقلاع بعد إخضاع خزانات الوقود لعملية تقطير يدوي عملا بالقواعد المفروضة التي تقضي بتحديد كمية الوقود بدّقة قبل ملء الخزانات وبعده. ومرة ثالثة طبّق هذا الإجراء الذي يشبه عملية قياس كمية الوقود في السيارة بواسطة قضيب مدرّج، بعد إضافة كمية من الوقود تصحيحاً لاختلال توازن في خزان الجناح الايسر وبناء على إلحاح بيرسن.

والحقيقة أن بيرسن لم يكن يفهم كيف تعمل هذه الاجهزة. وفي أي حال لم يكن ذلك مطلوباً منه، إذ لم يكن أحد يتوقع أن يهتم الطيارون بأمور من إختصاص قسم الصيانة، خصوصاً عندما تكون الطائرة على تلك الدرجة من التطور والتعقيد. فقد كانت القاعدة غير المدونة: الطيارون يطيّرونها والميكانيكيون يصلحونها.

إلا أن كنتال لاحظ أن موظفي الصيانة يلاقون صعوبة في تطبيق المعادلة الحسابية البسيطة لتحديد كمية الوقود، مما خلّف في نفسه شعوراً مبهماً بالقلق.

ومع ذلك تساءل بيرسن: "أي شيء أبسط وأكثر دقة من التقطير اليدوي؟" ولنفترض أن قراءة مؤشر الزيت في لوحة أجهزة القياس في سيارتك مختلفة عن القراءة الظاهرة في قضيب القياس، أفلن تعتمد الثاني على أنه أكثر دقة؟" ثم أراح نفسه في مقعده وحوّل تفكيره الى مشاكل أخرى.

الامر الذي كان بيرسن يجهله هو أن فريق الصيانة وقع في حال من الارتباك كتلك التي ما زال يعانيها عدد كبير من الكنديين بسبب التحوّل من نظام المقاييس البريطاني الى النظام المتري العشري. والواقع أنه بعد انقضاء سبع سنوات على اعتماد النظام المتري بقي عدد كبير من الكنديين يتذمرون من أنه فُرض عليهم فرضاً.

واستجابة للضغوط الحكومية أوصت شركة الخطوط الجوية الكندية ببناء ١٢ طائرة جديدة من طراز "بوينغ ٧٦٧" على أساس مواصفات النظام المتري.

وأثار ذلك موجة نقد في أوساط المعارضة التي أنذرت بالمتاعب. وحذّر نيل فريزر الذي كان يطمح الى رئاسة الحزب التقدمي المحافظ وشن حملة قاسية على تطبيق النظام المتري: "اذا كانت شركة الخطوط الجوية الكندية راغبة في تجربة حساب وقود الطائرات بالنظام المتري، فأنا أقترح اجراء ذلك في الطائرات التي يسافر فيها الوزراء."

طالع عمال الصيانة الذين تولوا خدمة الطائرة ٧٦٧ في مونريال، مزيج محيّر من النظامين المتري والبريطاني في مقاييس الوقود. وفي وقت ما تجمع في مقصورة القيادة القبطان ومعاونه وستة أشخاص آخرون راحوا جميعهم يراجعون أعمدة الارقام في كتيِّب خاص بالتقطير في محاولة لاجراء تحويلات لم يألفوها.

كان بيرسن متململا حتى قبل إجراء عملية التقطير الثالثة. وقال بصوت أجشّ: "أروني أرقامكم." وراح يدقق في الحسابات التي ملأت قصاصة ورقة حملها أحد التقنيين. وهو استعان بمسطرة حاسبة دائرية أخرجها من حقيبته. لكنه، من دون قصد، وقع في الخطأ نفسه الذي وقع فيه الآخرون، إذ استخدم رقماً مضروباً فيه يعيّن الوزن بالأرطال الانكليزية (الباوند) وليس بالكيلوغرام. وهكذا زُوِّدت الخزانات نصف كمية الوقود من نوع «A — ١» اللازمة لايصال الطائرة الى إدمونتن. ولأن المقاييس كانت معطلة لم يتنبه أحد الى الخطأ الحاصل.

فيما طائرة "الرحلة ١٤٣" تهمّ بالاقلاع طرح أحد المضيفين سؤالا أخيراً مستفسراً عن كمية الوقود، مما أثار التقني الذي أجابه بانزعاج: "لديكم أكثر مما تحتاجون اليه، وفي وسعكم الطيران الى فانكوفر."

كانت الطائرة على علو ٩٨٠٠ متر في الجو. وخيّم على المقصورة جو مشحون فيما هي تهبط صوب حجاب الغيوم تحتها ولما يمضِ على الانذار الأول سوى خمس دقائق.

فجأة انطلقت في المقصورة أربعة أصوات انذار تلتها أربعة اخرى معززة بأضواء كهرمانية متوهجة أضاءت لوحة جهاز القيادة. لم تعد المشكلة مقتصرة على خزّان الوقود الايسر، بل تعدّته الى المضخات الست التي تغذي الخزانات الثلاثة. وأيقن

الطيارون عندئذ أن المشكلة تكمن في تدفق الوقود وليس في المضخات. ومع هذا اليقين سرت قشعريرة في أجساد الرجال الثلاثة.

رهاب الاحتجاز

وجد المضيف الأول روبرت ديجاردان صعوبة في تهدئة الركاب أثناء عرض الفيلم. وهو كان طلب من الركاب في مؤخر الطائرة الذين يشاؤون مشاهدة الفيلم أن ينتقلوا الى المقاعد الامامية بسبب عطل في العارضة السينمائية في مؤخر الطائرة. وفيما استجاب عدد منهم لطلبه بقي كثيرون في مقاعدهم وهم يتذمرون.

أخيراً وجد ديجاردان وقتاً للراحة. فسخّن عشاءه وحمله الى الجانب الايسر من مقصورة الدرجة الأولى.

وما ان بدأ تناوله حتى شاهد ريك ديون يفتّش بعينيه عن أحد ما. وهو قال له: "القبطان يطلب حضورك للحال الى مقصورة القيادة."

لم يكن ديجاردان ليجزع بسهولة. وكان هو نفسه طياراً متمرساً. فدعوة القبطان قد تعني امراً من جملة أمور، مثل عطل في المذياع العمومي أو شكوى من وجبة العشاء أو أي شيء آخر من هذا القبيل. ومهما تكن المشكلة فسوف يحلّها. أزاح طبق الطعام، وهو من اعتاد الوجبات المقطوعة، وسار خلف ديون الى مقصورة القيادة حيث بادر القبطان: "نعم يا كابتن."

جاءه الجواب من كنتال: "إننا متوجهون الى وينيبيغ. ونعتقد أننا نعاني مشكلة في جهاز الوقود. نحن الآن على بعد ١٩٣ كيلومتراً منها، وسوف يستغرقنا الوصول اليها نحو ٢٠ دقيقة."

عندئذ تدخل بيرسن قائلا: "إجمع المضيفين وأعطهم تعليمات الهبوط الاضطراري." لكنه اكدّ عليه ضرورة وضع أفراد الطاقم في حال تأهب من دون إرعاب الركاب.

غادر ديجاردان مقصورة القيادة وفي رأسه شبه دوامة. فالمشكلة أكبر مما تصور. وهو شاهد من اشارات الإنذار المتوهجة ما يكفي للاستنتاج أن الاعطال ممتدة الى أكثر من جزء من الطائرة. بدا له أن الممشى الضيّق الممتد من مقصورة القيادة يطبق عليه ويحتجزه باعثاً فيه شعوراً برهاب خانق. أمَر نفسه بالهدوء وباتخاذ جميع الاحتياطات الممكنة لحماية الركاب. أمرٌ واحد كان يقيناً: اذا كان مكتوباً له أن يعلق في طائرة منكوبة فإن الطيار الوحيد الذي يتمنى أن يقودها هو روبرت بيرسن.

تناول ديجاردان كتيّب التعليمات من حقيبته في مقصورة الدرجة الأولى وانتزع منه البطاقة التي تفصّل الاجراءات المتخذة في حال الهبوط الاضطراري. ثم حاول أن يتظاهر برباطة الجأش وبرودة الاعصاب اللتين أظهرهما القبطان ومعاونه.

في مؤخر الطائرة، في الصف الاوسط من مقاعد الركاب، جلست المضيفة آن سويفت وفي حضنها مفكرة صغيرة. رفعت بصرها الى ديجاردان المتوجه نحوها ولاحظت التعبير الجدي الذي ارتسم على وجهه.



نهضت سويفت من مكانها، فأمسكها ديجاردان من ذراعها قائلا: "لنذهب الى المطبخ."

التقطت المضيفة دانييل ريندو نبرة الالحاح في صوته، وهي كانت على بضع خطوات منهما. فتصلّب جسدها فجأة واغرورقت عيناها. ربّت ديجاردان كتفها مطمئناً وقد أدرك أن صوته خانه، وقال: "لا تقلقي يا دانييل، لعلّ الامر ليس خطيراً."

وصلت الرسالة الى أفراد الطاقم جميعهم، فتحلقوا حول ديجاردان الذي راح يتفحص كتيب الطوارىء مردداً بصوت خافت: "لا تقلقوا."

انهيار محرك

ترددت الاصوات الاربعة المشؤومة مرة أخرى في مقصورة القيادة. واستمرت الانذارات تتوالى على الشاشة معلنة انهيار كل من مضخات الوقود الست. تمتم بيرسن: "آمل أن تكون هذه انذارات مضلّلة." ثم سأل ديون: "هل يسعك أن تفكر في أي شيء لم نفعله بعد؟"

فأجابه: "كلا يا بوب."

سمعت أربعة أصوات أخرى أعقبتها بضع دقائق من الصمت المطبق ما لبثت أن

قطعته الأصوات الاربعة إياها. وللمرة الاولى في حياته وجد بيرسن نفسه في وضع يصعب توقع نتائجه. لقد اتضح أن المحركات كانت عطشى الى الوقود. ولم يملك الرجال سبيلا لتقدير الوقت المتبقي قبل أن تتوقف المضخات نهائياً عن التغذية... فتتوقف المحركات.

راح بيرسن يوجه الطائرة برفق وحذر خشية تحميل المحركات عبئاً يفوق طاقتها. تباحث مع ريك ديون حول الطريقة الفضلى للمحافظة على الوقود أطول فترة ممكنة. واتفق الإثنان على حفظ الطائرة في وضع أفقي بدل أن يكون مقدمها منحدراً، كي تفيد المحركات من الوقود المتبقي في الانابيب.

أربعة أصوات ملحاحة أخرى قطعت عليهما الحديث، وأغارت على مقصورة القيادة أصوات غريبة وأضواء مخيفة تنذر بالشر وتنبّه الى سلسلة من المشاكل بلغت أوجها عندما تبيّن أن ضغط المحرّك الايسر منخفض، كذلك حرارته.

مضت على بدء المحنة تسع دقائق بدت دهراً، حينما علا في المقصورة رنين حاد روّع الرجال الثلاثة.

قال بيرسن مؤكداً الإنذار: "حسناً، لقد خسرنا المحرك الايسر."

بدأ الطياران عملية مدروسة جيداً:

قال كنتال بنبرة حادة: "الطاقة المحرّكة والتروس كما ينبغي."

"تأكد،" أجابه بيرسن.

– المخنق مقفل، حلّ المخنق الآلي.

"حسناً."

أربعة أصوات منذرة جديدة قطعت كلامهما معلنة انخفاض ضغط الزيت في المحرّك الأيمن وانخفاض حرارته ايضاً.

رمق كنتال بيرسن الذي بدا هادئاً وهو يمسك جهاز القيادة. فذكّر نفسه بواجباته كضابط أول: لن يسعني أن أسدي أي مساعدة الى هذا الرجل إذا فقدت اعصابي. أمَرّ يديه بالتوقف عن الارتجاف وفكّر في أن يتكلم. فاذا نجح في التحكم بصوته فسيكون كل شيء على ما يرام.

شعر بانفراج وهو يشرح وضع الطائرة لبرج المراقبة في وينيبيغ، فهو لمس في صوته نبرة أوحت ببرودة أعصاب واحترافاً. قال: "لقد فقدنا محرّكنا الأول. سوف نحتاج الى جميع الشاحنات في الخارج."

وجاءه الإشعار بتلقي الرسالة من رون هويت الذي قال: "الرحلة ١٤٣، أخذنا علماً، سوف نلبي."

ما ان سمع لين دازكو، الضابط المسؤول عن تنظيم عملية هبوط الطائرات، رسالة كنتال عبر المذياع بصوته الذي أغرق القاعة، حتى تناول هاتفاً للطوارىء موصولا مباشرة ببرج المراقبة في المطار، وأعلم المسؤولين هناك بقضية الطائرة المنكوبة طالباً تجهيز معدات الطوارىء في المدرج.

كان واضحاً أن الطائرة تتدهور بسرعة، بدليل ما سمعه المراقبون من كنتال عندما طلب ابدال المدرج الذي عينوه له بآخر.

كان المدرج ٣١ الذي عُيّن في البدء لهبوط الطائرة يمتد من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي. ويتعيّن على بيرسن للوصول اليه أن يدور جنوباً مستهلكاً مزيداً من الوقت والوقود، وكلاهما ثمين، خلافاً للمدرج ١٨ الذي طلب بيرسن الهبوط فيه، فهو يمتد من الشمال الى الجنوب في خط مستقيم ويقع في طريق الطائرة تماماً.

أدرك بيرسن أن عليه الهبوط من دون أن يضيّع دقيقة واحدة.

خوف ملموس

مع اقتراب الطائرة من وينيبيغ انحدرت فجأة الى ارتفاع ٨٠٠٠ متر. وفي الساعة ٨،٢١ مساء بالتوقيت المحلّي غرقت مقصورة القيادة في ظلام دامس.

واختفت جميع البيانات والارقام التي تُبثّ على الشاشة وتظهر سرعة الريح وارتفاع الطائرة واتجاه ابرة البوصلة ومؤشرات الضغط والحرارة ومجموعة الادوات والمعدات الالكترونية، في مقصورة قيادة إحدى أكثر الطائرات تطوراً وتعقيداً في العالم.

تساءل بيرسن غير مصدّق: "كيف حصل هذا؟"

كان الجواب بسيطاً بمقدار ما كان مرعباً. فالمحرّك الايمن انهار هو أيضاً. ومع انهياره توقفت المولدات الكهربائية عن العمل وانقطع التيار الكهربائي. وبدت المقصورة لعيني بيرسن المكان الأحلك ظلاماً في العالم.

مستحيل، قال في نفسه. فهذه الامور لا تحصل.

لكنها حصلت. وألفى القبطان روبرت بيرسن والضابط الأول موريس كنتال طائرتهما محلقة في الجو فوق كندا الوسطى على مسافة ١٤٠ كيلومتراً من وينيبيغ، وفي حوزتهما أجهزة وضوابط عاملة هي أقل مما يتوافر في طائرة خاصة صغيرة.

لقد نفد الوقود من خزانات الطائرة. أدار كنتال مجموعة المولدات الكهربائية للحصول على بعض الطاقة، ثم راح يقلّب صفحات كتيّب الارشادات السريعة بحثاً عن التعليمات التي تمكنه من تحرير المحرّك الذي يدار بقوة الهواء وانزاله من موضعه بالقرب من "بئر" الدولاب الايمن. وهذا المحرّك ذو الغطاء المستقل يستخدم قوّة الريح متيحاً للطيار مجالا - وإن محدوداً - للسيطرة على الطائرة. فالهواء الذي يغرفه عبر خطمه، يدير داسراً (مروحة) يوفر مقداراً من الطاقة يتيح لبيرسن، بكثيرمن الجهد والمداراة، السيطرة على الاجزاء المتحركة من جناحي الطائرة وعلى المصاعد والدفّة الموجّهة. وهو تذكر حادثاً حصل له عندما تعطّل محرك سيارته محولاً المقود الهيدروليكي أداة عديمة النفع، ولكي يبقى مسيطراً على السيارة اضطر الى ادارة المقود بقوة يديه. إنه الآن في وضع مماثل، والمهمّ أن يبقى مسيطراً على الطائرة.

اتصل كنتال بمحطة وينيبيغ معلناً تعطّل المحركين.

أنعم هويت النظر الى شاشة الرادار أمامه. فوجد أنه، مع توقف أجهزة الارسال

والاستقبال في الطائرة المنكوبة، اختفت الإشارة التي تبين موقعها، كذلك البيانات المفيدة الأخرى التي يبثها الدماغ الالكتروني في شكل مثلّث من الارقام.

بدا كأن طائرة "الرحلة ١٤٣" اختفت من الجو.

ما ان خرجت عبارة "لا تقلقوا" من فم روبرت ديجاردان الذي أراد طمأنة زملائه حتى تناهى اليهم صوت القبطان بيرسن عبر مكبّر الصوت يطلب من ديجاردان بكثير من الجديّة التوجه للحال الى مقصورة القيادة.

كانت تلك الرسالة بالنسبة الى الركاب أول نذير حقيقي بالخطر.

في حديث مع ديجاردان طرق القبطان الموضوع مباشرة. قال: "لقد نفد منّا الوقود. ونحن مضطرون الى الهبوط في وينيبيغ. أعط الركاب وأفراد الطاقم التعليمات الخاصة بالهبوط الاضطراري."

عاد ديجاردان الى مؤخر الطائرة عبر الممشى الذي سلكه الى مقصورة القيادة. ولاحظ نظرات التساؤل في عيون الركاب، وأحس جو الخوف الذي ساد صفوفهم.

عندما بلغ المطبخ قال بحدة لزملائه المضيفين: "أخرجوا بطاقاتكم الزهرية. يجب أن نقدّم شرحاً حيّاً."

إختاروا شخصاً قوياً

تمركز أفراد الطاقم في أماكن مختلفة من الطائرة. وتناول ديجاردان المذياع وبدأ يخاطب الركاب. لكنه فوجىء برعشة في صوته، فتوقف عن الكلام وتنفّس بعمق قبل أن يتابع. وفيما هو يشرح التعليمات قدم أفراد الطاقم عرضاً حيّاً أمام الركاب.

وممّا قاله ديجاردان: "أصغوا الى هذه التعليمات جيداً. انزعوا أحذيتكم ونظاراتكم وأسنانكم الاصطناعية وأي شيء حاد في جيوبكم. تأكدوا من أن أحزمتكم مثبتة باحكام حول أدنى نقطة من أوراككم. كتفوا أذرعكم وتمسكوا بأعلى المقعد الذي أمامكم. واسندوا رؤوسكم الى أذرعكم."

وفيما ديجاردان يكرر التعليمات ويسهب في شرحها، راح أفراد الطاقم يتنقلون بين الركاب طالبين من كل فرد أن يؤدي الحركات المطلوبة في حال الهبوط الاضطراري.

أما ردّ فعل الركاب فكان مزيجاً من الخوف المكبوت واليأس. فهم، لدقائق خلت، فرغوا من تناول العشاء واسترخوا في مقاعدهم يتابعون الفيلم المعروض أو يقرأون أو يحتسون شراباً أو يتبادلون الاحاديث أو يرسمون الخطط للايام المقبلة. أما الآن فحياتهم في خطر، ولا أحد يدري ما السبب. وتملّك بعضهم شعور كئيب بالعجز، فيما راح آخرون يبكون بصمت.

إكتشفت المضيفة آن سويفت أن في عقلها زاوية تختزن قوة كامنة مكنتها من تأدية وظيفتها على رغم الخوف الذي غزا كيانها. كانت اللحظات المقبلة تنذر برعب يجهل الجميع مداه. وضجّت أسئلة في رأسها: الى متى سيظل القبطان بيرسن مسيطراً



على الطائرة؟ هل ستهبط الطائرة بسرعة فائقة بحيث يتعرض ركابها لفقدان الضغط؟

على رغم خوفها الشديد لم يغب عن بالها أن الركاب يعتمدون عليها. يجب أن تتحقق من أن كل غرض في مكانه بحيث لا يبقى شيء فالتاً ويتحول قذيفة تلحق الاذى بالركاب في حال الاصطدام العنيف. وهي شاهدت إحدى المضيفات ترتب معدات المطبخ بدقة وعناية واضعة كل غرض في المكان المخصص له. فقالت لها: "تخلصي منها فقط." وراحت تقذف كل ما وصلت اليه يداها من غلايات قهوة وشاي وزجاجات صغيرة في سلة كبيرة للنفايات.

فجأة سمعت رنيناً متواصلا لا يُخطأ. نظرت الى أعلى فرأت ضوء الطوارىء متوهجاً. وأوصلتها معرفتها الضئيلة بعمليات الطيران الى استنتاج رهيب: لقد شغّلوا بطاريات الطوارىء لان المحركات توقفت عن مد المولدات، أي انهم فقدوا المحركين الاثنين في الطائرة.

لم تنبس سويفت بكلمة خشية أن ترعب الركاب وتفقد هي نفسها أعصابها إن عبّرت عن مخاوفها بالكلام.

شعرت دانييل ريندو بخدر يسري في جسدها، وأدركت أنها تعاني أعراض صدمة، لكنها استمرت تنتقل بين الركاب وتشرح لهم التدابير المتبعة في الحالات الطارئة. بدت أصواتهم مكبوتة كأنها آتية من بعيد. ولاحظت دانييل ان تنفسها أصبح سطحياً وسريعاً وشعرت ببرد شديد.

بعد شرح التعليمات الخاصة بالهبوط الاضطراري والتحقق من أن كل فرد من الركاب بات يعي ما هو مطلوب وتحرير مقصورات الركاب من أي عائق أو عقبة قد تعترض

طريقهم، انتقل افراد الطاقم الى المهمة التالية المدوّنة في بطاقاتهم الزهرية والتي قضت بأنْ يختار كل منهم راكباً قوي البنية – ومن الأفضل أن يكون ذكراً في مقتبل العمر – ويجلسه قرب أحد مخارج الطوارىء ويجعله مسؤولا عنه وعن إجلاء الركاب في حال إصابة الموظف المسؤول أو وفاته.

سمع روبرت ديجاردان يقول للراكب نيجيل فيلد: "تبدو لي رجلا رابط الجأش. هل تسمح بتغيير مقعدك؟ نودك أن تجلس قرب مخرج الطوارىء في محاذاة جناح الطائرة."

أجابه فيلد بامتنان إذ اتاح له عملا يؤديه بدل الاستسلام لما هو آت: "يسرّني أن ألبي طلبك." ثم نهض وسار خلف ديجاردان الى مخرج للطوارىء في الجهة اليمنى.

وبعدما استقرّ في مكانه الجديد وأحكم حزام المقعد حوله، علّمه ديجاردان كيف يُفتح الباب وشرح له نوعين من الاجراءات. النوع الاول يطبّقه في حال وجد القبطان سطحاً مناسباً للهبوط وتمكن من انزال العجلات. عندئذ، بناء على إشارة من ديجاردان، يفتح فيلد الباب وينشر منزلقات الطوارىء كي ينزلق عليها الركاب خارجاً. أما إذا اضطر القبطان الى الهبوط على الماء من دون انزال العجلات – وإن حصل ذلك فسوف يكون على الأرجح في مياه بحيرة وينيبيغ غير المضيافة – فيتعين على فيلد عندئذ أن يستخدم مخلا مختلفاً يؤمن فتح الباب من غير انزال المنزلقات. وأنهى ديجاردان كلامه قائلا: "إياك أن تفتح الباب قبل أن أعطيك الاشارة."

حاول فيلد التركيز وراح يسترجع التعليمات في ذهنه. ومع ذلك لم يستطع كبح نفسه عن مراقبة المنظر من النافذة الصغيرة المربّعة. بحيرة وينيبيغ ما زالت بعيدة، لكنها تقترب مع كل ثانية تمر.

طغا على آن سويفت إحساس شاركها فيه كثيرون حولها. شعرت كأنها تراقب نفسها من مسافة بعيدة. للناظر اليها من الخارج بدت تؤدي وظيفتها. أما من الداخل فلم تكن تملك السيطرة على الغليان.

عليّ أن أجد شخصاً قوي البنية، هذا ما رددته سويفت في نفسها وهي تجول بعينيها في الجانب الايسر من مقصورة الركاب حيث جلس بضعة رجال تتوافر فيهم الصفات المطلوبة لكنهم جميعهم في صحبة عائلاتهم، وهي لم ترغب في فصلهم. لا بدّ من أن تجد شخصاً مسافراً بمفرده، ولكن مَن؟ وأين؟ انتقلت الى الجانب الايمن، وهناك لمحت شاباً قوي البنية ممتلىء الجسم يجلس وحده قرب الحاجز الذي يقسم الطائرة حجيرات.

تقدمت منه سويفت وركعت قربه في الممشى واستهلت حديثها معه قائلة: "إننا في حاجة الى مساعدة."

أدرك مايك لورد فجأة أنها تخاطبه. وتابعت: "هل أنت بمفردك؟"

– نعم.

"ما اسمك؟"

- مايك لورد.

"إسمي آني واحتاج الى مساعدتك. أود أن تتولى عني فتح باب الطوارىء وتثبيت المزلقة إذا حصل لي أي مكروه. أتظن أن في وسعك أن تفعل."

- آمل ذلك، أعتقد ذلك.

"تفضل معي إذاً."

سار لورد خلفها الى الجهة اليسرى من مؤخر الطائرة حيث أرته موقع باب الطوارىء، وقالت وهي تشير الى مقعد في الصف الاخير قرب الممشى الايسر: "إجلس هنا."

جلس لورد حيث اشارت وأوثق الحزام حوله ثم سألها: "ماذا تريدينني أن أفعل؟"

قالت: "عندما تحطّ الطائرة، احتاج الى خمس ثوان أو نحوها ريثما يفتح الباب وتنتفخ المزلقة. كل ما أطلبه منك هو أن تسد الممشى ولا تدع أحداً يمرّ. أعطني بين خمس وسبع ثوان فقط، وما ان تسمعني أقول "الآن" إستدر صوب الباب وانزلق الى الخارج وقف في أسفل المزلقة لمساعدة الآخرين وهم يهبطون. هل يمكنك أن تفعل ذلك؟"

هز مايك لورد رأسه ايجاباً.

تغيير في الخطط

واصل دون هويت، ضابط حركة الهبوط، تفتيشه عن إشارة ما على الشاشة التي ظلت خالية. إتصل بالطائرة وقال بنبرة يائسة: "لقد فقدنا إشاراتكم." ثم راح يدير الأقراص أمامه بارتباك ظاهر لتحويل الاتصال الى وينيبيغ، الوحيدة التي تملك جهاز رادار مباشر. أنعم نظره في الشاشة، فظهرت عليها صورة مضيئة في المنطقة التي افترض ان الطائرة المنكوبة فيها. ولم يلبث أن نجح في اعادة الاتصال بها. وكان ذلك أول تحوّل حسن في حظ الطائرة.

في مقصورة القيادة راح بيرسن يفكر بصوت مرتفع: "حسناً، ما هي أفضل سرعةٌ للهبوط؟" لم يجد في دليل الطيارين أي تطرق أو إلماع الى موضوع الانزلاق الهوائي كطائرة شراعية، والهبوط بطائرة "بوينغ ٧٦٧" توقف محرّكها. لكن بيرسن كان يجمع، الى خبرته في الطيران، معرفة بالانزلاق الهوائي بحكم عمله سنوات طويلة مدرباً على الطيران الشراعي.

كان بيرسن يعلم، استناداً الى خبرته الشخصية، أن هناك سرعة مُثلى لابقاء الطائرة في الجو أطول فترة ممكنة. فالهبوط الفائق السرعة والهبوط المفرط في البطء كلاهما خطأ مميت.

قدّر بيرسن ان سرعة ٤٠٠ كيلومتر في الساعة تتيح للطائرة بلوغ المدى الأقصى، لكن الطريقة الوحيدة لمعرفة سرعتها في الهبوط كانت التخمين. إنه أسلوب في الهبوط لم يسبق أن جرّبه أحد. لم يكن أحد يدري مقدرة الـ"بوينغ ٧٦٧" على الانزلاق.

في تلك الاثناء ورد تقرير من ضابط حركة الهبوط هويت يقول فيه: "تشير أجهزتنا الى انكم على مسافة ١٠٥ كيلومترات من وينيبيغ وحوالى ٧٢ كيلومترا من جيملي."

قال كنتال وهو يرمق بيرسن: "جيملي، إنه مدرج طويل." فذلك المطار العسكري كان ذات يوم يضج بالحركة، لكنه مقفل منذ العام ١٩٧١.

عرض بيرسن البدائل المتاحة ثم سأل: "هل هناك معدات للطوارىء في جيملي؟"

فأجابه هويت بالنفي، وأضاف: "ليس فيها سوى مدرج واحد، على ما أعتقد، ولا نملك أي معلومات عنه، وليست فيه أجهزة مراقبة." بعد تردد قصير قال بيرسن "إننا نفضّل وينيبيغ إذاً."

لكسب مجال أوسع للمناورة أراد بيرسن أن يصل بطائرته الى المطار وهي على علو كيلومتر ونصف كيلومتر. وكان موريس كنتال رسم صورة سريعة لخطة الهبوط مسجلا ارتفاع الطائرة وبُعدها عن وينيبيغ معتمداً المعلومات الواردة من المراقبين والتي أفادت أن أمامهم مسافة ٩٠ كيلومتراً فيما الارتفاع المتبقي لا يتعدى ٣٠٠٠ متر. ومعلوم أنه مع اقتراب الطائرة من الأرض حيث الهواء أكثر كثافة تخفّ سرعة هبوطها. ولكن أتراها ستخف بالمقدار المطلوب؟

نظر كنتال الى بيرسن وقرأ في إطباقة فكيّه تصميماً، فهو بدا أشبه براعي بقر (كاوبوي) متشبث بجواد يشب مهتاجاً في مباراة لعرض البراعة. قال كنتال: "لن ننجح. سنكون على ١٩ كيلومتراً دون الهدف."

وما لبث لين دازكو في وينيبيغ أن أكد هذا الامر على أساس الدوائر التي ارتسمت على شاشة الرادار أمامه. وهو قدّر أن الزاوية التي اعتمدتها الطائرة للانزلاق الهوائي ستوصلها الى الأرض في نقطة تبعد ١٦ كيلومتراً عن المدرج.

سأله بيرسن عن المسافة التي تفصل الطائرة عن جيملي، فأجاب: "حوالى ١٩ كيلومتراً."

- استفسر بيرسن: "الى اليمين؟"

– نعم، الى يمينك.

اتخذ بيرسن قراراً نهائياً. كانت الحكمة تقضي بأن يتوجه بالطائرة الى بقعة من الأرض معبدة بالاسفلت. وكان على يقين أنه سوف يجدها. وخامره شك بالنسبة الى وينيبيغ، لكنه كان واثقاً بقدرته على الوصول بالطائرة الى جيملي. فسأل: "هل لك ان ترشدنا اليها؟"

أعطاه دازكو تعليمات كي يستدير بالطائرة ٣٤٥ درجة الى اليمين. وهكذا، بعد ٢٤ دقيقة من سماعه الانذار الأول، وجد بيرسن نفسه "يكدح" بآلاته منجزاً انعطافاً حاداً الى اليمين أتبعه بانزلاق صامت الى ما تحت حجاب الغيم. ثم أكمل تحليقه متجهاً من الشمال الى الشمال الغربي في محاذاة الضفّة الغربية لبحيرة وينيبيغ، مفضلا المجهول الذي ينتظره في قاعدة عسكرية مهجورة خارج بلدة جيملي الريفية على الامن المتوافر في مطار من أعظم المطارات وأكبرها، فهذا الآن أمن مشكوك فيه.

كان المدرج الشرقي في مطار جيملي مفتوحاً أمام الطائرات الخفيفة، أما المدرج الغربي فتحوّل ميداناً لسباق السيارات تستخدمه النوادي الرياضية في المنطقة. وكان نادي السيارات هناك شق حلبة للسباق طولها كيلومتران، وشكل فيها المدرج القديم الخط المستقيم النهائي.

ذلك السبت نظّم الهواة سباقاً للسيارات في الطرق الخلفية لبلدية جيملي. وعند انتهائه عادوا الى مقطوراتهم وخيمهم المنصوبة في القاعدة العسكرية السابقة وفي بقعة متاخمة للمدرج الغربي الذي توقف استخدامه. واستعدوا للاستمتاع بوجبة شواء وأمسية هادئة من أمسيات الصيف في كندا حيث يتأخر غياب الشمس، والاستراحة تحضيراً لسباقات الاحد.

مناورة لا تصدّق

بعدما أضحت الطائرة تحت الغيم تحقق بيرسن وكنتال بأم العين من أنها تتجه شمالا في موازاة ضفة بحيرة وينيبيغ. جعل بيرسن مقدم الطائرة مصوباً على امتداد طريق عامة ممتدة في محاذاة الماء. ورأى الطياران تحتهما أرضاً زراعية تتخللها مجموعات من البيوت الصغيرة والمنازل المتواضعة. وما لبث ان ظهر أمامهما قرب الشاطىء المنظر المألوف لمدرج مستقيم.

انساب صوت لين دازكو عبر مكبّر الصوت في مقصورة القيادة: "يبدو أنكم متوجهون نحو المدرج. أظن أمامكم ١٦ كيلومتراً طيراناً."

من دون الجنيحين المتحركين لتخفيف حدة الاندفاع راحت الطائرة تقترب من المدرج بسرعة. وهذان الجنيحان يعملان، في الاحوال الطبيعية، على تخفيف سرعة الطائرة الى ٢٤٠ كيلومتراً في الساعة، أما في غيابهما فسوف يتعين عليها أن تحط بسرعة ٣٣٠ كيلومتراً. ومعنى هذا ان الطائرة ستحاول الهبوط بكوابح تعمل جزئياً، ومن دون محركات تسمح بالمناورة. ومعناه أيضاً أن تلك كانت فرصتها الوحيدة.

أجاب بيرسن: "حسناً، إننا في الطريق اليه. هل هناك معدات... أي معدات للطوارىء يسعكم احضارها من البلدة؟"

- نعم. سوف نحضر كل ما يمكننا احضاره.

لم يعد لدى ريك ديون ما يفعله في مقصورة القيادة. جالت في ذهنه فكرة صامتة وهي أن ايقاف الطائرة في الوقت المناسب سيشغل بيرسن الى أبعد حد ويستحوذ على كل اهتمامه. ففضّل ان ينضم الى زوجته بيرل وابنهما كريس. فقال لبيرسن: "انني عائد الى مقعدي يا بوب."

نظر ديون من النافذة وهو يجتاز الممشى الايسر ورأى حقول العشب تقترب. اما في الداخل فطالعه مشهد يوحي الانذهال والهلع. عدد كبير من الركاب أقاموا حولهم دعائم من الوسادات والحرامات، فيما جثم عدد آخر متخذين الوضع الملائم للهبوط الاضطراري. امرأة واحدة فقط جلست في مقعدها مستقيمة الظهر وراحت تنشج.

قال ديون لزوجته متكتماً: "سوف تهبط الطائرة في جيملي لتتزود الوقود."
فسألته: "هل فيها ما يكفي من الوقود لتهبط بسلام؟"
أدرك ديون أن جميع من كانوا في مرمى السمع منه ينصتون، فأجابها كاذباً: "نعم." وتمنى لو تتوقف عن التكلم في الموضوع.

تابعت الطائرة انحدارها السريع فيما سمّر كين موهر نظره على المشهد من النافذة قرب كريستال. شاهد طريقاً عامة وعدداً من السيارات. ولم يرغب في رؤية المزيد فأسدل ستار النافذة وقال: "سيكون كل شيء على ما يرام يا حلوتي." ثم انتظر متوقعاً أن يسمع صوت تحطم الطائرة التي باتت على ارتفاع منخفض جداً.

الا ان بيرسن وكنتال كانا مقتنعين بخلاف ذلك. فارتفاع الطائرة ما زال في نظرهما اكثر مما يجب، وإذا هما لم يتصرفا بسرعة فسوف تتجاوز الطائرة المدرج لتستقر في الحقول وراءه أو، في حال أسوأ، فوق إحدى مجموعات البيوت شمال المطار.

فكّر بيرسن في لحظة أن ينعطف بالطائرة ٣٦٠ درجة، لكنه خشي أن تنخفض أكثر من اللزوم فتقصّر عن بلوغ الهدف. من جهة أخرى، إنزال جهاز الهبوط يساعد في تخفيف السرعة. فقال: "حسناً يا موريس، إخفض جهاز الهبوط."

جذب كنتال الرافعة الى أسفل، وانتظر الاثنان الصوت الانفجاري المطمئن الذي يعلن استجابة الجهاز. لكن شيئاً من هذا لم يحدث. وبدل الدوي المألوف، خيّم على المقصورة صمت ثقيل.

كانت الطائرة تفتقر الى الضغط الهيدروليكي الكافي لتحريك الجهاز في الاتجاه المطلوب. مدّ كنتال يده الى محوّل بديل موصول بالجهاز الاصلي يستخدم لسحب المسامير المعدنية التي تبقي أبواب الجهاز موصدة أثناء الطيران وبالتالي تبقي العجلات مرفوعة. وكم كان سرور الرجلين بالغاً عندما سمعا صوت تحرر العجلات وشعرا بالاهتزاز الناشيء من المقاومة الهوائية المتزايدة. عندئذ فقط تضاعفت سرعة انحدار الطائرة.

على لوحة جهاز القيادة أمام كنتال ظهر ضوءان أخضران اشارة الى أن جهازي الهبوط الاساسيين اللذين يضعان العجلات الكبيرة تدليا وثبتا في مكانيهما، وظهر ضوء ثالث كهرماني متوهج أنبأهما أن الجهاز الامامي نزل جزئياً من مكانه لكنه لم يثبت. وهو، بخلاف الجهازين الاساسيين اللذين تدليا جانبياً ما ان هبطا من محاجرهما، كان يجب أن يندفع الى الامام، لكنه قصَّر امام مقاومة الريح.

لكن انشغال بيرسن الفائق بمشكلة أخرى حال دون ملاحظته ما حصل. فهو شعر للحال، استناداً الى خبرته السابقة وحدسه المرهف، بأن المقاومة التي نشأت كانت دون المطلوب وهي بالتالي لن تمنع الطائرة من الهبوط في نقطة متقدمة ومن مواصلة اندفاعها خارج المدرج. كان عليه أن ينحدر بالطائرة اكثر وأسرع.

أدار بيرسن المقرن (yoke) الى يساره وضغط بقدمه دوّاسة الدفة اليمنى منتزعاً استجابة فورية من الجنيحين المتحركين في الخارج، اذ ترجَّح الجنيح الايسر صعوداً

فيما هبط الايمن، وهذا من شأنه، في ظروف طبيعية، أن يعطف الطائرة الى اليسار. لكن بيرسن أبقى قدمه على الدواسة دافعاً الدّفة الخلفية الى اليمين ومتصدياً لقوة الجنيحين.

القوتان المتقابلتان اللتان انبثقتا من الاجهزة المتعارضة، جعلتا الطائرة تميل بحدة الى جانبها الايسر وعرّضتاها لضغط كبير، لكنهما في الوقت ذاته ولدتا مقاومة شديدة أحدثت هبوطاً مفاجئاً وسريعاً في سرعة الهواء وفي الارتفاع.

وفي مناورة جديدة لم يسمع بها في عالم الطائرات النفاثة، جعل بيرسن الـ"بوينغ ٧٦٧" العملاقة تنزلق جانبياً.

شعر ريك ديون بالطائرة تميل فجأة على نحو خطر. وأعقب ذلك شعور متسارع بالسقوط. ثم بدأت الطائرة تترجح وتهتز وتثب وترتد وتقعقع، وكانت اقتربت من الارض كثيراً فراحت تمسح رؤوس الاشجار.

فكر ديون: إنه يفقد السيطرة عليها، وسوف تكون نهايتنا إذا ضرب طرف الجناح بأي شيء.

والحقيقة ان امكان إقدام بيرسن على تنفيذ انزلاق جانبي لم يخطر في باله قط، ولا هو اعتقد أنه يملك القوة لابقاء أجهزة القيادة في وضع متعارض.

قرار موجع

نظر كنتال من النافذة. كانت الطائرة اقتربت من المهبط كثيراً بحيث رأى، ليس فقط علامات الحروق السوداء التي تخلفها إطارات المطاط، بل شيئاً آخر أيضاً. رأى أشخاصاً يقفون وسط المدرج غير منتبهين للطائرة المقتربة منهم بصمت. كانت الطائرة متجهة صوب المدرج المهجور. فالاسفلت الاسود الذي غطى المدرج المستعمل كان قاتماً جداً بحيث تعززت رؤيته من الجو.

ركّز بيرسن انتباهه على حدّ المدرج حيث الامل الوحيد. من دون معدات، كان عليه أن يقدر سرعة الطائرة. وهو لم يجرؤ أن يحوّل نظره لحظة عن نقطة الهدف. فكل ذرة من طاقته استنزفها الجهد الذي تطلبه الانزلاق الجانبي. وتصبب العرق من جبينه بغزارة.

بتصميم وعناد أبقى بيرسن الطائرة في وضع الانزلاق الجانبي مدة طويلة حتى أن كنتال نفسه خشي أن يضرب طرف الجناح الايسر بالأرض. وعندما أرخى بيرسن قبضته عن جهاز القيادة كانت الطائرة على ارتفاع ١٢ متراً فقط.

جال في ذهن كنتال أن بيرسن لم يكن متنبهاً الى وجود اشخاص يتحركون على المدرج. هل أنبهه يا ترى؟ لا، فالاوان لذلك قد فات.

اتخذت الطائرة وضعاً أفقياً. وما لبثت، في الوقت المحدد تماماً، أن بلغت الهدف. ومن مكان ما في مقدّم المقصورة انطلقت صرخة: "استعدوا!"

كان كام بيرغلند، وهو فتى في الثالثة عشرة من عمره، يقود دراجته الهوائية بنشاط محاولا سبق أقرانه. فساعات المساء الأولى في جيملي كانت دائماً مهمة بالنسبة الى

الصبية. وهم اعتادوا أن يغتنموا خلو الحلبة من السيارات بعد السباق ليحولوها ملعباً لانواع المباريات والالعاب. وذلك اليوم ركبوا دراجاتهم وانطلقوا بها جنوبا صوب ما كان يوماً المدرج الايسر الرقم ٣٢، مبتعدين عن جماعة المخيمات والعربات والشاحنات المتوقفة قرب الجزء المستقيم من المدرج.

كان كام يقود دراجته بحماسة حين رفع بصره مصادفة، فشاهد الشبح الصامت لطائرة ضخمة وقد هبط جناحها الايسر ومالت على نحو غريب. راحت الطائرة تهبط بسرعة. جمد الفتى في مكانه كمن مسّه تيار كهربائي. ثم رأى الطائرة تستوي وتوجه مقدمها نحوه مباشرة.

على الفور دار الصبية على أعقابهم وانطلقوا على دراجاتهم مبتعدين. وكانت ساقا كام ترتفعان وتنخفضان باهتياج على دواستيه، وهو صرخ في الناس المتجمعين عند حافة المدرج: "هناك طائرة تسقط."

في الساعة ٨،٣٨ مساء مالت الطائرة بثقلها فوق المدرج ونجح ببرسن في اصابة

١٩٨٩ بوينغ في مهب الريح



الهدف بإحكام شبه تام محققاً عملا بطولياً لافتاً. فهو تمكن من الهبوط بطائرة نفّاثة توقفت محركاتها متجاوزاً الحدود بـ٢٤٥ متراً فقط. (تجاوز الحدود بـ٣٠٠ متر يعتبر طبيعياً في الهبوط). انه نجاح باهر لم يتسن له أن يستمتع به لحظة.

فبعد انفجار عجلتين في جهاز الهبوط الرئيسي الايمن اندفعت الطائرة بسرعة ٣٣٠ كيلومتراً في الساعة، وهي تفوق السرعة الطبيعية كثيراً. أدرك بيرسن أن عليه ايقافها قبل أن تصطدم بشيء.

ضغط دواسة الدفة بعقبي حذائه، وشد الكوابح ما تبقى له من قوة. انخفض مقدّم الطائرة قليلا. وانتظر بيرسن أن يسمع صوت العجلة الامامية وهي تضرب الأرض. ولكن بدل ذلك الصوت المكتوم والمألوف سمع صوتاً انفجارياً قريباً أشبه بصوت طلقات نارية. كانت الطائرة تنزلق على مقدمها فوق المدرج وحولها سحابة من الدخان الابيض.

رفع بيرسن نظره الى المدرج فلمح بطرف عينه فتى يمتطي دراجة. تلك كانت أصعب لحظة واجهها في مهنته. إذ تحتم عليه أن يتوصل الى قرار سريع... القرار الاشد إيلاماً في حياته.

لا، لن أصدم أحداً، وإن اضطرني ذلك الى الانحراف بالطائرة عن المدرج. ذلك كان العهد الذي قطعه على نفسه وأقسم أن يلتزمه.

من دون عجلة أمامية توجّه الطائرة لجأ بيرسن الى الكبح التفاضلي، فراح يضغط بقدميه دواستي الكوابح اليمنى واليسرى مناوبة في محاولة لإبقاء الطائرة وسط المدرج. رأى الآن أناساً كثيرين يتبعثرون يميناً ويساراً مندفعين خارج المدرج.

اصمد! اصمد! أمر نفسه وهو يعدّ الثواني قبل أن يضطر، ربما، الى الكبح في أقصى اليمين بعيداً عن السلامة النسبية التي توفرها الطريق المعبدة.

وما لبث أن برز خطر آخر، يعيد الاحتمال انما محيّر. فعلى طول المدرج في الوسط، كتدبير احترازي، أقيم سياج معدني للحماية. ضاعف بيرسن ضغطه الكابح الايمن مما جعل غطاء المحرّك الايمن يكشط الأرض محدثاً شلالا من الشرر. انحرفت الطائرة قليلا وتابعت انزلاقها فيما صدم الجانب الايسر من مقدمها السياج المعدني الواطىء مقتلعاً الاعمدة الخشبية.

ترددت في الغسق أصداء تكسّر حاد فيما تابعت الطائرة اندفاعها والناس حولها يتراكضون طلباً للامان. بعضهم جمدوا في أماكنهم عاجزين عن أي حركة، مسمرين قرب خيمهم ومشاويهم. ومع تكسّر مزيد من الاعمدة خف صوت صرير المعدن على المدرج وخفت سرعة الطائرة الى أن توقفت تماماً، وكانت لا تزال على المدرج.

كان بدن الطائرة سليماً غير مخدوش. وهي على الأرض! رفع الركاب رؤوسهم وتطلعوا حولهم بذهول. وعندما أدركوا أنهم ما زالوا أحياء يرزقون غمرتهم موجة من الابتهاج العارم ودوّت في الطائرة أصوات التصفيق وصرخات الفرح.

هبّ المضيفون الى العمل. صحيح أن الطائرة أصبحت على الأرض، الا أن خطر الحريق ما زال داهماً وما زالت صورة المأساة التي حلّت بشركة الخطوط الجوية الكندية

حية في أذهانهم. فقبل شهر شبّ حريق في حجرة المغاسل في طائرة من طراز "دوغلاس دي سي ٩" وهي في الجو. ومع أن الطيارين تمكنوا من الهبوط بها الا أن ٢٣ راكباً قضوا اختناقاً بالدخان قبل أن يتم إجلاؤهم.

والآن بدأ الدخان يتصاعد مالئاً المقصورة. راح الموظفون يصرخون بالركاب: "هيا، أسرعوا! علينا أن نخرج من هنا."

إخلاء الطائرة

لحظة توقفت الطائرة فك مايك لورد حزام مقعده وقفز الى الممشى الأيسر في المؤخر. سدّ المخرج عملا بتعليمات سويفت في انتظار أن تفتح الباب وتحرر المزلقة. الا أن الركاب راحوا يتراكضون صوب الباب وقد استبد بهم الخوف.

ما ان سمع لورد سويفت تصرخ: "حسناً، الآن يا مايك،" حتى استدار صوب الباب المفتوح. لكنه فوجىء بالمنظر وبدا عليه الانشداه. فالمسافة بينه وبين الأرض بدت بعيدة، والقفز من فوق كان كالقفز عن سطح منزل.

لم يكن هناك وقت للجدل، فالطائرة قد تنفجر في أي لحظة.

بقفزة استقر مايك على المزلقة جالساً وراح ينزلق عليها بسرعة، فأمسك حافتيها غريزياً بيديه الاثنتين اللتين مزّق الاحتكاك جلدهما.

بسبب انهيار جهاز الهبوط الامامي استقرت الطائرة في وضع مائل، فانخفض مقدمها وارتفع ذنبها في الهواء مما جعل المزلقة تقصر متراً عن بلوغ الأرض. سقط لورد على الارض بعنف. دفعته قوة الصدمة الى الامام وظلّ يتقلب حتى استقر على بعد ثلاثة أمتار من المزلقة. نهض من سقطته وعاد الى أسفل المزلقة غير آبه بما أصابه.

أخذ صوت سوزان جويت يعلو حتى تحوّل صراخاً: "هيا! هيا! تحركوا جميعكم!" يا للحظا قالت في نفسها. فبسبب انحناء مقدم الطائرة باتت المزلقة في المؤخر شبه عمودية وقصرت بضعة أمتار عن بلوغ الارض. صعب عليها أن تصدق أن هؤلاء الركاب الذين نجوا من الموت المحتم وهم في الجو يواجهون اجراء للاخلاء ربما كان سبب هلاكهم على الارض.

حمل ريك ديون ابنه كريس بين ذراعيه وقاد زوجته بيرل في اتجاه باب الخروج بالقرب من الجناح الايسر.

وصلوا الى الباب تتقدمهم بيرل، فقال لها ريك: "هيا! هيا!" وكان عدد من الركاب بدأوا اخلاء الطائرة. لكن بيرل صُعقت عندما رأت الهوة أمامها والتي تجاوزت ثمانية أمتار فصرخت "لا أستطيع!"

لفّ ريك ابنه بذراعيه وقال: "سوف أنزل مع كريس. أنظري، إنه أمر بسيط." وقفز الى المزلقة وراح يتزحلق بسرعة. ضربت قدماه بالارض أولا، فراح "يتشقلب" ممتصاً الصدمة بجسده الذي شكّل لابنه الدرع الواقية. ظلت بيرل حارنة حتى دفعها أحدهم فجأة فانزلقت الى الامان.

أول النازلين اندفعوا الى الاسفل بسرعة كبيرة عجز معها مايك لورد عن صدّهم والحؤول دون اصطدامهم بالارض كما حلّ به قبلهم. لكنه الآن وقف جانباً وراح يحاول أن يمسك بهم من تحت آباطهم آملا أن يخفف ذلك من سرعة اندفاعهم. وسمع صراخ امرأة آتياً من فوق. وعندما رفع بصره رأى راكبة في حال من الاهتياج وقد تعلقت بطفل ووقف الاثنان في الباب.

وعدها لورد: "إقفزي وسوف أتلقى الطفل."

انزلق الاثنان صوبه: المرأة بجسم متصلب مشدود والطفل بين ذراعيها الأمينتين. ارتمى لورد الى الامام ونجح في تخفيف سرعة اندفاعهما. وعندما بلغا الأرض سمع لورد اصطكاك أسنان المرأة التي نجحت في ايصال الطفل سالماً.

واصل مايك لورد عمله عند أسفل المزلقة ممتصاً لطمات الركاب الهابطين. وداخل الطائرة كان نيغل فيلد يساعد الركاب على اخلاء المقصورة التي امتلأت بالدخان. أخيراً لم يبق في الطائرة سوى مضيفة وقفت في الباب.

وما ان قفزت الى المزلقة حتى ارتمى لورد في طريقها وتلقاها بذراعين مفتوحتين ما لبثتا أن أطبقتا حولها وتدحرج الاثنان الى الارض.

طائرة شراعية

على رغم الدخان الكثيف الذي ملأ قمرة القيادة راح بيرسن وكنتال يعملان وفق التعليمات المتبعة لاخلاء الطائرات في الحالات الطارئة. قطع كنتال التيار الكهربائي معطلا مفاتيح الوقود. لكنه سرعان ما تذكر أن الطائرة خالية من الوقود. يا للسخافة! قال في نفسه وتابعا العمل، فانتزعا محوّلات الزيت والكهرباء والطاقة الهيدروليكية ثم عطلا بطارية الطوارىء وأسرعا بالخروج من القمرة وهما يسعلان.

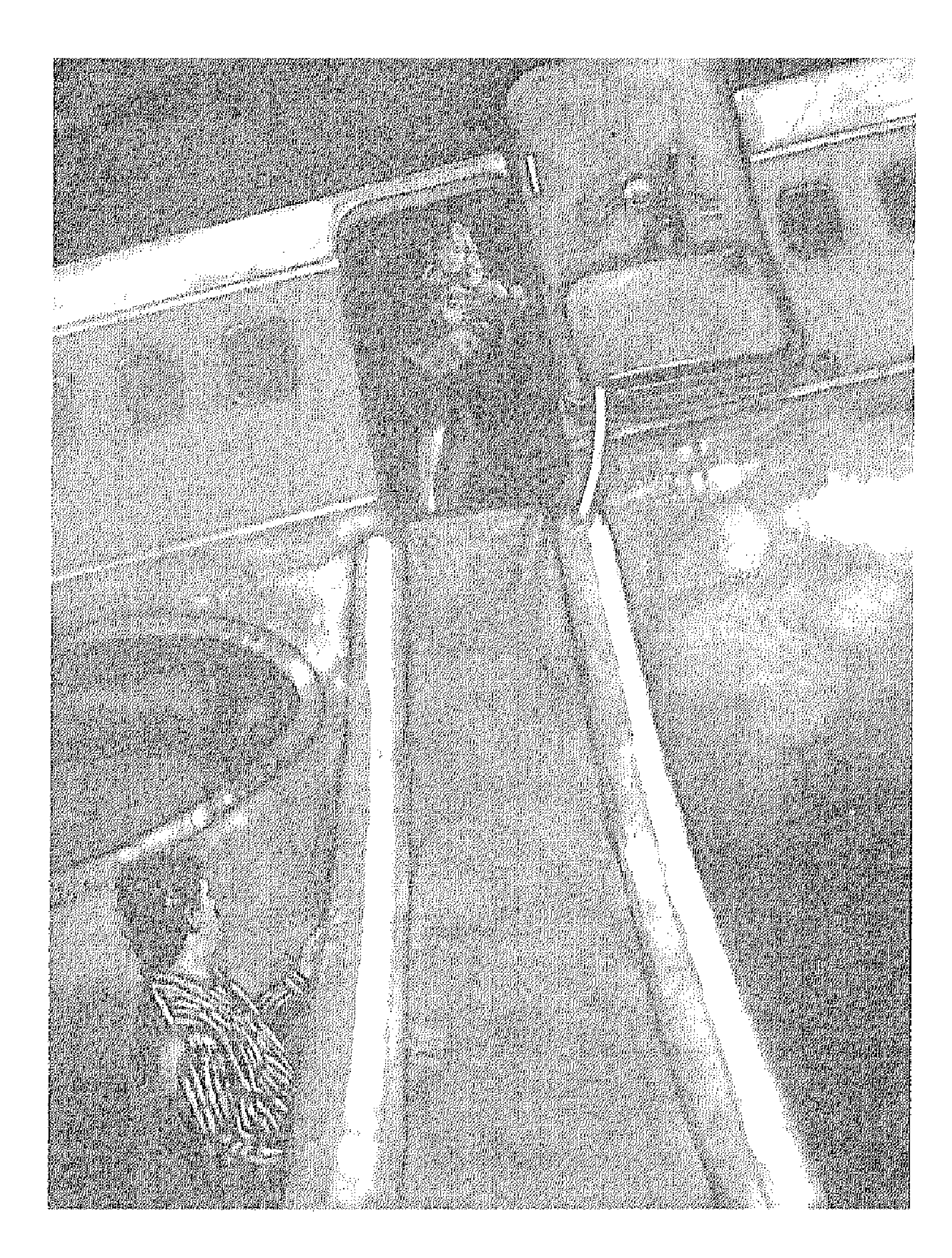
حمل كل من بيرسن وديجاردان مشعلا كهربائياً وجالا في الطائرة. وبعدما اطمأنا الى خلوها من الركاب حول القبطان انتباهه الى الطائرة ذاتها. أراد أن يعرف مصدر الدخان وان يطفىء النار قبل أن يستفحل ضررها.

في غضون ذلك أودع ريك ديون عائلته مكاناً آمناً وعاد الى الطائرة. التقى بيرسن في الخارج قرب المقدم وهو يقلّب بين يديه مطفئة للحريق.

قال له بيرسن: "لقد قطعنا بها كل تلك المسافة ولن أدعها تحترق الآن!"

دخل بيرسن وديون الطائرة من الجهة الامامية حيث المخرج شبه مستو مع الارض. شاهدا دخانا بنياً مدوماً في قمرة القيادة وفي الجزء الامامي من مقصورة الركاب. رفعا بعض السجاد، وما ان فتحا الباب الصغير المؤدي الى مركز الخدمات الالكتروني في مقدم الطائرة حتى طالعتهما كتل من الدخان السام دفعتهما الى الوراء.

ظهر فجأة اطفائي من جيملي وقد غطى وجهه بقناع واق. أرشده ديون داخل الطائرة على نور المشعل الكهربائي. كانت المادة العازلة تحت "بطن" الطائرة تحترق ببطء



وقد اشتعلت فيها النار بسبب الاحتكاك الذي تولد عندما هبطت الطائرة على مقدمها. أخمد الاطفائي النار وفصل البطارية.

هتف أحد الركاب: "هذه ليست وينيبيغ! أين نحن؟" وراح الآخرون يتمتمون بدهشة. ولكن ماذا يهم؟ وسرعان ما تحوّل الارتباك ابتهاجاً، فهم أحياء يرزقون، وماذا يهمّ أين حطت الطائرة. وكما قالت سوزان جويت: "لقد شهدنا معجزة!"

على الفور باشرت سلطات المواصلات في كندا تحقيقاً في الحادث. وبعدما نزع المحللون عداد الوقود تبين أن الخلل في حلقة الوصل الأولى. ومع ذلك، بعد تحقيق داخلي اجرته شركة الخطوط الجوية الكندية، ألقي اللوم على القبطان بيرسن والضابط الأول كنتال وثلاثة من عمال الصيانة الذين زودوا الطائرة وقوداً. وأصدرت في حقهم تدابير تأديبية. وما لبثت الصحافة أن التقطت الخبر وتناولته في وسائلها آخذة جانب الموظفين.

الدعاية التي رافقت الحادث دفعت الحكومة الكندية الى تعيين مجلس تحقيق مستقل. وبعد الاستماع الى ١٤١ شاهداً أصدر المجلس تقريره في ١٩٩ صفحة وخلص

فيه الى أن مسؤولية ما حدث تقع على عاتق ادارة شركة الخطوط الجوية الكندية وموظفي الصيانة والطاقم العامل على الطائرة. واشار التقرير الى "خلل في الاتصال داخل المنظمة."

ومن أسباب القصور الواقع على الشركة والمتصل بسياستها وأساليب العمل والاجراءات المعتمدة فيها، أنها اتخذت قراراً بانتاج طائرة جديدة تعتمد الكيلوغرام وحدة لقياس الوقود، في وقت واصلت بقية الطائرات التي يتألف منها الأسطول استخدام نظام القياس البريطاني القديم الذي يعتمد الباوند وحدة للقياس. وكانت الشركة اقدمت على اتخاذ هذا القرار، جزئياً على الاقل، نزولا عند رغبة الحكومة في تعزيز الحملة الداعية الى اعتماد النظام المتري.

وفي التقرير أيضاً إشارة الى قصور من جانب الشركة في تعيين مسؤول عن حساب الوقود وفي تدريب الموظفين على إجراء مثل تلك الحسابات، وأخيراً في توفير قطع للغيار على الطائرة.

وخلص القاضي جورج هـ. لوكوود، الذي رأس المجلس، الى أن من السهل جداً انحاء اللوم على بعض الافراد، لكنه أضاف: "لولا مهارة القبطان بيرسن ومقدرته في الطيران، والمساعدة القيّمة من الضابط الأول كنتال، لكانت العواقب وخيمة. ومن المصادفات العجيبة ان المام القبطان بيرسن بالطيران الشراعي هو الذي حال دون وقوع الكارثة. وهو طبق معرفته تلك بمهارة ونجح في التحليق والهبوط باحدى اكثر الطائرات التجارية تطوراً وتعقيداً في العالم.

وبفضل احتراف طاقم العاملين على الطائرة ومهارتهم وتفاني المضيفين والمضيفات، تم التغلب على نواحي النقص في الادارة وفي المعدات، وأمكن تجنب كارثة كبرى."

أما بيرسن وكنتال فحظيا باستحسانٍ زملائهم وتصفيقهم على المستويين الوطني والعالمي. ومن أسباب التكريم التي أسبغت عليهما شهادة استحقاق من رابطة الطيارين الكنديين وشهادة تنويه بمهارتهما الفذة في قيادة الطائرات من الاتحاد الدولي للطيران.

وحتى اليوم ما زال بيرسن وكنتال يعملان طيارين في شركة الخطوط الكندية.

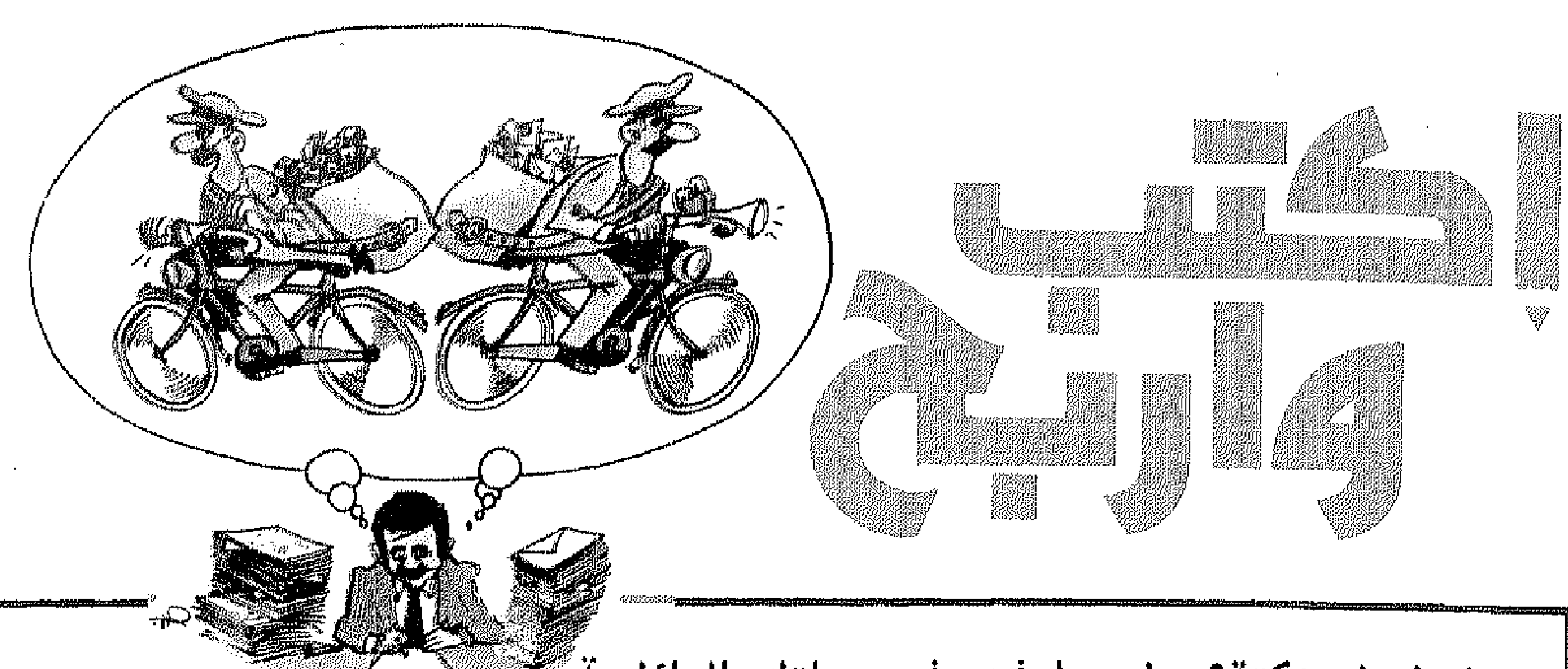
أما الـ"بوينغ ٧٦٧" فنجت هي أيضاً. وبعدما أجريت لها بعض الاصلاحات الاولية تمكنت من الطيران الى وينيبيغ حيث عمل الفنيون أسابيع على اصلاحها. وما زالت هذه الطائرة الرقم ٦٠٤ التي باتت تدعى "طائرة جيملي الشراعية" في الخدمة الى اليوم.

وليم هوفر ومارلين منى هوفر ■

ترجمة د. باسمة سكرية عيد

الاسرع في الاستياء هو عادة الاكثر عدوانية. ك.ب.

اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

* كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
* كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
* ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
* ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملاً. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
* تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
* لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
* لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي،

"شمسية بحر" للرسام البريطاني ديفيد هوكني